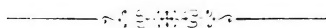


كتاب

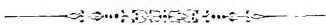
تاريخ

دولة الخوارج

من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
رحمه الله



اختصار الشيخ الامام العالم الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني
رحمه الله ورضي عنه



طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية

(بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م)



قرر مجلس ادارة الشركة في جاسته المنعقدة في يوم الثلاثاء ١١ ربيع آخر
سنة ١٣١٨ (٧ اغسطس سنة ١٩٠٠) طبع هذا الكتاب على نفقة الشركة
لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها
للان مؤلف خاص بها بل ذكرت عرضاً في كتب التواريخ ولما مؤلفه من
الشهرة الفائقة في عالم التحرير والانشاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله على نعمه الجسام . ومننه العظام . والصلاة والسلام
على خير الأنام . سيدنا نبيه محمد وعلى آله البررة الكرام . فاني لما فرغت
من انتخاب الكتاب الموسوم بالبرق الشامي من انشاء الامام السعيد عماد
الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني الكاتب رحمه الله طالع كتابه
الموسوم بنصرة الفترة وعصرة النظرة في اخبار الوزراء الساجية فصادفته
قد سلك فيه منهجه المعروف في اطلاق أعنة أقلامه في مضمار بيانه .
واسباع ازيل القرائن المترادفة من وشائع ما يخبره راقم بنانه . بحيث صار
المقصود مغموراً في تضاعيف ضماير الاسجاع . وربما كان لا يرفع الاصغاء
الى بدائعها حجاب بعض الاسماع . فانقبت منه هذا المختصر الذي هو بعد
اشتماله على جميع مقاصد الكتاب محتو على عيون قرائنه البديعة . وزواهر
الفاظه الفصيحة . خدمة لملك اجتمع فيه من النضائل ماتفرق في جميع سلاطين
الأمم . وصار نظاماً لمحاسن يتزين بافرادها سائر ملوك العرب والعجم . ولانا
السلطان الملك المعظم ابي النتح عيسى ابن السلطان الملك المادل ابي بكر ابن
أيوب لازالت معارج دولته راقية في مدارج الاقبال . وعتبات مجده مباحة

لعيون الاعظام والاجلال . ومصايح علومه متوقدة يهتدى بها الشاردون
 فيخرجون من ظلم الزيغ والضلال . وينابيع أياديه متفجرة يكرع فيها الهائمون
 فينقمعون غلل الآمال . وقد افتتحت به في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٣ مستعينا
 بالله تعالى ومستمداً من حوله وقوته ومبتهلاً اليه وسائلاً اياه ان يوفقني في
 ذاك وفي جميع أموري بفضلِهِ ورحمته وهو حسبي وكفى



✽ ذكر نبذة من بداية حال السلجقية ✽

قال رحمه الله كانت السلجقية ذوى عُدَدٍ وَعَدَدٍ . وأيدٍ وِيدٍ .
لا يدينون لاحد ولا يدينون من بلد وميكائيل بن سلجق زعيمهم المبجل .
وعظيمهم المفضل . وقد سكنوا من اعمال بخارا موضعاً يقال له نور بخارا
وما زالوا فى أنصر شيعة . وأنصر عيشة . وهم فى الرعي يكلأون الكلاً . وفى
لربيع يملأون الملاً . لا يذعرهم ذاعر . ولا يردعهم داعر . والسلاطين يرعونهم
للعلما ولا يرعونهم . ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم . حتى عبر السلطان
يمين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا لمساعدة قدر خان فرأى ميكال
ميكائيل يحصى الحصافة معيراً . وصاع مصاعه يأس البسان موفراً . فرغب
فى استرغابه . وانجذب الى اجتذابه . وأراد ان يعبر الى خراسان به وباهله .
وبكنف اكفافها لذى الحفظ والخفيضة بنبله ونبله . وامتنع ميكائيل عليه ومال
عنه ولم يمل اليه فغاض السلطان تمنعه فقبضه واعتقله . وعبر به وباصحابه الى
خراسان ونقله . وقال له ارسلان الحاجب انى ارى فى أعين هؤلاء عين
الحول . وانهم لمعروفون بالجرأة والقوة والحول . والرأى عندى ان تقطع
أبهام كل من تعبره منهم ليؤمن ضره . ولا يخاف شره . فما قبل خطابه
فى هذا الخطب . وقال له انك لقاى القلب .

فلما اقاموا بخراسان تقربوا الى عميدها أبى سهل أحمد بن الحسن
الحدونى وأهدوا اليه ثلاثة افراس ختلية . وسبعة اجمال بختية . وثلاثمائة
رأس غنم تركية . وهداه اقبالهم الى قبول الهدية وكانوا سألوه ان يرجعهم
فى المروج . ويسد بمواشيهم مخارم تلك القروج . فعين لهم مروج ذندانقان

فقدروا بها وبما قاربها . وتحاموا من عداها . وجانبها . وتوفي محمود بن سبكتكين وهو كاره لامرهم . مشفق من وميض جرهم . مستشف ستر القضاء في قضية شرهم . وعد أبو سهل الصعب فيهم سهلاً . واتخذهم لارتفاقه بهم صحباً وأهلاً . ونفذ مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرياً من غزنة إلى خراسان فواقعهم وقتل منهم عدة واسر منهم جماعة حملهم إلى غزنه منهم بينغو ارسلان فاستعطفوه فلم يعطف . واستسعدوه فلم يعف . ولما غلق رهنهم وتوثق سجنهم . شربوا كأس اليأس وأبدلوا أئناس الناس بأعاش الحاشية . ومشى شحنة طوس لاستياق الملم من الماشية . وأستلان خشونتهم . واستسهل صعوبتهم . ولما ظن أنه آب بالغنم والغنمية . وبآ بعز العزيمة . ركبوا إليه صهوات الخنق . وصرفوا نحوه أئنة الحب والغنق . حتى لقوه فتركوه لقي وتبعوا المهزمين ودخلوا إلى طوس فأسكروها . وجاسوا خلال ديارها وسلوكوها . وتشاوروا فيما بينهم وقالوا هذا بحر خضناه . وفتح ابتكرناه . وطوس مدينتنا التي تؤويننا . وحصننا الذي يحميننا . فلا نخرج عنها . ولا نخرج منها . وشرع أبو سهل الحمدوني في استدراك ما فرط . واستمسك ما اختبط . وكادوا يجبيونه بالجميل ويحملون في الجواب . ويمايون بما لا أنه إلى صوب الصواب . فتسرع شحنة نيسابور وتسرع وجند وعسكر . وشن على سرحهم غارة على غرة . ونهض لمنفعة نهضت بمضرة . فركبت السلجوقية إليه وإلى جماعته ارسالاً . ونشبوا معهم وشبوا قتالاً . وهزموهم وكسروهم وقتلوهم واسروهم وامتدوا إلى نيسابور فدخلوها . ووجدوا في خلوها فرصة فاهتبلوها . وذلك في شهر رمضان سنة ٤٢٩ وعزموا على مدياد . ونهب البلد . فمنعهم طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق وهو أميرهم وكبيرهم وقال لهم

نحن في شهر حرام لانهتك حرمة . ولا نهك عصمته . ولا يحصل من
 النهب ارب وانما تسوء به السمعة ويشيع الشنعة . فنفرت جماعته من مقاله
 وسخفوا رأيه في تبين حرام الفعل وحلاله . فما زال بهم طغربك يقول لهم
 امهلوا بقية هذا الشهر واعملوا ما شئتم بعد الفطر وفي أثناء ذلك وصل اليهم
 كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوفهم ويذكرهم بالله ويحملهم على
 رعاية عبادته وعمارة بلاده فخلعوا على الرسول المعروف بابي بكر
 الطوسي ثلاثة عشرة خلة . وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة
 ورفعة .

ولما كان يوم العيد اجتمعوا من القريب والبعيد وهما بالنهب
 فركب طغربك لمنعهم . وجدّ في ردعهم . وقال الآن وقد جاء كتاب الخليفة .
 المفترض الطاعة على الخليفة . وقد خصنا من توليته ايانا بالحق والحقيقة .
 فاح عليه أخوه جفري بك داود وأخرج سكينه وقال إن تركتني والاقلت
 نفسى بيدى فرق له وسكنه . وأراد انه مكنه . وأرضاه بمبلغ أربعين الف
 دينار قسطه . ووزن أهل البلد معظمه . وأدى هو من ماله الباقي وغرمه
 وجلس على سرير الملك الذي كان لمحمود بن سبكتكين في نيسابور ونهى
 وأمر وأعطى وأخذ وأبرم ونقض . وأحكم وقوّض . وجلس يومى الاحد
 والاربعاء لكشف المظالم . وبسط المبدلة وبث المكارم . وسير أخاه داود
 الى سرخس فملكها . ونهجه لطريقة في العدل فسلكتها . وسير الى دار
 الخلافة المعظمة رسولاً يعرف بأبي اسحاق الفقاعى صبيح البهجة . فصيح
 الالفة . بكتاب مضمونه انهم لما وجدوا ابن يمين الدولة مائلا عن الخير
 والسمو . مشتغلا بالشر والعتو . غاروا للمسلمين وللبلاد . وهم عبيد أمير

المؤمنين في حفظ البلاد والعباد . وقد سنّوا سنّه العدل . وأسّسوا سنّا الفضل . وبطلوا مراسم العسف . وعظّموا مواسم الخيف . ومضى رسولهم . وقضى سؤلهم . وتواصلت مع مسعود بن محمود بن سبكتكين حروبهم وهزموا في سنة ٤٣٠ ، واشتدت منعتهم . وقويت شوكتهم . واستولوا على خراسان وتجاوزوها الى العراق وطرؤا على ملك الديلم . ورموا بالصيلم . وغلبوا الاملاك . وبلغوا الافلاك . واقتسموا البلاد . وطرّفوا طرفاها والتاد .

قال واللسطان طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجق ولأخيه جعفري بك أبي سليمان داود بن ميكائيل بن سلجق من نهر جيحون الى نيسابور ولاخيه من أمه وهو ابن عمه ابراهيم بن نبال بن سلجق قهستان وجرجان ولا بن عمه أبي عليّ الحسن بن موسى بن سلجق هراة وبوشنج وسجستان وبلاد الغور

قال وامتدّ طغرلبك الى الرىّ وقد كانوا جعلوا له جميع ما يفتحه من هذا الصوب فحمد الرأى بالرأى . ونجّزت عدة جدته بعد الليّ . ووجد في دور الدبلم دفتان وخزائن . سفرت بها أيامه عن أيامن . فتأثّل وثأث . وورى زنده سعدة بما ورث . وقدم قدامه ابراهيم بن نبال فقرّ بقرميسين وانزعها من الامير أبي الشوك فارس بن محمد بن عنّاز وحلّ بجلوان وتوفى أبو الشوك في شهر رمضان وذلك سنة ٤٣٧ ، وفي هذه السنة ورّز رئيس الرؤساء أبو القاسم عليّ بن الحسن بن مسلمة للقائم بأمر الله وهي أول سنة ورد فيها الاتراك الى العراق . وانتشروا منها في الآفاق .

قال وكان عند طغرلبك رسول الخليفة وهو أبو محمد هبة الله بن محمد

ابن الحسن بن المأمون مقيماً يـدعـود الى بـغـدـاد ولا يـدعـه يـقـيـم . ويروم منه
صدق القصد ولا يريم . وطال بالحضرة حضوره حتى حرك عزمه فعزم على
الحركة واندفع كالسيل . وكسا العلق عجاج فيلقه صبغة الليل . ولم يترك الترك
ورداً الا شفوه . ولا حسناً الا شوتهود . ولا ناراً الا ارشوها . ولا
داراً الا اشعثوها . ولا عصمة الا رفعوها . ولا وصمة الا وضعوها . وأجل
الملوك من خوف اقدامهم . وتتحوا من طريق ضرامهم . فما جاؤا الى بلدة
الا ملكوا مالكمها . وملأوا مسالكها . وأرعبوا ساكنيها وأسكنوها
الرعب . وغلبوا اولادها وولوها الغلب . وازبروا الى الزوراء . وأشاعوا مد
اليـد بالغارة الشعواء .

— — — — —

ذكر دخول السلطان ركن الدولة طغرل بك أبي شجاع محمد

بن ميكائيل بن سلجق الى بغداد في ٢٥ من رمضان

سنة ٤٥٧ . ومعه الوزير عميد الملك أبو نصر محمد

ابن منصور الكندري وهو أول وزراء السلجقية

قال : كان حصيفاً نصيحاً رحيماً نجيحاً متسلطاً بكانه . متمكناً من
سلطانه . يرجى ويخشى . ويقصد ويفشى . والسلطان بأذنه وناظره يبصر
ويسمع . وبأذنه وناظره يرفع ويضع . وله البهجة الميية . وللحجة المصيبة .
وكان مع السلطان طغرل بك يوم وصوله الى بغداد وقد خرج رئيس الرؤساء
وزير الامام القائم لاستقبال السلطان ومعه أرباب المناصب . وأصحاب

المراتب . وقاضى القضاة والشهود . والجنود والبنود . فلما وصل الى نهر بين . لقيه صاحب السلطان من المقرين . وقدم للوزير فرسا وقال هذا مركوب السلطان وقربه . فنزل عن بغلته وركبه . وجاءه بعد ذلك عميد الملك أبو نصر الكندرى فى موكب ضخم . وخر خفم . وقد وقف يتوقع مطالعته فلما بصر به قصد عميد الملك أبو نصر أن يترجل فنعته وتعانقا راكبين . وخطا الموكبين . ووصل السلطان الى بغداد ونزل على دجلة . عند مسناة عز الدولة . رائع الهيمة . رائق الهيئة . قد ضاقت الارض بجنوده . وضافت السماء عذبات بنوده . فتبض على الملك الرحيم أنى نصر الديلمى من نسل عضد الدولة وسيرد الى الري فقطع عليه الاجل الطريق فى طريقها وأذنت جموع ممالك الديلم بتفريقها وقبض عميد الملك أبو نصر الكندرى الوزير الاعز أبا سعد وزير الملك الرحيم . ثم استدأ صخته حين انفاه فى الكفاية صحيح الاديم . وأطلقه وأطاق يده فى الحل والعقد والحبس والاطلاق . وعول عليه وفوض اليه النظر فى العراق .

قال : وتوفى فى هذه السنة قاضى القضاة الحسين بن على بن مأكولة مخاطب عميد الملك فى تولية قاضى القضاة ابي عبدالله محمد بن الدامغانى فتسنت قاعدته فى ذى القعدة من السنة . وأحسن العناية به لمعانيه الحسنة . وقال هو قدوتنا بخراسان الموصوف بجميع الألسنة . وحضر عميد الملك الكندرى فى بيت النوبة الشريفة . وخص من دار الخلافة بالمنزلة اللطيفة . وانفذت معه برسم السلطان خلع سنه . وتشريفات سريه . قال : وتقدم طغرل بك ببناء مدينة على دجلة وهى التى جامعها اليوم باق . وكانت حينئذ ذات أسوار وأسواق . قال : ودخلت سنة ٤٤٨ هـ وفى الحرم منها

عقد الخليفة على ابنة أخى طغرل بك ارسلان خاتون خديجة بنت داود بن ميكائيل . وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل . ولئلا يجد الاعداء بهذه الوصلة الى قطع سبيل المودة بينهما السبيل .

ذكر الحال فى ذلك

قال : فى المحرم جلس الامام القائم بامر الله أمير المؤمنين . وأحضر عميد الله الكندرى وقدمه على المقدمين . وتقدم اليه باحضار من يجوز احضاره . ويقع عليه اشارده . فشد وسطه وأخذ دبوساً فى يده . وجرى فى حفظ آداب الخدمة على جده . واستدعى أمثال دولة السلطان فخدموا الخليفة . وشاعدوا السدة الشريفة . ثم شرع رئيس الرؤساء فى خطبة النكاح . وجاء بها على وفق الاقتراح . واستوعب شرائط الايجاب بالذكر من تسمية المخطوبة والمهر ثم قل : إن رأي سيدنا وولانا أن ينعم بالقبول فقال الخليفة قد قبلنا هذا العقد بهذا الصداق . فامتزج بالدواتان بالاستحقاق . واستمرت البركة . واستقرت المملكة . قال وفى هذه السنة كانت ولادة ^{المقتدى} سحرة الاربعاء ثامن جمادى الاولى وسمى عبد الله وكنى اباً القاسم واهه جارية لذخيرة الدين أبى العباس بن القائم بامر الله وكانت وفاة لذخيرة فى ذى القعدة سنة ٤٤٧ وعمره ١٤ سنة وبوفاته قامت قيامة القائم فانه كان ولى عهد ولم يكن له ولد سواه فلما ولدت جاريته ابناً استجده جداً وبهاء

ويماناً وامناً وجلس رئيس الرؤساء . ثلاثة أيام للبناء . وحضر عميد الملك وجماعة
الامراء . قال : وتوفي في هذه السنة عميد الرؤساء أبو طالب بن أيوب عن
٧٠ سنة وقد كتب للخليفة ١٦ سنة . وكانت حسناته سائرة وسيرته حسنة .

ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت

قال : كان ابن عم طغرلبك بالموصل وديار بكر وهو قتلش بن اسرائيل
بن سلجق . متسق الأمر . متسع الصدر . فاجتمع البساسيري وهو أبو
الحارث أرسلان وقريش ابن بدران العقيلي ونور الدولة ديبس بن علي بن
مزيد الاسدي على حربه . وأوقعوا به وبجزبه . وكانت الوقعة بسنجار
ومضى قتلش الى همدان موليا فاتح طغرلبك من ذلك وتوجه الى
الموصل فاجفل البساسيري الى الرحبة فاذنعت لطرلبك البلاد وواتاه
الادب . ووافاه العرب . وأطاعه الاميران ديبس وقريش واتصل به أخوه
ياقوت بن داود فزادت قوته . وأرعبت بالناس صواته . وكان على أهل سنجان
حاقداً فأنهم مثلوا بقتلي قتلش وتركوه بالعراء وأظهروا الرؤوس على القصب
 . وأخذوا النفوس بالوصب . فسار طغرلبك الى سنجان واجتاحها
 واستباحها . وسلب أرواحها وأشباحها . الى أن شفع فيهم برهم بن ينال
 فعفا بعد أن عفى . وكنت بعد ما اكتبني . قال : وفي هذه السنة مات أبو العلاء

المعري .

— ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة —

•••••

قال : وعاد الى بغداد ظافر اليد وافر الايادي وجلس له الخليفة يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة فركب دجلة مجريا طياره في تيارها . حتى وصل الى باب الرقة من السدة الشريفة ودارها . وقدم له فرس فركبها ودخل راكبا الى دهليز صحن السلام . وحصن الاسلام . ثم نزل ومشى والامراء بين يديه بغير سلاح يمشون الى حيث الجلالة مقيمة . والدلالة بالقائم قائمة . والرسالة ملائمة . والأمامة دائمة . والنبوة مستمرة الأثر . والمروءة مستقرة البث . وستارة البهاء مسدولة على البهو . وظهارة الانماء مجبولة بالزهو . والقائم بامر الله جالس من وراء الستر على سدة مشرفة مشرقة في ايوان منه للجلال ايواء . ودار أرضها للاقبال سماء . وعلى كتفه ويده البردة والقضيب النبويان . وهما بماء الطهر المحمدي رويان .

ولما قرب طغرلبك من المقر الاشرف . والمرق المسجف . ورفعت ستارة البهو وانار وجه الخليفة كالقمر في سدفه السدة الشريفة أدي الفرض . وقبل الأرض . ثم مثل قائما للقائم . ووقف لترقب ما يقف عليه من المراسيم . وصعد ريس الرؤساء الى سرير لطيف فقال له الخليفة اصعد ركن الدولة اليك ومعه محمد بن المنصور الكندري منسرا . وترجما . ومعربا عنه ما كان . معجبا . ثم وضع طغرلبك كرسي جلس عليه . وفسر عميد الملك له تفويض الخليفة اليه . ثم قام طغرلبك الى مقام الرفعة . ومكان الخلعة . واحتجب بعز الاجتباء . واجتباب خلع الاجتباء . وتوج وطوق وسور وأفيضت عليه

سبع خلع سود في زيق واحد اتخذت له بها مملكة الاقاليم السبعة وشرف
 بعمامة مسكية مذهبة جُمع له بين تاجي العرب والعجم . وسما بهما وتسعى
 بالمتوج والمعجم . وقلد سيفاً حلي بالذهب . نخرج في أحلى الحلى وأهيب
 الالهة . وعاد وجلس على الكرسي . وراء تقبيل الأرض ولم يتمكن
 لموضع التاج الحسروى . وسأل مصاحفة الخليفة فاعطاه يده دفعيتين . فقبلها
 ووضعها على العين . وقلده سيفاً آخر كان بين يديه فتم له بتقليد السيفين .
 تقلد ولاية الدولتين خاضه بملك المشرق والمغرب واحضر عهده وقال هذا
 عهدنا يقرأ عليك محمد بن منصور بن محمد صاحبنا ووديتنا عندك فاحفظه
 واحرسه فإنه اثمة المأمون ونهض في دعة لله محفوظاً . وبعين الكلائة
 ملحوظاً . قال ولأبى الفضل صردر في عهد الملك من قصيدة

ملك اذا ما العزم حث جواده * مرحت بازهر شاخ العربين
 بأغر ما أبصرت نور جبينه * الا اقتضاني بالسجود جبينى
 عمت فواضله البرية فاللقى * شكر لاني ودعوة المسكين
 لو كان في الزمن القديم تضامت * منه لكونزلى يدي قارون
 قال: وفي سنة ٥٠٠ هـ انتفض على طغرابك مر الموصل فقد كان استخفاف
 بها الاميرين أردم وباتكين فتصدما ابساسيرى وقراش بن بدران
 وحاصراهما أربعة أشهر واخرجاها بأمان فعاود طغرابك الخروج الى الموصل
 لطلب الداء المعضل ونصب بنصيبين مضاربه خلفه ابراهيم بن ينال خالماً
 للطاعة ومضى الى همدان ناوليا للمناوذة فسار السلطان وراءه من نصيبين الى
 همدان في سبعة أيام ونفذ وزيره عميد الملك وزوجته خاتون الى مدينة السلام
 ثم كتب اليهما يستدعيهما فتمسك بهما الخليفة . وتواترت الاراجيف

الخليفة . فتارة بوصول البساسيري وتارة بالهزام السلطان من أخيه
قال : وشرع عميد الملك الكندري في أخذ العهد بالملك لانوشروان
ابن خاتون . وأنفق من ماله الظاهر والمخزون . فماوفقا . ولا استوثقا .
وأرادت خاتون القبض عليهما فبربا فاما عميد الملك فانه انحدر الى الأهواز .
وأمن عند هزار سب بن بنكير بن عياض من الاعواز . وسارت خاتون
تطلب السلطان . ولحق بها ولدها أنوشروان . وذلك في سنة ٥١٤ هـ وفي هذه
الفترة تمت فتنة البساسيري ودخل الى بغداد سادس ذى القعدة سنة ٥٥٠ هـ
وخرج سادس عشر ذى القعدة سنة ٥١٤ هـ وكانت سنة سيئة كادت تكون
لنور الله مظنة فانه دعى الى الدعى بمصر مصرأ ولم يجد الخليفة بمقرده من
دار الامامة مقراً . وحصل من تلك الحادثة بالحديثة . وتوالت منه الى
طغربك امداد كتبه ورساله المستصرخة المستغيثة . وهو مشغول بحرب
أخيه معلوم بما هو فيه . مغلوب الجند . مغلوب الجند

قال : وصلب البساسيري رئيس الرؤساء وأبا محمد بن المأمون رسول
الخليفة في استدعاء السلطان طغربك وقتل أصحاب قريش بن بدران عبد
الرزاق أبا نصر احمد بن على واختل نظام الاسلام . واعتلت دار السلام .
وطالت غربة الامام . وهالت كربة الانام . الى أن استنجد السلطان أولاد
أخيه الب ارسلان وياقوتى وقاورد بنى داود وهو بالرى فأنجدوه وأسعنوه
واسعدوه فخرج بهم الى ابراهيم بن ينال بهنتمان بولان فكسروهم وجمده
وقد وقف به فرسه فأسره وخنقه بوترلوترد وخنقه واستراح من حث ذميلة
اليه وعنته وعاد سعد وسعد عيده . وكثفت عدته وكثر عيده . وسار اليه عميد
الملك وجنوده هزار سب جبار مثله . وانضال عليه انضاله . ولم يبق طغربك بعدها

هم سوى رد الخليفة الى داره . واطهار قره . من سرارد . ورحل نحو بغداد
 فأحس البساسيري بريحه . وأيقن بتيارد ووقع في تباريحه . ولما قربت العساكر
 السلجقية من بغداد بعد وقامت قيامته وما قعد وكان الخليفة بحديثة عانة
 فطلبه قریش بن بدران من ابن عمه . مہارش بن مجلی خمد . وما أباح حماد .
 قال : وخرج مہارش بالخليفة الى تلغفر فقصد بدر بن مہاہل ومعه الفقيه
 ابن فورک وقد تین به وتبرک . وهناك فاز من وحد وهلك من أشرك .
 ولما وصل السلطان الى بغداد سير الى الخليفة عطاء مملکته وصدر وزارته
 عمید الملك وأنوشروان بن خاتون ومعهم المهدي والسرادي . والحيل السوابق .
 ولما مثلوا بالحضرة الشريفة . وشاهدوا أحوال الخليفة . أراد عمید الملك أن
 يكتب الى السلطان كتاباً بشرح الحال . وبوصف ما اجتلاء من المهابة
 والجلال . ولم يكن بين يدي الخليفة دواة . ولا أداة للكتابة مسواة . فأحضر
 من خيمته دواة عليها من الذهب الف وسبعمائة مثقال وأضاف اليها سيفاً
 ذا فرند وصقال وقال هذه خدمة محمد بن منصور أصغر الخدم . وقد جمع في
 هذه الدولة بين خدمة السيف والقلم . وأحسن الخليفة قبوله وخطابه .
 وتوَّج بخطه الشريف كتابه . ولما وصل الخليفة الى النهروان . وصل اليه
 السلطان . وتباشرت بقدمه الاوطار والايوان . واستأذنه عمید الملك في
 حضور السلطان فأذن ودخل وقبل الارض سبع مرات وأتى من أدب
 الخدمة الممكن وقدم له الخليفة مخدة من دسسته وقال اجلس فقباها وجلس .
 وأنسه فأنس . وجعل عمید الملك يفسر لهما ويترجم . ويعرب ويعجم .
 والسلطان يعتذر عن تأخره وتراخيه . بما شغله من تراخيه . فهد عذره .
 وهمد ذعره . وقدد الخليفة سيفاً تبرك به وكان قد خرج معه من الدار

وذلك يوم الاحد الرابع والعشرين من ذى القعدة واستقر أن يدخل الى الدار غداً . ويعيد بعوده عيش الاسلام رغداً . فلما أصبح السلطان تقدم الى باب النبوي وجلس مكان الحاجب فلما قرب الخليفة قام وأخذ بلجام بقلته . ومشى في خدمته الى باب حجرته . وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٥١٠ هـ فمادت الانوار الى الطلوع . والانوار الى الهموع . وحل الشرف في موطنه . وفاض الكرم من معدنه .

قال : وهرب البساسيري الى حلة ديس بن علي بن مزبد وقد وات سمادته فهو مطلق في زى مقيد . فسير السلطان وراءه عسكرياً مقدموه سرهنك ساوتكين وأنوشروان وخمارتكين الطغرائي وأردم وأنفذ معهم ابن منيع الحجاجي فواقعوا البساسيري وأوقعوه ووقع في فرسه سهم رميت به فرمته . وحام حوله حماه فماتته . وصادفت وجهه ضربة أدمته . وكش كشتكين العميدي فأسره ثم احتز رأسه وحمل الى بغداد وعلق قبالة باب النبوي وزالت بزواله نوبة النبوة الحائلة بالحمل النبوي واستقام الامر . وأرج النشر . وتولت الغماء . وتوالت النعماء . وكان طغربك بواسط فقدم بغداد في صفر سنة ٥٢٠ هـ فعمل له الخليفة في روشن التاج سباطاً . وأحضر عليه من أكابر دولته رؤساء وأوساطاً . ثم عمل للسلطان في ثاني ربيع الاول سباطاً آخر . فاضل به من قبله من الملوك وفاخر . وتوجه في خامس الشهر الى الجبل ودخل عميد الملك الى الخليفة فأقامه في موضع الاصطفاء . ولقبه سيد الوزراء قال : وفي سنة ٥١٠ هـ احترقت ببغداد دار الكتب التي وقفها الوزير شاپور ابن أردشير بين السورين وأخذ عميد الملك ما سلم من النار وكان أحد الحريقين وتوفيت في ذى القعدة سنة ٥٢٠ هـ خاتون زوجة السلطان بزنجان

قال : ولما رحل السلطان استصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة فلما استقر بالرى . عزم على نشر ما كان من رغبته فى الطى . وسير قاضى الرى ابا ساعد صاعداً الى دار الخلافة رسولا . وضمن رسالته فى خطبة السيدة ابنة القائم سؤالاً وسؤلاً . وذلك فى سنة ٤٥٣ هـ فندب الخليفة للجواب ابا محمد ابن التميمى للاستعفاء . وانه لم تجز بهذآ سنة الخلفاء ثم قيل له ان عدمت فى الاستعفاء الوسائط فاطلب صدق ثلثة الف دينار واعمال واسط فلما وصل ابن التميمى أعلم عميد الملك بالخال فقال اما الاستعفاء فلا يحسن مع رغبة السلطان وضراوته فى السؤال . واما طلب المال بالاعمال . فيتمبح لانه يفعل اكثر ما يدور فى خواطر الآمال . والصمت اولى من هذا المثال . فخلنى أخل سرك من هذا السر . ودعنى اتول هذا الامر . فقال ابن التميمى الامر اليك . والاعتماد عليك . والصواب ما تدبره والتدبير ما تستصيه . وانت اعرف بما تخاطب به صاحبك وبما تجييه . فقال عميد الملك للسلطان ان القضية قد تسهلت . وان العقدة قد تحللت . وان المنية قد امكنت . وان البغية قد تمكنت .

فأشاع السلطان خطبته . واذاع رغبته . وتقدم الى عميد الملك بالمسير مع ارسلان خاتون بنت أخيه زوجة الخليفة الى دار الخلافة واستصحب ما جاوز حد الكثرة من الدنانير المبدرة والجواهر المثمنة وسير معها عدة من الاكابر وذوى العلى ومن عظماء الديلم فرامرؤ بن كاكويه وسرخاب بن كامرؤا وكان قد وزر للخليفة فى تلك السنة مجد الوزراء ابو الفتح منصور بن احمد بن دارست فخرج لتلقى الواصلين الى قرب النهروان والتقى هو وعميد الملك وهما راكبان ودخل عميد الملك بغداد وجلس على باب النبى فلما وصلت خاتون سار فى خدمتها الى دارها ثم حضر بيت النوبة وأخذ دواة الوزير بن دارست وأنهى

حضوره وحضور الامراء الذين معه . وادى من الرسالة ماؤدعه . فنفر الخليفة وغضب . وغاض ماء بشره ونضب . وقصد الامتناع ومنع المقصود . وسد الباب ولم يفتح الباب المسدود . فشرع عميد الملك يتكلم بكل فن . ويقعقع بكل شن . ويقول ما بالسكم افترحتم . ثم امتنعتم . وفيم ذهبتم الى ابعس غاية فى الطلب ثم رجعتم . وقد خاطرتم عند السلطان بدى . وازاتم بما قدمتم من التقدم قدمى . فأخرج الى الهروان مضاربه وخلع الالهبة السوداء وابس البياض فاستوقفه ابن يوسف وقاضى القضاة . ليستنزلوه من المضارة الى المراضاة . وما زالوا يتلطفان به حتى حضر بعد ذاك عند الخليفة دفعتين ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود . وبالع فى الخطاب وبذل المجهود . وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٥٣٤

وقال الخليفة « نحن بنو العباس . خير الناس . فينا الامامة والزعامة . الى يوم القيامة . من تمسك بنا رشد وهدى . ومن ناوانا ضل وغوى » وكان الخليفة قد كتب الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول فيه على امانتك ودينك فتال عميد الملك أسأل مولانا أمير المؤمنين التناول بذكر ما شرف به الخادم الناصح شاعنشاد ركن لدين فيما رغب فيه وسمعت نفسه اليه وأراد أن يقول الخليفة ما يلزمه من الاجابة ففطن لذلك وغالاه وقال قد سطر فى الجواب ما فيه كفاية فانصرف عائباً . وذهب مغاضباً . وراح راجلاً ورد المال الى همذان . وأخبر بالخال السلطان . وكان الخليفة قد كتب الى خمارتكيين الطغرئى يشككو من عميد الملك والحاخا فكتب فى جوابه يشير بالرفق والتلطف . وينص على التثبت والتوقف . فنسب عميد الملك قطع الحديث فى الوصلة الى مخامرة خمارتكيين فتغير السلطان عليه فرهب وهرب . وتسرع

وتسرب . وكتب السلطان الى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف بالعتب الممض . والخطب المقتض . وقال هذا جزائى من الامام القائم وقد قتلت اخى فى طاعته . ووهبت عمرى لساعته . وانقمت اموالى فى خدمته . وطلبت فقرى لثروته . فما باله ما بالى برد قولي . وقال بردى . وصد قصدى . وقصد صدى . وكتب الى عميد الملك بان يقبض الاقطاعات ولا يترك للخليفة الا ما كان باسم الامام القادر قديماً . وان يكون لمعارضة أسبابه مستديماً . فحضر العميد رئيس العراقيين بيت النوبة وعرض الكتب . واعاد العتب . فخرج جواب الخليفة ما رجونا من ركن الدين ماصنع . وما توقعنا ما وقع . وبين يديك الاقطاعات فاقطعها . وقد ارتفعت الموانع فامنعها

قال : وخرجت السنة والوحشة القاتمة قائمة . وعين التأنيس عن ازالة أسبابها نائمة . فلما دخلت سنة ٥٤٤ هـ أجاب الخليفة فى المحرم منها الى الوصلة وكتب وكالة باسم عميد الملك شهد فيها قاضى القضاة وابن يوسف بما سمعاه من تلفظه بالاجابة . وضبطت الشهادات بالكتابة . وسير أبو الغنائم بن الحلبان فى الرسالة . واستصحب كتاب الوكالة . فسر السلطان واحتفل . ووفى له القدر بما كفل . وعقد العقد فى ظاهر تبريز بالخيم وكان رئيس العراقيين بالمسكر فأعيد الى بغداد فى صحبة ابن الحلبان وسيرت على يده الهدايا وأصبحه برسم الخليفة ثلثين غلاما وجارية أتراكا على ثلثين فرساً وخادمين وفرساً بمركب ذهب وسرج مرصع بالجواهر الثمينة وعشرة آلاف دينار وبرسم السيدة عشرة آلاف دينار وتوقيعاً ببعقوبا وما كان لخاتون المتوفاة بالعراق وعقداً فيه ثلثون حبة كل لؤلؤة مثقال وبرسم عدة الدين خمسة آلاف دينار . وبرسم السيدة والدة المخطوبة ثلاثة آلاف دينار وذلك فى شوال من السنة فلما قرب

رئيس العراقيين من بغداد تلقاه الناس واستبشروا بانتظام الالفة بين الامامة والسلطنة فلما وصل الى باب النوبى نزل وقبل الارض . ثم وصل الى باب ارسلان خاتون زوجة الخليفة وأدى من خدمتها الفرض . وأوصل اليها ما حملته فتولت تسليمه . وباشرت عرضه بالمقام النبوى وتقديمه

— ❦ —

❦ ذكر سبب تولى ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه ❦

— ❦ —

قال : كانت وزارته فى سنة ٤٥٣ هـ . وسبب ذلك ان الخليفة لما عاد الى الدار عدم الوزير . وفقد من يتولى التدبير . فحدث رأيه بأنه يستخدم رجلا خدمه بالحديثة وهو ابوتراب الاثيرى وقد وجدده أثر الاثر فلقبه حاجب الحجاب عن الامامة . واستخدمه فى الانهاء وحضور المواكب وتنفيذ الاوامر المهمة قال : وكانت بين ابن يوسف وبين الاثيرى وحشة حملت ابن يوسف على أن ذكر ابن دارست وقرضه وقال انه مع أمانته يخدم بغير اقطاع ويؤدى مالا فضت الكتب اليه وهو فى شيراز باستدعائه . فقدم الجواب باستعفائه فخرج اليه ابن رضوان ومعه ظفر الخادم لاستخدامه . وقوى عزمه أبو القاسم صهر ابن يوسف فورد بقوة اعتزاه . وكتب عميد الملك عن السلطان الى الخليفة بأنه كاره لاستخدامه . واستخدمه لاملأقه مع ثروة المال من الكفاية وإعدامه . فأجاب الخليفة انه مع وصوله الى واسط ومفارقة وطنه لا يجوز رده . ولا يخلف وعده . وقدم بغداد ثامن ربيع الاول سنة ٤٥٣ هـ ووصل الى

الخليفة في منتصف شهر ربيع الآخر وأُفيضت خلع الوزارة عليه . وأفيضت مع الوزارة الامور اليه . وبقي في المنصب منتصباً الى رابع ذى الحجة سنة ٥٤٤ هـ فانه صرف من تلك المراتب بل ترك الخدمة مستعفياً . ولرقة جاهه مستجفياً . قال : وكانت وفاته بالاهواز حادى عشر شعبان سنة ٤٦٧ هـ

ذكر حوادث في هذه السنين

قال : في سنة ٥٠ هـ توفي القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ببغداد عن مائة سنة وستين وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفتى ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك السكندري جنازته ودفن بالجانب الغربى عند قبر الامام أحمد ابن حنبل

قال : وفي آخر هذه السنة توفي أفضى القضاة أبو الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردي وقد كان فى العلم بحراً زاجراً . وفى الشرع بدراً زاهراً . قال « بسطت الفقه فى أربعة آلاف ورقة (يدنى الحاوي) واختصرته فى أربعين » (يعنى الاقناع) فيالهما من بحرين نضبا . وبدرين غربا . وطودين وقما . وجودين . أقلاما .

قال : وفى سنة ٥٣ هـ توفي قریش بن بدران وتولى ولده مسلم اماره بني عميل وتوفى فى شوالها نصر الدولة أبو نصر بن مروان بميفارقين عن نيف وثمانين سنة وفى يوم عرفة من سنة ٥٤ هـ وزر نخر الدولة أبو نصر محمد ابن

محمد بن جهير للخليفة وسبب ذلك انه كان مقيماً بميفارقين عند ابن مروان في جاه وعز أمره ناه فسمت همته وعلت سعادته . وكتب الى الخليفة يرغب في زيارته لوزارته وانه يبذل بذلاً ويحمل حمولاً فندب اليه من دار الخلافة نقيب النقباء الكامل أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقرر ما أراد تقريره . ودبر ما شاء تدبيره . فخرج من ميفارقين عند انفصال نقيب النقباء ليودعه وسار معه . وفات ابن مروان ولم يلحقه لما تبعه . وخرج الناس عند وصوله الى بغداد لاستقباله ونزل بالحريم الطاهري ومكث ثمانية أيام حتى جاوز الكسوف . ونشق نشر العز المشوف . وتين يوم عرفة فحضر بيت النوبة وقد أسعدته السعادة . واجتمع هناك من طبقات الناس من جرت به العادة . واحتفل له الخليفة بالجلوس وطلع نور اليمين من أفقه . وقرأ أمين الدولة أبو سعد ابن الموصلايا توقيعاً خرج في حقه



للسلطان في الأوبة . وان يستصحب السيدة والخاتون . وذكر أنهم بعد
مضيهم عن قريب آتون . فأذن في ذلك الخليفة وكانت ارسلان خاتون قد
حملت من اطراح الخليفة لها غمماً . وأما السيدة فقد كره الخليفة مسيرها فلما
مضت أمضت بالمر فراقها . وومضت لامل رفاقها . ولما انفصل السلطان عن
بغداد اذن لهذارسب في المضي الى الاهواز . مرعياً بالاعزاز . فأنه مكث
على بابه ثلث سنين لا يؤذن له في الانفصال . ولا يؤذن اربه المنفارق
بالوصال . وعقد ضمان بغداد على ابي سعد القايني بثمانية وخمسين الف
دينار فاعاد كل ما أبطله رئيس العراقيين من ضر الضرائب . وشر النوائب .
وقد كان هذا يتولى مطبخ عميد الملك وهو استاذ داره . جري المقدور
برفع مقداره .

ذكر وفاة السلطان طغرل بك بالرى

قال : وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥؛ توفي طغرل بك بالرى
فاضطرب بهلكه الملك وبلغ عميد الملك نفيه وهو على سبعين فرسخاً من
الرى فقطعها في يومين اشفاقاً من تشویش یم . وتشویر نیم . فوصل وهو
بجأله لم يدفن ولم يقبر فتولى دفنه وتوخی سكون الخلق وأمنه ومنع الغلمان
من شق الثياب . وأخرج جميع ما كان يملكه على العسكر حتى الدواب .
وأجلس سليمان بن داود ابن أخى السلطان وكانت أمه عنده ونصّ عمه عليه .
وقرر الامر له وفوضه اليه . فسكنت الممالك . وأمنت المسالك .

✽ ذكر سيرة طغرابك رحمه الله ✽

قال : كان كريماً حليماً محافظاً على الطاعة . وصلاة الجماعة . وصوم الاثنين والخميس وكان يلبس الواذرى والبياض . وأشبهت أيامه بمحاسن سيرة الرياض . وكان لا يرى القتل ولا يسفك دمأ . ولا يهتك محرماً . وكان شديد الاحتمال . شديد الافعال . حكى عنه أقضى القضاة الماوردى أنه توجه في رسالة القائم اليه في سنة ٤٣٣ فكتب فيه كتاباً ضمنته الطعن عليه والقدح فيه . وغمط محاسنه وبسط مساويه . ووقع الكتاب من غلامى دخل اليه فوقف عليه ثم ختمه وكتبه ولم يتغير عن عادة اكرامى . وشيعة احترامى . قال : وكذلك ذكر أن بعض خواصه كتب ملطقات الى الملك ابى كاليجار . يطلعه فيها على بعض الاسرار . فوقع في يده فاختفاها . ودأوى هفوته لحلمه وشغافها . وكان كثير الصدقات حريصاً على بناء المساجد متعبداً متهجداً . ويقول استجى من الله أن أبني داراً ولا أبني بجنبها مسجداً

قال : وحكى عميد الملك أنه لما مرض قال انما مثلى فى مرضى مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف فتظن انها تذبح فتضطرب حتى اذا أطلقت تفرح ثم تشد قوائمها للذبح فتظن انها لجز الصوف وتسكن فتذبح وهذا المرض شد التوائم للذبح وكان كما قال . قال : وتوفى وعمره سبعون . قال : وحكى عميد الملك أن طغرابك قال له رأيت منامى فى مبتدا أمرى بخراسان كأنى رفعت الى السماء وقيل لى سل حاجتك تقضى فقلت ما شئ أحب الى من طول العمر فتبيل عمرى سبعون . قال : قال عميد الملك وكنت سألته عن السنة التى ولد

فيها فقال السنة التي خرج فيها الخان الفلاني بما وراء النهر فلما توفي حسبت
المدة فكانت سبعين سنه كاملة . قال : ولما وصل خبر وفاته الى بغداد جالس
الوزير نخر الدولة ابن جهير للعزاء به في صحن السلام في السادس والعشرين
من شهر رمضان

— ❦ —

❦ ذكر جلوس السلطان عضد الدولة الب ارسلان ❦

❦ أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجق ❦

قال : توفي أبوه داود ببلخ سنة ٤٥٠ وقام مقامه ولما خطب لاختيه
سليمان بالري بعد وفاة طغرل بك مضى ارسمن وأردم الي قزوين وخطب
لالاب ارسلان وبلغ عميد الملك ذاك فاقام الخطبة بالري لالاب ارسلان وبعده
لسليمان . وأقبل عضد الدولة الب ارسلان من نيسابور . يطوى السهول
والوعور . وأقبل اقبال الضيغم الضاري . وأقدم اقدم للخضم الجاري . وكان
ابن عم أبيه قتلش بن اسراييل في كردكود وقد طمع في الملك . ولم يعلم
أن ذاك يورطه في الهلك . فعارضه في جموعه فتقابلا وتقاتلا وأنجحت المعركة
عن قتل قتلش وكانت منيته في عثور الفرس به . وقتل الب ارسلان
من التركمان عدة وافرة . وحاز من أموالهم غنيمة ظاهرة . وساق
حتى وصل الى خوار الري ظافر الجند . ظاهر الجدة . ومعه وزيره نظام
الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي فنتلقاه عميد الملك في حشمة
وخدمه . وكوسه وعلمه . وعربه وعجمه . وأجلسه على السرير . وجرى

على عادته معه في التدبير . فغار نظام الملك من استقلاله . واحتمل مدة في قبضه واعتقاله . فلما كان في محرم سنة ٣٥٩ زار عميد الملك نظام الملك زيارة ايناس واعتذار . وترك بين يديه منديلا فيه خمسمائة دينار . فلما انصرف من حضرته . سارا أكثر العسكر في خدمته . فتخوف السلطان من عاقبة ذلك ومغبته . فأمر بقبضه وانفذ إلى مصر والروز ومكث سنة في الاعتقال بها ثم سير اليه غلامين فدخلا عليه وهو محبوس . وأخبرا بأن قتله أمر محتموم . وأنظراد حتى اغتسل وتوضأ وتاب ودخل لودع أهله وخرج إلى مسجد ف صلى ركعتين . واستسلم للقضاء المقدّر باخين . ووجد الغلظة من الغلامين . وضربا بالسيف وأخذوا رأسه وحملوا إلى السلطان بكرمان وأما جثته فأنفقت في خرقه كانت لنافه البردة النبوية كان استهداها من خليفة . وفي قيص دبيق من ملابس القائم الشريفة . وقبر في قبر أبيه بكندر . وكانت مدة وزارته ثمانى سنين وشهورا . ولم يزل موسم جاهه فيها مشهورا مشهورا . وكان عمره نيفا وأربعين سنة . وكانت محاسنه مفضلة وفضائله محسنة . لكنه لکنه تهوّر وهوينه . وغاية غيه في سوء التدبير وتوهينه . قصرت يد الطولى عن استمالة القلوب الجافية . واستلانة الخطوب الآبية . قال : وكان يرجع إلى حسب ونبل . وأدب وفضل . وهو الذى يقول

الموت مرّ ولكنى اذ ظمئت * نفسى إلى الحجد مستحل لمشربه
رئاسة باض في رأسى وساوسها * تدور فيه وأخشى أن تدور به
قال : وكان خصيا وسبب ذلك أن طغرباك انفذ في ابتداء حاله .
وريعان اقباله . ليخطب امرأة فزوجها لنفسه وعصاه . ولما ظفر به اقره على خدمته بعد أن خصاه . وكان حنفى المذهب كثير التعصب لمذهبه والذهاب

مع عصبه . ثم فارق التعصب وجمع بين العصابتين . وحسن رأى اجتهاده
 فى الاصابتين . وكان سبب معرفته بظفر لبك انه لما ورد نيسابور افتقر الى
 كاتب يجمع فى العربية والفارسية بين الفصاحتين فدلّه عليه الموفق والدأبى
 سهل فظفر منه بشاب فى رأى كهل

— ذكر نظام الملك —

قال : ولما صرف عميد الملك وعزل . ونقل الى حيث اعتقل . استوى
 أمر نظام الملك وبزغت بالسناء شمسّه . وبلغت المنى نفسه . وعلا علمه .
 وجرى قلمه . وترفعت وسادته . وتفرعت سيادته . ومضت مضاربته .
 ومضت سحائبه .

— ذكر ماجرى لأب ارسلان بعد ملكه —

قال رحمه الله: كان قاورد بن داود أخوه قد استولى على كرمان في زمان عمه طغرلبك في سنة ٤٤٧، وملك شیراز في سنة ٥٥٥، وقتل كل ديلمى بها وسفك وھتك . وبطش وأوحش . وخالف أخاه الب ارسلان . واعتصم منه بمدينة برد شیر بكرمان . فسار اليه الب ارسلان وأمنه وأخذ قلعة اصطخر وأتاه مستحفظها بتحف فيروزج وكأس زمرد لم ير مثلبا . وشمل بلاد فارس احسان الدولة وعدلھا .

قال : ووصل اليه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش في سنة ٥٧٠، فأكرم وفادته . وأكثر افادته . وأجرى في اقطاعه هيت والأنبار وحربى والسن والبوازيج ووصل شرف الدولة هذا الى بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٠، فتلقاه الوزير . نخر الدولة ابن جبير . وألنى من اقباله عليه خير ظهير . قال : وأوغل السلطان في بلاد الخزر من طريق نخجوان . وكثر لاعانة الايمان ونصره الانصار والأعوان . والجا ملك الانباز بقراط ابن كيوركى الى طاب همدته . وعرض ابنته . فتزوج بها وھادنه . وقبل بذله وامنه . ثم طلق الملكة الكرجية وزوجها لنظام الملك وزيره وسار وفتح بلدآنى وعنت له البلاد . واذعنت العباد . وسرّى البأس وسرّ الناس .

﴿ ذكر وصول شرف الملك أبي سعد محمد بن منصور بن محمد ﴾

﴿ مستوفى المملكة الى بغداد ﴾

•••••

قال : وكان وصوله الى بغداد في صفر سنة ٤٥٩ وقد كان جليل النسب .
جلى الحسب . وما تولى للسلجقية . ثله كرماً وخيراً وفضلاً كثيراً وغنى وغناء .
رسنا وسناء . قال عماد الدين رحمه الله : وكان جدى لامى أمين الدين على المستوفى
رحمه الله كاتباً له في ريعان عمره . وعنفوان أمره . الى ان صار بعد كاتباً لخزانة
السلطان محمد بن ملكشاه وكان يحدثني في صغرى وهو شيخ كبير عن شرف
الملك بكل ما يدل على سيادة نفسه ونفاسة سودده . وذكر أنه كان مع
فضله ذا تفضل . ومع اجماله ذا تجمل . وحكى أنه كانت له ثلثائة وستون
كسوة مكملة . منفصلة معزلة على عدد أيام السنة من الملابس الفاخرة فيلبس
كل يوم ما يناسبه من أيام الفصول الاربعة . فاذا خلع منها أو وهب . أعاد
خازنه الى الخزانة عوض ما ذهب . فلما وصل الى بغداد حضر بيت الزوبة
في ثاني عشر صفر فبشر باقباله سفيرا وجه القبول . وسفر وخدم الخليفة
بمصحف جليل وقطعة بلخش في مندبل . وأوصل كتاب السلطان في خريطة
سوداء . وسرّ الاوداء . وساء الاعداء . قال : ووجد نواب نظام الملك
الوزير قد شرعوا في بناء المدرسة فاعنتم اقدارده على الاقتداء وبني على ضريح
ابى حنيفة رحمه الله باب الطاق مشهداً ومدرسة لأصحابه . وأعلم بعلمها
ثوب ثوابه . قال : وكتب الشريف أبو جعفر البياضى على القبة

ألم تر هذا العلم كان مشتتاً * جُمعَ هذا المغيّب في اللاحد
 كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأُنشَرها فضل العميد أبي سعد
 قال : ووصلت أرسلان خاتون زوجة الخليفة إلى بغداد في مسهل
 جمادى الأولى سنة ٤٥٩ ، واستقبلها الوزير نخر الدولة على فراسخ . وجلا
 بخر نخره السافر وطود وقاره الراسخ . ووقفت موكبها له عند القرب من
 الالتقاء . وخدمها على ظهر فرسه بالدعاء . وأقبلت وقبّلت . ودخلت وخات
 وعادت إلى عادة السعادة . ووافقت للزيادة . الأيفاء على الزيادة .



— ذكر حوادث طواريء وطوارق واتفاقات وموافقات —



قال : في شهر رمضان سنة ٤٥٨ توفي محمد بن الحسين بن القراء شيخ
 الحنابلة . وناهج طريقهم السالبة . وفي هذه السنة استتم بناء المدرسة النظامية
 ببغداد وانتظمت أحوالها . وسكنها من حملة الشريعة رجالها . ودرس فيها
 الشيخ أبو اسحاق الشيرازي رحمه الله فأحيى من العلم مدارس . وكشف من
 الحق ما التبس . وشرح الأصول وفرعها . وأوضح الأدلة ونوعها . وفي
 سنة ٤٦٠ توفي الشيخ عبد الملك أبو منصور بن يوسف وكان من أمثال
 بغداد وأعيانها . والمرجوع إليه في نوائب الليالي وحدثانها . وكان قد أجمع
 الناس على صلاحه واستجدادة رأيه واسترجاحه . ومن جملة خيراته أنه تسلم

البيارستان المضدى وقد استولى عليه الخراب . وناب أوقافه بالنواب الزواب
فعمره وطبقه وأحسن فى أحواله ترتيباً . وأقام فيه ثلاثة خزان وثمانية وعشرين
طبيباً . قال : ورثاه أبو الفضل صرّ درّ بقصيدته التى أولها

لا فبلنا فى ذا المصاب عزاء * أحسن الدهر بعده أم أساء

قال : وفى هذه السنة توفى أبو الجواز الواسطى وكان شاعر زمانه .
وفارس ميدانه . وفى هذه السنة توفى أيضاً أبو جعفر الطوسى بمشهد أمير
المؤمنين على عليه السلام وكان امام الشيعة وهو الذى صنف التفسير . ويسر
من أمورهم العسير . وفى جمادى الأولى من هذه السنة كانت زلزلة بأرض
فلسطين أهلكت الديار وألقتها . وخربت مبانيها ونسفتها . وفيه توفى صاحب
ديوان الزمام أبو نصر محمد بن أحمد المعروف بابن جميلة ورثاه أبو الفضل
بقصيدة منها

إن يكن للحياء ماء فما كان له غير ذلك الوجه مزنا

لطف نفسى على حسام صقيل * كيف صارت له الجنادل جفنا

ونفيس من الذخائر لم يــــــؤمن عليه فاستودع الأرض خزنا

قال : فرتب فى ديوان الزمام أبو القاسم بن نخر الدولة بن جبير . ولقب
عميد الرؤساء . واجتأب خلعة الاجتباء . ومدحه أبو الفضل بقصيدته التى أولها

صبحها الدمع ومسّاها الأرق * كم بين هذين بقاء للحدق

وفى ثانى عشر رجب ورد الى بغداد أبو العباس الخوافى عميدا . وقدم
بخوافى جاهه وقواده حميدا . قال : وعزل الوزير نخر الدولة بن جبير ليلة
المهرجان فى ذى القعدة بالتوقيع الامامى بمحضر من قاضى القضاة أبي عبد
الله الدامغانى فسار الى نور الدولة دبّيس وهو بالفلوجة فأواه . وأكرم مشواه

وقد كانت الوزارة تقررت لأبي يعلى والد الوزير أبى شجاع وهو كاتب
هزارسب بن بنكير فسكرتوب للزيارة . وخو طب بالوزارة . فورد الخبر بمرضه
يوم صرف ابن جهير . وبوفاته يوم وصوله لى الفلوجة كما جرى به قلم
التقدير .

وفى سنة ٤٦١ : عول الخليفة فى الوزارة على أبى الحسن بن عبد الرحيم .
فثار العوام وقالوا لاطاقة لنا من ظلمه بورود الجحيم . فهو الذى أتى بالبساسيرى
وأعان أحداث الالىالى . وقالت خاتون هو الذى نهب مالى . فصرف قبل التصريف
. ونكر قبل التعريف . ولميزل الخليفة فيمن يستوزره يفسكر حتى كاتب نور
الدولة الخليفة فى معنى ابن جهير وذكرا أنه خير وزير وظهير فاجاب الى
اعادته . الى عادته . ووصل فى ثانى عشر صفر وجلس له فى التاج . ووجد أمه
بالنجح مفتوح التاج . وقال له « الحمد لله جامع الشمل بعد شتائه . وواصل
الحبل بعد بئانه » وفى تلك النوبة مدحه صردر أبو الفضل بقصيده التى مطلعها
قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من دون الورى أولى به
وركب هو وولده فى . وكب واجتاز فى جميع محال الجانب الغربى
ونثر عليه أهل السكرخ الكياس الدراهم والدنانير وخرج اليه توقيع من انشاء
ابن الموصلايا . وتسنت له المراتب السنايا .

قال : وفى النصف من شعبان هذه السنة احترق جامع دمشق ففجع
الاسلام بمصابه . وصلت النيران فى محرابه . واشتعل رأس القبة شيباً بما
سبت . وأكلت أم اليلالى منها ما ربت . وطار النسربجناس الضرام .
وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام . وكأن الجحيم استجارت به فتمسكت
بأيله . أو كأن النهار ذكر ثاراً عنده فعطف على ليله . فوهاً له من مسجد

أحرقته نفحات أنفاس الساجدين . وعلقت فيه لفحات قلوب الواجدین .
وقبل أصابت حسنھا العیون . وأتهم بذلك الولاة المصریون . ثم تداركه الله
باللطاف والاطفاء . وأتاه بالشفاء . بعد الاشفاء . وقال حسبہ اصطلاء
واصطلاما . وحقق فيه قوله قلنا یا نار کونی برداً وسلاما .

قال : وفي سنة ٤٦٢ أقبل كلب الروم فی جموعه وأخنى علی من بمنج
واجتاحها . واستبي حاميتها واستباحها . وعاد الى قسطنطينية وقد ساءت آثاره
والدين قد ثار ثارہ . وفي هذه السنة زوج نظام الملك بنة عميد الدولة ابی
منصور محمد بن نخر الدولة الوزير بن جہیر . وصارت له مصاهرته خير
ظہیر . وكان عميد الدولة قد توجه الى السلطان بالرى فی رسالة فتلقي بکرامة
وجلالة . واستتمت له هذه المصاهرة . واستتبت المظاهرة . ووصل فی
رجب وفي صحبته رسل محمد بن بی هاشم وقد كان بعثهم الى السلطان وضمن
لهم إقامة الخطبة بمكة حرسها لله تعالى له وخلع الخليفة علی عميد الدولة فی بیت
النوبة فرفل فی ملابس الاصطناع . وجعل اليه لانهاء والمطالبة ومراعاة
الاقطاع . وقرئ له توقيع من انشاء ابن الموصلایا تمكن به من افتراء عذرة
الارتفاع وتصدر فی الوسادة . وتصدى للسيادة . وفي هذه السنة توفي
تاج الملوك هزارسب بن بنکیر بن عیاض منصرفاً من باب السلطان اب
ارسلان . وهو خارج من اصفهان علی قصد خوزستان . وكان قد علا أمره
وعرض جاهه وتزوج بأخت السلطان . واستظهر منه بالمكانة والامكان .
وتزوج بعده مسلم بن قریش بأخت السلطان زوجته . وتدرج الى درجته .
وفي هذه السنة ورد أمير الحرمین محمد بن أبی هاشم الحسنى الى بغداد علی
قصد الوفادة الى السلطان فکتب الخليفة معه بعد ان شرفه ورفعہ . وعاد فی

محرم سنة ٤٦٣ : من المعسكر السلطاني على باب آمد . وقد استفاد الزوائد .
وأفاد المحامد .

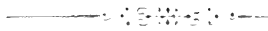
— — — — —

— ذكر أحوال الب ارسلان بديار بكر والشام —

— — — — —

قال رحمه الله : ولما توجه الب ارسلان الى ديار بكر خرج اليه نصر بن مروان وتلقاه وحمل له مائة الف دينار فقبل احسانه وأحسن قبوله . وسأل عن قضاياه وقضى سوله . وقيل أنه قيل له إن هذا المال قد قسطه على البلاد فامر برده . وعف عنه وعاف وبيل ورده . وانتهى الى آمد آمد من قصده . فوجد ثمرها ممتعاً . وسورها مرتفعاً . فسح السلطان للتبرك به يده على سورها . وأمرها على صدره . ثم توجه منها الى الشام وعبر بالرها . وتندر عليه أمرها . فخل بحلب وشرع في حصارها . وأحاط بأسوارها . وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس . وكان قد خطب في تلك السنة ابني العباس . وقد وجد لتشريف الخليفة خلف سروره جافلا . وأصبح في ملابس الجلال وخلع الجمال رافلا . وعنده من جانب الخليفة نقيب النقباء الكامل أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي فضايقه الب ارسلان وأخذ بمخنذته . ووقف على طريقه . وخرج نقيب النقباء وسأل أن ظل الاكرام عنه لا يخاص . وأن ورد الانعام عليه لا ينقص . فأبى الرضى عن محمود الا بدوس بساطه حامداً راضياً . ولغفوه عافياً . ولحق طاعته وضراعه متقاضياً . فلم يخرج اليه فاحتمد القتال . واحتدم النزاع .

وطال الحصار . وطارت الاحجار . ووقع في فرس السلطان حجر استشاط
من وقعه . وخاف محمود لما ضاق به الامر من اتساع خرق يعجز عن رقعته .
فخرج ليلا الى السلطان ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري يخضعان
ويضرعان وقالت للسلطان « هذا ولدى قد جئت بك به فافعل ما تحب . وقد
اعترفنا وعرفنا ان سلامتنا الا بسلمك لا تستتب » قال : فعفا السلطان وصفح
وأعاد محمودا الى مكانه محمود المسكنة . وقد ارتفع بالتواضع وتسامى بالاستكانة .
وأمنت الشبهاء . وسكنت الدهماء .



ذكر خروج ملك الروم وكسره وقصره وأمره

قال : وبلغ السلطان خروج أرمانوس ملك الروم في جمع لا يحصى عدده .
ولا يحصر مدده . فلما سمع هذا الخبر أخذ السير الى أذربيجان ذ سماع أن
متملك الروم أخذ على سمت خلاط . وكان السلطان في خواص جنده فلم
ير أن يعود الى بلاده ليجمع عساكره . ويستدعي من الجهات للجهاد قبائل
الدين وعشائره . فسير نظام الملك وزيره وخاتون زوجته الى تبريز مع أثقاله .
وبقي في خمسة عشر الف فارس من نخب رجاله . ومع كل واحد فرس يركبه
وآخر يجنبه والروم في ثلثمائة الف ويزيدون ما بين رومي وروسي وغزي
وقفجاقى وكرجى وأنجاني وخزرى وفرنجى وأرمنى . ورأى السلطان انه
ان تمهل لحشد الجموع ذهب الوقت وعظم بلاء البلاد . وثقلت أعباء العباد .
فركب في نخبته وتوجه في عصيته وقال « انا احتسب عند الله نفسى وان سعدت

بالشهادة في حواصل الطيور الخضر من حواصل النور الغبر رمسى . وان
نصرت فما أسعدنى . وأنا أمسى . ويومى خير من أمسى »

ثم توكل على الله وسار بهذه العزيمة الماضية القوية . والصرامة الصارمة
الروية . وكان متملك الروم قد قدم رؤساء مقدمين من الروس في عشرين
الف فارس ومعهم عظيمهم الأصب وصليهم الأعظم وخالطوا بلاد خلاط
بالبلاد والسلب والسبأ . فخرج اليهم عسكر خلاط ومقدمهم صندوق التركى
فصب صبح البيض على ليل النقع المظلم . وخاض الى العزم مشعراً نار الحريق
المتضرم . وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاد قائدهم فى القيد أسيناً أسيراً . فأمر
السلطان بجذع أنفه . وارجاء حتفه . وذلك يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة
٤٦٣ . وعجل الصليب السليب الى نظام الملك ليجعل انفاذه الى دار السلام .
مبشراً بسلامة الأسلام . وتلاحق عسكر الروم ونزل على خلاط محاصراً .
وأهلها واثقون بالله الذى لم يزل لدينه ناصراً . ونزل متملك الروم على منازل
فى انصار نصرانيته . وعمداء معموديته . فانزعج سكانها . وتزعزعت أركانها . وعلموا
انه ليست لهم بما نزل بهم طاقة . وان دماءهم لاشك بسيوف الكفر مہراقہ
فخرجوا بأمان وسلموا البلد فينتهم تلك الليلة عند بلاطه . تحت احتياطه . فلما
بكر يوم الأربعاء سيرهم بأسرهم فى أسر وأردفهم بعسكر مجر وخرج ايشيعهم
بنفسه . وهو فى جماعة حماة وحمله . ووافق ذلك وصول أوائل العسكر السلطاني
ووقعت العين فى العين . واجتمعت على المجادلة اجدال الجمعين . وجرى الخيل .
وجرف السيل . وانجر من الأرض على السماء الذيل . وصحت على الروم كسرة
اردهم . وصدفتهم عن مقصدهم وصدتہم . فانمكسوا الى مجثمهم فى مخيمهم
وانكشفوا بما تم من عرس الاسلام بأنهم . وشرعت المناز كردية يتسللون

فقتل الروم منهم من أدركه أجله ونجا الباقون . وعرف الروم أنهم لم يوتوا ملاقون .
وعاد متمسكهم الى مضاربهم وبات تلك الليلة والكوسات تصرخ . والبقوات
تنفخ . ولما أصبحوا بكرة يوم الخميس وصل السلطان اليه ارسلا نزل على
النهري ومعه من مقاتلة الا تراك خمسة عشر الف فارس لا يعرفون سوى
القتل والقهر . وكلب الروم نازل بين خلاط ومناز كرد في موضع يعرف بالزهرة
وهو في مائتي الف فارس من ذوي القلوب المدلهمة والوجوه المكفهرة وبين
العسكرين فرسخ . وبين مجرى التوحيد والتثليث برزخ . فارسل اليه ارسلا نزل
رسولا . وحمله سؤالا وسولا . ومقصوده ان يكشف سرهم . ويتعرف أمرهم .
ويقول للملك ان كنت ترغب في هدنة اتمناها . وان كنت ترهدها فيها توكلنا
على الله في العزيمة وصممناها . فظن انه انما راسله عن خور فاني واستكبر . ونبأ
وتمسر . وأجاب بانى سوف أجيب عن هذا الرأي بالرأى . وانتهى عن النهي الى
غاية النبي . فاغتاز السلطان وارتفعت بينهما المخاطبة . وانقطعت المواصلات . ولبث
يوم الخميس الخميسان يعبيان . ولداعى المنون يلبيان . والشمس تشكو حر
ما تصاعد اليها من زفرات الاحقاد . وكأنا شعاها دم اراقته على الآفاق
وخزات تلك الصعاد . والطلائع . على المطالع . والمنايا . على الثنايا . والعزم
السلطاني الى اللقاء مشرب . وللمضاء مستتب . فقال له فقيهه وامامه
أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي « انك تقايل عن دين الله الذي وعد
بإظهاره فالتهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر » فلما
أصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج . وارتجت السماء بالعجاج .
وقد لقحت الحرب العوان بالهتدة الذكور . والمسومة الفحول .
والكلمات الحماة يحمون حمى الحمام ويحومون حول الدحول . ووقعت الطوالع

فى الطوالع . وقرعت القواطع بالقواطع . وغنت الظبي ورقصت المرنان .
 ومال القنا وجالت الفرسان . ودارت الكؤوس . وطارت الرؤس . وما
 فتئت الفتيان تجور وتجول . والخرسان تصوب وتصول . الى ان دنا وقت
 الزوال . ودان لمقت الدين مقت النزال . وصدحت أعواد المنابر بالخطباء .
 وصدقت نيات أهل الجمعة للمجاهدين فى اخلاص الدعاء . فنزل الب ارسلان
 عن فرسه وشد للحزم حزامه . وأحكم سرجه وولجأه . ثم ركب جواده . وثبت
 فؤاده . وقوى قلبه . وسوى قلبه . وفرق أصحابه أربع فرق كل فرقة منهم فى
 كمين . وراح وله من الروح الأمين بحير أمين . ولما علم أن الكمين مكين .
 وأن الضمير شاهد بما يشهد من النصر ضمين . تلقى بوجه الحر حر الحرب
 واستحلى طعم الطمن وضرب الضرب . وحمل متملك الروم بججمه . وأخذ
 ببصر الدهر وسمعه . وأقبل كالسيل يطالب القرار . والليل يسلب النهار .
 وثبت لهم خيل الاسلام ثم وثبت . وجالت وما وجالت . واستجرت الروم
 الى ان صار الكمين من وراءها . ووقفت المنون بازائها . ثم خرج من خلفها
 وذوو الاقدام من قدامها . ووقعت نار البيض فى حلقاء هامها . فأذنت
 بانهمزاتها . وانكسرت كسرة لا تقبل جبراً . فطائفة لم تثبت للقتال ولم
 تصبر وطائفة تثبت فقتلت صبراً . فنانجت من أولئك الألوف آحاد . وما
 سلمت من أعداء الاسلام اعداد . وملك الملك ووقيد وقيداً . وأسر
 ولم يجد له معيناً ولا معيذاً . وركب المسلمون اكتافهم . وقتل الآحاد آلافهم
 وطهرت الأرض من خبيثهم . وفرشت بجثثهم . وصارت الوهاد باشلاء القتلى
 أكلاً . والمروت من قصد القنا أجماً

قال : وكانت مع الروم ثلاثة آلاف عجل تنقل الاحمال . وتحمل الاثقال

ومن المنجنيقات التي تحملها منجنيتي هو أعظمها وأثقلها . له ثمانية أسهم ويمد فيها الف ومائتا رجل ويحمله مائة عجل يرمي حجراً وزنه بالرطل الكبير الحلاطى قنطار . وكأنه جبل له في الجو مطار .

قال : وشملهم بأسرهم القتل والأسر . وبقيت أموالهم منبوذة بالمرء لا ترام . ومروضة لاتسام . وسقطت قيم الدواب والكرع . والسلاح والمتاع . حتى بيعت بسدس دينار اثنتا عشرة خوزة وبدينار ثلاث ادراع . ومن عجيب ما حكي في أسر الملك انه كان لسعد الدولة كوهرايين مملوك اهداه لنظام الملك فردده عليه . ولم ينظر اليه . فرغبه فيه كثيراً . فقال نظام الملك وما يراد منه عسى ان يأتينا بملك الروم أسيراً . وذكر ذلك استهزاء به واستصغاراً لقدرده . واحتقاراً لأمره . فاتفق وقوع متملك الروم يوم المصاف في أسر ذلك الغلام . ووافق تصديق قول النظام . وخلع السلطان عليه وقال « اقترح من العطاء ما أعطيك » فطلب بشارة غزنة

قال : ودخل السلطان الى اذربيجان بملكه وأيده . والملك في قيده . وصيده . وهو أسيف جهده وأسير جهله . ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله . فانه خرج وفي نيته فتح الدنيا وحتمت الدين . وقهر السلاطين ونصر الشياطين . ثم ذل بعد العزّ وهان . وتعرض للابتذال كل ماصان . ثم تعطف عليه السلطان وأحضره بين يديه وقال « اخبرني بصدقك في قصدك وما الذي قدّرت لو قدرت » فقال : « كنت احسب اني أحبس من أسرته منكم مع الكلاب . واجعله في السبايا والاسلاب . وان أخذتك أسورا اتخذت لك وقد ساء جورى ساجورا » فقال السلطان « قد عثرت على سرّ شرك فما ذا بك الآن نصنع . ونحن منك بما نؤيته فينا لانقنع » فقال « انظر عاقبة فساد

نيتى والمقوبة التى جرتها الى جريرتي « فرق له قباب الب ارسلان وأرسله
وفك قيده ووصله وأفرج عنه معجلاً . وسرّحه معجلاً . ولما انصرف الملك
ارمانوس مأنوساً ربي ناسه اسمه . ومحو من الملك رسمه . وقالوا هذا من
عداد الملوك ساقط . وزعموا ان المسيح عليه ساخط .

ذكر احداث حدثت فى هذه السنين

قال : فى آخر سنة ٤٦٣ توفى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المحدث الخطيب
مؤلف تاريخ بغداد وكان علامة دهره . وعالم عصره . وفى سنة ٤٦٤ كان
السلطان رتب لبغداد شحنة يقال له آيتكين السليمانى ووردها فى شهر ربيع
الأول فلم يرض الخليفة بتوليته وذلك لأن ابنه قتل أحد العلمان الدارية فصرفه
السلطان بسعد الدولة كوهرائين ووصل الى بغداد فى شهر ربيع الآخر .
فى جمع كالبحر الزاخر . ووقع باقباله الاحتفال . ورتب لحفله الاستقبال .
وخرج الناس على طبقاتهم لانقيته . وجرى القدر بترقيه . وجلس له الخليفة
فى دار ارسلان خاتون وتهذب البلد بسياسة . وتمت الحماية بحميته . وورد
فى آخر شهر ربيع الاول الوزير أبو الملاء محمد بن الحسين وعليه خلع سلطانية
وكان قد نبه السلطان الى خدمة الخليفة . لتقوية ما توهمه من الاسباب الضعيفة .
وخصه بالحلب والحباء . ولقبه بوزير الوزراء . وأقطعه النصف من اقطاع
الوزير نغر الدولة ابن جهير . فلما وصل تقدم الخليفة بأن لا يستقبل . ولا يحتفل

به اذا أقبل . ولا يقبل . فلما انتهى الى باب النوبى نزل وقبل الارض وانصرف . ولم يرض للقبول وما تصرف . وأقام ببغداد أياماً ثم رحل وحلّ بالحلة المزيديّة مستزيداً . وصرف أخوه أبو المعالي عن الحجية فعاد بعد ان كان حاجباً قريباً محجوباً بعيداً . وفى صفر من هذه السنة توجه عميد الدولة أبو منصور ابن الوزير بخلع امامية الى الب ارسلان بنيسابور ووكّل فى تزويج المقتدى بنت الب ارسلان المنعوتة بخاتون السفريّة . فسفر وجهه وجاهته بهذه السفرة الصفريّة . فلما وصل تلقى بالاعضاء واستقبل وتقدم بانزاله فى المرتبة الكبيرة . وترتيب الانزال الكثيرة . وعقد العقد للمقتدى على بنت السلطان فى أسعد ساعة . وأحسن عادة . وكان يوماً مشهوداً أزهر . قد نثر فيه الملوك الجواهر . ولما عاد عميد الدولة جمل على اصفهان العبور . فلقى من ملكشاه ولد السلطان الحب والحباء والحبور . وأفاض عليه الخلع الامامية فلبسها . وأحكم عنده قواعد الامور فى العواقب وأسسها . وكان ملكشاه قد عاد من شيراز وهو سائر الى والده . وورد المملكة منه ظمآن الى وارده . وعاد عميد الدولة الى بغداد فى ثامن عشر ذى الحجة . بادى الحجة هادى المحجة



ذكر وفاة الب أرسلان في سنة خمس وستين وأربع مائة.

قال : في أول هذه السنة توجه السلطان الب أرسلان اقصد بلاد الترك . وقد كملت له أسباب الملك . في أكثر من مائتي ألف فارس ومد على جميعون جسرأ . كما خط الكاتب على الفارس سطرأ . وكانت مدة عبور العسكر عليه شهرأ وكان قد تصدده شمس الملك تكين بن دقاق . والافبال قد بلغ السكالم وأوضح المنهاج . وأنه في سادس شهر ربيع الأول بكر وهو في الصدر الارحب والباع الاطول . والسكالم الابهي والبهاء الأكمل . وهو جالس على سرير سروره . لابس حبير حبوره . وسمطاً سماطيه المدودين من فرائد مفرديه منظومان . والبأس والنائل لاواياه وأعدائه مقسومان . والعطاء واقفون والموقف عظيم . والكرماء فائزون والمقام كريم . ولهيبة مالهكة . فخل اليه أصحابه مستحفظ قلعة يقال له يوسف الخوارزمي وهو يرسف في قيده . ولم يدر أنه يسرف في كيده . وحمل الى قرب سريريه وهو مع غلامين . وقد شدا بيده البدين . فقدم بان يضرب له أربعة أوتاد لتشد اليها أطرافه . ويعجل على تلك الهيئة اثلافه . فقال : « مثلي يقتل هذه القتلـة ويلقى هذه المثلـة » فحمى السلطان واحتد وأخذ قوسه وسهمه . وترك رأيه وحزمه . وأمر بخل رباطه . وان يخلى عن احتياطه . وقال للغلامين خلياك ورماد . فأخطأه وكان على تخت فوثب ونزل فوقع على وجهه في عنقه فجاءه يوسف فجأة فوجاهه بسكين في خاصرته . وكان سعد الدولة كوهرائين واقفاً فجرحه يوسف جراحات ونهض السلطان الى خيمة أخرى مجروحاً فاما يوسف

الخوارزمي فانه ضربه فراش أرمني بمرزبة على أم رأسه . فوفت الضربة بقطع أنفاسه . وأما الب ارسلان فانه أحضر وزيره نظام الملك فاوصى به واليه . وعول في كفاية المهمات وكف الملمات عليه . وجعل ولده ملكشاه ولي عهد . وفوض اليه الملك من بعده . وخص ابنه اياز بما كان لأبيه داود ببلخ وعين له خمسمائة الف دينار وقال له قصد نصرة أخيك وجعل القلعة بها ملكشاه وقال له ان لم يرض فضيق عليه واستمعن على قتاله . بما عين له من ماله . ووصى لأخيه قاورد بك بن داود بأعمل فارس وكرمان . وأجري له بتعين شئ من المال والأحسان . وانتقل الى جوار ربه فائزاً بالشهادة . حائزاً للسمادة . وكان مولده في سنة ٤٣٤ واستشهد وقد بلغ من العمر أربعين سنة وملك تسع سنين وشهوراً

قال : وحكى انه قال حين حينه . وقد عاين الموت بعينه . ما كنت قط في وجه قصده . ولا عدو أردته . لا توكلت على الله في أمري . وطالبت منه نصري وأما في هذه النوبة فاني أشرفت من تل عال . فرأيت عسكري في أجمل حال . فقلت اين من له قدر مصارعتي . وقدرة مارضتي واني اصل بهذا العسكر الى أقصى الصين . فخرجت على منيتي من الكمين قال : وكان الب ارسلان بالبرية باراً . ولم يزل احسانه عليهم من داره داراً . وكان يطبخ كل يوم خمسون رأساً من الغنم في مطبخه للفقراء وذلك سوى الراتب المعين للسماط برسم العسكر والأمرء . وكان اذا أمر ببناء أو عز بأن يكون أسعى بنيان وأسقمه . وأشرف مكان وأشرفه . ويقول « آثارنا هذه تدل على علو همتنا . ووفور نعمتنا » وخلف عدة من البنين وهم ملكشاه وتكش واياز وتتش وأرسلان أرغون وبوري برس

ذكر جلوس السلطان جلال الدولة ابى الفتح ملكشاه بن

الملك على سرير الملك

قال : ولما دفن الب ارسلان عند قبر ابيه بمرو اقام ابنه اياز بلاخ وعاد ملكشاه بالعساكر . وسمع قاورد بوفاة أخيه الب ارسلان فصار المرى طالباً وفى الملك راغباً . فسبته اليها ملكشاه وأمن ما كان يخشاه . وصار منها قاصداً للقاء قاورد ورده . وفل حده . فالتقوا بقرب همذان رابع شعبان . وكانت عسكر ملكشاه الى عمه مائلا . وبقوله قائلا . فلما تلاطم البحران . والنقى الجمعان . حمل قاورد على ميمنة ملكشاه وجعلها دكا . وأوسعها فتكا وحمل شرف الدولة مسلم ابن قريش وبهاء الدولة منصور بن ذيبس ومن معها من العرب والأكراد على ميمنة قاورد فدكوها وخرقوها . وغازأ أصحاب ملكشاه ماصح من كسر عمه وقالوا ما عرتنا هذه الا كدارالا من الاعراب والاكراد . وصدونا بقصدهم عن مراد المراد . فضى المنهزمون من أصحاب ملكشاه الى حقل العرب ونهبوها . وشنوا عليها الغارة وسلبوها . وجاء رجل من أهل القرى الى ملكشاه وأخبره بأن عمه فى قرية بقربه . وقد انفرد عن حزبه . فسار اليه وأخذه . وأمضى فيه حكم بأسه وأنفذه وتقدم الى كوهرائين بخنقه وهو يتضرع ويتضور . خنقه غلام أرمنى أعور قال : وملك ملكشاه . وجاءه الجاه . وحمل أمر امرائه بخلمه . وحكم برضاهم وأرضاهم بحكمه . وخلع على نظام الملك ورد به الملك الى النظام . وعول

عليه في تولى وزارته ومناعبه العظام . وأعطى سرهناك ساوتكين أعمال قاورد
عمه ولقبه بلقبه عماد الدولة وولاد ولاياته . وخصه بمناجيقه وكوساته .
وأجزل لامراء العرب والأكراد نصيب الاصطفاء والاصطناع . ووفر
حظه من التشریف والاطلاق والاقطاع

ودخلت سنة ٤٦٦ وورد في صفر منها سعد الدولة كوهرايين الى بغداد
بجلس له الخليفة القائم بأمر الله في ثاني صفر . وقام عدة الدين المقتدى على
رأسه وهو ابن ثمانى عشرة سنة وسلم الخليفة الى كوهرايين عهد الخلافة بعد
ان قرأ أوله . ومتضمنه انه جعل عليه في الملك معوله . وكان اذنا عاملاً لخاصة
والعامة في الوصول . ولم يمنع في ذلك اليوم أحد من الدخول . وورد الخبر
ب وفاة أياز أخى السلطان وكفى أمره كما كفى أمر عمه . قلبه من شغله واستراح
من همه . قال : وفي هذه السنة غرقت بغداد ولم يسلم سوى دار الخليفة .
وما في جوار سديها الشريفة . وغرق مشهد باب التبن وانهدم سورده .
وخرب معموره . فأطاق له شرف الدولة مسلم ابن قريش الفدينار وأعيدت
عمارته . وأمكننت زيارته . وورد مؤيد الملك أبو بكر عبيد الله بن نظام
الملك والماء طام . وغارب دجلة ذو سنم سام . وقد انسدت افواه الطرق
فترك استقباله للضرورة العائقة . ودخل على غير الصورة اللائقة . فانه ركب
في سفينة وانحدر الى باب المراتب ولما حاذى التاج قام اداء للواجب ولما قرّر
في منزله ظن ان الخليفة مانباً باستقباله الا وقد نبا عن تقبله . ومضى اليه
النقيمان وقاضى القضاة ولم يوصلهم بل ردهم . وصدفهم وصددهم . وقال : « جرى
بى تهاون وعلى تعاون » فأنفذ الخليفة اليه من أوضح له العذر . واستخلص
منه بانفاذ الخلع اليه الحمد والشكر . واستأذن الخليفة فى الركوب بباب المراتب

فأذن له وأُملي له . في كل نجاح أمله . قال : وورد عميد لدولة أبو منصور بن الوزير نخر الدولة من الرى مشمولاً من جلال الدولة ملكشاه بالاجلال . وترك استقباله لما اتفق في حق مؤيد الملك من ترك الاستقبال . وفي آخر هذه السنة توفي زعيم الملك أبو الحسن بن عبد الرحيم في الحلة المزيديّة . وكان مرشحاً للمناصب السامية السنية

— — — — —

ذكر وفاة القائم بأمر الله رضى الله عنه وتولى المقتدى بأمر الله

— — — — —

قال : وكانت وفاته ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ وقد كان زرع عمره استحياء . فما اقتصد . في ألم واقتصد . ونام منفرداً فانفجر فصاده لما غلبه رقاده . وخرج منه دم كثير أقوت منه قواد ونقبه والضعف قد تضاعف . والحمام قد شارف . فطلب ثقاته واستحضر عدة الدين وأودعه وصايا يكون بها عن القائم القائم . واحضر النقيبين وقاضي القضاة والقاضي أبا الحسن بن البيضاوي والقاضي أبا محمد بن طلحة الدامغاني والوزير قائم والقائم مستند في شباك . وهو في سكون يشعر بما ليس بعده من حراك . وقال لهم « اشهدوا على ماتضمنته هذه الرقعة التي كتبت فيها سطرين بخطي » ثم قضى نحبه وتولى أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم وبويع يوم وفاة جده وجلس في دار الشجرة على كرسي بقميص أبيض وعمامة بيضاء لطيفة وفوقها طراحة قصب درى

ودخل الوزير نخر الدولة أبو نصر وولده عميد الدولة أبو منصور واستدعى
 مؤيد الملك بن نظام الملك والنقيبان وقاضى القضاة وحضر أعيان الدولة
 من ذوى المراتب والكُفّاة . وهناك نور الدولة دبّيس بن علي المازيدى وولده
 بهاء الدولة وأبو عبد الله محمد بن حماد الاسدي وبايعوه . وعاهدوه على الطاعة
 وشايهوه . وصلى بالناس العصر فى صحن السلام وأثّموا به وصلى على القائم
 وأغلقت الأبواب ببغداد ثلاثة ايام لعقد المأتم وجلس نخر الدولة الوزير وابنه
 عميد الدولة ناهزاء ثلاثة ايام ومضى عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لأخذ
 البيعة عليه . وحمل عهده اليه . وعاد الى بغداد فى سنة ٤٦٨ ، وأوصله الخليفة
 الى مجلسه الأشرف . وخصه باكرامه الالطف . وكان قد سير من الديوان
 القاضى أبو عبد الله محمد بن محمد البيضاوى فى صحبة مؤيد الملك الى والده
 نظام الملك ليسير منه الى غزنة ويأخذ البيعة على صاحبها فعاد مصحوباً
 بالجدّة قد أترب وفرع الرتب . ولما سكن الى الثراء سكن الى الثرى . وتوفى
 فى شهر ربيع الأول من سنة ٤٧٠ . وكان فاضلاً على مذهب الشافعى
 ذكياً زكياً

قال : وفى سنة ٤٦٨ جد الجذب وحلّ المحل . وحطّ لالتحطّ الرحل .
 وأقوت القوة وعدم القوت حتى كفى الله النعمة . وكشف الملامة . قال : وفى
 هذه السنة تسلم نصر بن محمود صاحب حلب قلعة منبج من الروم وخلصها
 من أيديهم . وانقذها من تعليمهم . وفى سنة ٤٦٩ تزوج على بن ابي منصور
 فرامر بن علاء الدولة ابي جعفر بن كاكويه بارسلان خاتون بنت داود التى
 كانت زوجة القائم وكانت فارقت بغداد حين عرفت بوفاة أخيها الب ارسلان
 وخرج عنها وتوفى بعد ذلك القائم عنها فاستبدلت عن القرشى ديلمياً . وعن

الامام أمياً . وفي هذه السنة ورد الى بغداد الشيخ الامام أبونصر بن الاستاذ
ابى القاسم القشيري رحمه الله حاجا . وأوضح بعلمه منهاجاً . وجلس للوعظ
فى النظامية . وفى رباط الصوفية . وأبدى شعار الاشعرية . يزعم أنه
يحقق أدلة الموحدة المنزهة . ويبطل شبه الجسمة . فثارت الفتنة من العامة
وقصدت الحنابلة سوق المدرسة وقتلوا جماعة . وأظهروا شناعة . وكان
قد ورد مؤيد الملك بن نظام الملك من المعسكر فلم يطق دفعاً . ولم يستطع
منعاً . فنسب نظام الملك الى بنى جهير الجهر بتلك الفتنة . وحنا أحناء
لهم على الاحنة

واتفق وفاة ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة فى شعبان سنة ٤٧٠
ودفنت بدار الخلافة كراماً لأبيها . ولم تجر العادة بالدفن فيها . وانقطع
ما بين النظام . وبينهم من النظام . وأذنت عمرى النسب بالانقسام . ووصل
فى المحرم سنة ٤٧١ بشحنة بغير سعد الدولة كهرايين وضرب على بابه
فى أوقات الصلاة الثالث الطبل . وكان قد منع من ذلك وقيل لم تجر به
عادة من قبل . وأعقب ذلك عزل الوزير ابن جهير وذلك أن كهرايين
أوصل عند وصوله كتاباً من السلطان الى الخليفة يتضمن عزل الوزير فقبل
فى جوابه أنه ليس بوزير وإنما الوزير ولده عميد الدولة وقد قصد نحوكم
بالمعسكر . ووالده ينوب عنه الى أن يحضر . وكان عميد الدولة بعد وفاة
زوجته خرج الى المعسكر وعرف أن كوهرايين إن صادفه فى الطريق
صدفه وصرفه . فمرج بالجبال . وأتبع الترحال بالترحال . وجاء كهرايين
فى النصف من صفر الى باب الفردوس وهو على حالة من السكر فغلق
دونه الباب وربط هناك خيله . وأقام هناك يومه وليله . وقال « لا بد لي

من الوزير . ولا مهلة في التأخير » فلما عرف نحر الدولة الحال قدم السؤال وطالب الاعتزال . فأذن له أن يعتزل . ويلزم المنزل . وخرج الى كهرائين توقيع فيه لما عرف محمد بن محمد بن جهير ما عليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الأذن في ملازمة داره الى أن يكتب الى أموره . ولم يزل عميد الدولة يستعطف نظام الملك حتى عطف . ويتألف قلبه حتى انقلب الى ما الف . والزمه تقداً منه . وزوج ابنته بابنه . وكتب الى كهرائين باعادته الى الخدمة . وزيادته في الحرمة . وسأل الخليفة الاغضاء عن ذلته . ولما وصل الى بغداد عزله الخليفة عن خدمته . ونقله الى منزله عن منزلته . ورتب الوزير أباشجاع محمد بن الحسين نائباً في الديوان وجلس بغير منخدة ثم توزر عميد الدولة ابن جهير للخليفة المقتدى في سنة ٤٧٢ هـ وأفيضت عليه خلع آذنت بتبجيله . وتولى أمين الدولة ابن الموصلايا قراءة توقيع خرج في حقه بتجميله .

قال الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني رحمه الله : ولما كان الكتاب الذي صنعه أنوشروان الوزير عربته ودميته وقد انتهيت في هذا الموضع الى مفتتحة وصات هذه الجملة التي ذكرتها به وجعلتها طريقاً الى دخول بابها لكنني عند انقضاء أيام كل سلطان أوردت حوادث تجددت في عصره . وأخل أنوشروان ينشر حديثها وذكره . ومن هاهنا يقع بما بدأ به البداية . وتكمل بتريبه والاعراب عنه العناية .

✽ أيام السلطان جلال الدنيا والدين أبى القتح ملكشاه ✽

✽ ابن الب ارسلان يمين أمير المؤمنين ✽

---:---:---

قال : عقدلواء سلطنته فى أيام أمير المؤمنين القائم بأمر الله رضى الله عنه وعصر خلافته قد قارب انتهاءه . وشارف انقضاءه . ولحق عند وفاته بهذين البيتين .

سلا أم عمر وكيف بات أسيرها * تفك الأسارى حوله وهو موثق
فان كان مقتولا فى القتل راحة * وان كان ممنونا عليه فطلق
وتولى بعده الخلافة أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أنار الله برهانه
وبايعه هذا السلطان . قال : وكان ملكشاه ملكا سيرته العدل . وسريته
الانصاف والفضل . شجاعا مقداما صائب الرأى والتدبير . حقيقا بالتاج
والخاتم والسرير . أيامه فى أيام آل سلجق كالواسطة فى العقد قد تناسبت فى
الحسن بدايته ونهايته . وتناسقت فى الاقبال فاتحته وخاتمته . ولم يتوجه
الى إقليم الافتحه . وقهر العدو وفدحه . ولما توجه الى الشام وانطاكية
بلغ الى حد قسطنطينية وقرر الف دينار أحمر يحمل الى خزانته من تلك الولاية
ووضع فى النواحي التى فتحها من الروم خمسين منبرا إسلاميا وعاد الى الرى
وقصد فتح سمرقند ولم تزد مدة هذه الاعمال على شهرين

ولما وصل سمرقند نزل عليها وحاصرها فظفر بخانها وهو فى موضع سلطانيها
وجرت له حروب عظيمة هزمه فيها وكسره . وظفر به وأسره . فحمل غاشية

السلطان على كتفه وسار في ركابه من موضع سرير افراسياب الذي كان ملك ملوك الترك الى موضع سرير ملكه وحمله أسيراً الى العراق . تحت الوثاق ثم من عليه بالاطلاق . وأنعم عليه باعادته الى ملكه . واعادة نظمه الى سلكه . وتوجه السلطان في السنة الأخرى الى أوزكند ووصل حمل انطاكية اليها وانقاد له ملك الترك ووصل به الى اصفهان ثم أكرمه وشرفه وأعاده الى مقره من بلاد الترك وهذه السعادة كلها انما تسرت بسعادة الوزير الكبير خواجه بزرگ قوام الدين نظام الملك ابى على الحسن ابن علي بن اسحاق رضى أمير المؤمنين الوارف الظل الوافر الفضل . وكانت وزارته للدولة حلية . وبهجته للمملكة زينة . كأنما خلقه الله لملك والجلالة مصوراً . وكأن الاقبال له معلما والظفر مسخراً . قد مشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه وكانت ملوك الروم وغزنة وما وراء النهر في ظل حمايته . وكنف رعايته . وكانت ملوك الأطراف يقبلون كتفه اجلالا وتشريفا ويتشرفون بلبس خلعه وكانوا انجاداله على أعدائه وجبرّ الجحافل الثقيلة . والعساكر السكيفة . وبقي في صدر الوزارة ثلاثين سنة . قال كنت في مبتدأ أمرى في خدمة الأمير يحيى أسفهلار خراسان فأشخصني اليه من موضع كنت متوليا له تحت التوكيل وانا متوجه نحوه خائب الأمل منكسر القلب على فرس حرون هزيل يتعبنى سيره وأنا في ضرر شديد من ركوبه فيينا انا سائر اذ ظهر من صدر البرية تركاني على فرس يجري جرى الماء رهوان فتمنيت معما كنت فيه من أم القلب ان أكون راكبا مثل ذلك الفرس فتقرب التركاني مني واختلط بالموكلين بي وكلهم ثم التفت الى وقال هل لك ان تقايض فرسك بفرسى خسبت انه يهزأ

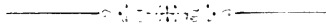
بنى وقت له يجوز مع ما انا فيه من هذه المحنة ان لا تستهزئ بى فنزل فى الحال
عن فرسه واعطانيه وأخذ فرسى واليوم منذ ثلاثين سنة اتنى لقاء ذلك التركمانى
وأسأل عنه ولا أجده .

قال : وكانت علامة نظام الملك الحمد لله على نعمه . وكان مؤيداً موفقاً
من جملة البشر . مخصوصاً من الله بالنصر والفتح والظفر . والدهاء ساكنة
في أيامه . وأهل الدين والعلم والفضائل راتعون فى انعامه
قال : وفى أيامه نشأ للناس أولاد نجباء . وتوفر على تهذيب الابناء
الآباء . ليحضرهم فى مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل أحد لمنصب
يصالح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل . ومن وجد فى بلدة قد تميز وتبحر
فى العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب . قال : وكأنا
عناهُ أبو الضياء الحمصى بقوله

وما خلقت كفاك الا لاربع * وما فى عباد الله مثلك ثانى
لتجريد هندى واسداء نائل * وتقبيل أفواه وأخذ عنان
قال : وظهر من تدبيره فى سياسة الممالك ما قاله سليمان بن عبد الملك
عجبت لهؤلاء الاعاجم ملكوا الف سنة فلم يحتاجوا اليها ساعة . وملكنا
مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة . قال : وفى عصره نشأ طبقات الكتاب
الجياد . وفرعوا المناصب . وولوا المراتب . ولم يزل بابهم مجمع الفضلاء . ولم يجأ
العلماء . وكان نافذاً بصيراً ينقب عن أحوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته
وخبرته ومعرفته فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاده . ومن رآه مستحقاً
لرفع قدره رفعه واعلاه . ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه . ورتب له ما يكفيه
من جدواه . حتى ينقطع الى افادة العلم ونشره . وتدریس الفضل وذکره .

وربما سيره الى اقليم خال من العلم ليحلى به عاطله . ويحيى به حقه ويميت
باطله . تولى الوزارة والملاك قد اختل نظامه . والدين قد تبدلت أحكامه .
في اواخر دولة الديلم وأوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين اقبال هذه
وادبار تلك وقد افقرت البلاد وأقوت . واستولت الايدى العادية عليها
وتقوت . وقامت النوائج على النواحي . والنوادر على النوادي . فاعاد الملك
الى النظام . والدين الى القوام . وعمر الولايات . ووالى العمارات . وكانت
العادة جارية بحماية الاموال من البلاد . وصرفها الى الاجناد . ولم يكن
لأحد من قبل اقطاع فرأى نظام الملك أن الاموال لا تحصل من البلاد
لاختلالها . ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها . فقرقها على الاجناد اقطاعاً .
وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً . فتوفرت دواعيهم على عماراتها . وعادت في
أقصر مدة الى أحسن حالة من حليتها . وكان للسلطان نسباء يدلون بنسبه .
ويدلون بسببه . ويستطيون بانهم ذوو قرابته فقصر أيديهم . ومنع تعديهم .
وساس جمهورهم بتديره ونظم أمورهم بسياسته . وربما قرر لواحد من الجند
الف دينار في السنة فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه في أقصى
خراسان وصاحب القرار راض . وليقينه بحصول ماله غير متقاض . وتوقيعه
مأمون التعويق . وتفويقه لسهم السداد مقرون بالتوفيق . فقسم الملك الذي
حازه السيف بقلبه أحسن تقسيم . وقومه أحسن تقويم . وكان ينظر في
الاولاف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في أمرها . ويخوف من
وزرها . ويرغب في أجرها . ويكافئها الى الأمانة . ولا يدهمها مأكلة للخونة .
ووظف على ملوك الاطراف وعلى أقاليم الممالك والامصار حمل الخزانة السلطان
يحملونها . وخدماء عن عصمة ولايتهم يوصلونها . وقرر بهم الحضور الى

الخدمة . وموالاة الخدمات للحضرة . والوصول بالعساكر الجملة . حتى
 ملأ الخزان بالذخائر . والملاأ بالعساكر . ونشأ له أولاد كبروا في دولته فاعطاه
 عقبتهم . وأعلى رتبهم . ثم أنه لما وفر الاموال على الخزانة والعسكر . جعل
 فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقاً لا تؤخر . ورسوماً لا تغير .
 وصير احسان السلطان بين أهل العلم . ميراثاً يأخذونه بقدر النرائض . ويأمنون
 بها منى النوائب والعوارض . فلا جرم تذللت له المصاعب . وتيسرت له
 المطالب . ودانت له المشارق والمغارب .



ذكر الأكاابر والاكتاب فى زمانه

وهم الكمال والشرف وسيد الرؤساء وابن بهمنيار وناج الملك



قال : كان نظام الملك . مؤيداً بقرينيين . مؤيدين لدولته أمينين . وهما كمال
 الدولة أبو الرضى فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشا والطغراء . وشرف
 الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء . وكلاهما
 صاحب الرأي والتدبير والجاه والمال والدهاء . ومعدن الفضل والعطاء .
 وكان لهما من الكبرياء نائبان والكمال ولد سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد
 وكان مقبلاً مقبولا قد اختصه السلطان بخدمته . واختاره لخدمته . واستأمنه
 على سره وبلغت مرتبته من اصطفاء السلطان الى غاية لم يبلغها أنيس . ولم
 يصل الى رتبها جالس . وقد كتب اليه السلطان يستبطنه بخط يده بيتاً

بالفارسية معناد انك لا تتأثر بالغبية عنى . فانك تجد من نانس به غيرى .
وأنا أثأثر بغيبيتك فانى لا أجد الانس بغيرك .

قال : نصارختنا لنظام الملك وتزوج بابنته . وزاد ذلك فى منزلته . وضرب
له سراق وله الكوس والعلم . والحيل والحشم . وأما النائب عن شرف
الملك فقد كان الاستاذ أبا غالب البراوستانى . من أهل قم والنجيب
الجرى باذقانى . ثم انصرف أبو غالب وتولى مكانه فى النيابة الأعز السكامل
أبو الفضل اسمعـد بن محمد بن موسى البراوستانى فلم يزل نائبا الى ان صار
استاذاً ولقب بمحمد الملك بعد شرف الملك ولم يكن لأحد من السلاطين
مستوف كأبى الفضل فى الضبط والتحفـظ . والذكر والتيقـظ . وحفظ
القوانين . وتدير الدواوين . وكان أيضا ملجأ لفضلاء الزمان . وموسعا
عليهم بالاحسان . وكان على باب السلطان وفى ديوانه كتاب فضلاء . وكفاة
كبراء . ونواب علماء اذكياء . وكان لمتولى فارس وزير يقال له ابن بهمنيار
ويلقب بعميد الدولة وهو رجل بصير بالاعمال ذو همة عالية . فاتصل بخدمة
السلطان وعات مكانته . وسمت منزلته . وصار بينه وبين سيد الرؤساء
اتحاد . وصداقة ووداد . وجمعت بينهما عاهة عداوة الوزير نظام الملك ومخالفته
وتصادقا على عداوته . وكيف تكون عاقبة حال المدبر . اذا عادى المقبل . فلم
يزال حتى نكبا وأهينا وطردا وهجرا بعد ذلك القرب . وأبغضا بعد ذلك
الحب . وسجنا واعتقلا . وحبسنا وسملا . وسقطت منزلة كمال الدولة أيضا
بسقوط منزلة ولده وأدركته حرفته . ونكبته نكبته . وخدم من ماله الخزانة
السلطانية بثمائة الف دينار وزادت جلالة نظام الملك بمداوة المذكورين
وتولى مؤيد الملك بن نظام الملك مكان كمال الدولة . من ديوان الانشاء والطغراء

واقام مدة واستناب ابا المختار الزوزنى ثم استعفى فتولى ابو المختار بحكم الاصلالة ونعت بكمال الملك . وكان من نواب كمال الدولة ابى الرضى وأتباعه فبلغ الى منصبه ثم انتقل الى جوار ربه . وكان الرئيس تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز من أولاد الوزير بفارس وقد خدم السر هنك ساوتكين مدة وهذا الأمير كبير الدولة والمتحكم فيها وكان قد اشى على تاج الملك عند السلطان وشكره وذكر انه يصلح لخدمته وقال انه معتمده على خزانته وأمواله وكان رجلاً سرياً بهياً فصيح اللجة . حسن البهجة .

له همٌّ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر له راحة لو أن معشار جودها علا البركان البر أندى من البحر فقبله السلطان وأقبل عليه وولاه وزارة أولاده الملوك وسلم اليه خزانته وولاه النظر فى أمور دورده وحرمة وعول عليه فى بعض الولايات وفوض اليه أمر بعض العساكر وجعل له مع ذلك كله ديوان الطغراء والانشاء ألبسه الله ثياب العلى فلم تطل عنه ولم تقصر

فاستناب عنه الكيا مجير الدولة أبا التفتح على بن الحسين الأردستانى وصار كاتب الرسائل وكان أوحد عصره . ونسيج وحده . وكان رجلاً سكيناً حسن السميت كثير الأدوات . موصوفاً بالثبات . فقير تاج الملك بهجته المقبولة واصفاء السلطان اليه أوضاع الممالك جميعها وبدد نظامها النظام . وبدد احسانها الحسنى . وأذهب حلاوة قبول الوزير من قلب السلطان . وظهرت عليه آثار الملل . ونطقت أساريره بأسراره كالماء يروح بأسراره صناؤه . ويلوح فى قراره حصباؤه . ومع ذلك كلما زاد تقرب السلطان لتاج الملك ازداد تقربه الى الوزير . بالتوقيع والتوفيق . فتد كانت هذبة نكبة

عميد لدولة وسيد لرؤساء . فلم يغتر من السلطان بذلك لادناء . لسكنه تحيل عليه . ودبت في الباطن عقاربه اليه . وكان يكرم مجد الملك المستوفى ويثني عليه عند السلطان . وكان سيد الملك أبو المعالي المنفل بن عبد لرزق بن عمر عارض الجند فقر به أيضاً تاج الملك وجعله من حربه و ستولى بهما على حيازة الامول ولاعمال وتفقوا على حل نظام الملك ومخائفة وغيره رأى السلطان في وزارته ورموه زلة ذاك الطود العظيم . ونثر ذاك السلك النظيم . وهو شيخ قد طعن في سنة . وبلغ بقوته أمد وهنه . وأيس من نجابة ولاده و طال عمره حتى سئمه . وأنس بالملامات فلن تؤلمه . فلم يكثر بهم . ولم يلتفت اليهم ولا تأثر بكيدهم . ولم يقم وزناً أمرهم وزيدهم . فقتل يوماً غيلة بسكين لمحمد . ودفن بدفنه الجود والفضل ولدين في ماحد . وذلك في سنة ٤٨٥

وتوفي السلطان بعد قتل لوزير بثثة وثلاثين يوماً ولم يعيش تاج الملك بعد ذاك أكثر من ثلاثة أشهر على الخوف وخطر ثم قتل قتيلاً ذريعاً . وبضع بالسيوف تبضيعاً . وسبب ذاك ان المماليك النظامية تهمود بقتله فجمعوا على عداوته وفتكوا به فعلم الناس ان سلامة تلك الدولة وربابها وسلامة سلطانها كانت بسلامة ذاك الشيخ منوطة . وبخياطته محوطة

قال : ولما مل السلطان طول مدته . واستطالة مكنته . نفذ اليه يوماً تاج الملك برسالة ووكل على انقله بعينين من أكابر خوصه حتى يبلغ في ابلاغها . ولا يراقبه في ادعيا . وكان مضمون الرسالة لك ستوليت على ملكي وقسمت ممالكى على أولادك واصهارك والمماليك فكأنك لى في الملك شريك . أتريد أن أمر برفع دواة لوزرة من بين يديك وخلص الناس من استطالتك فأجاب جواب مثبت رابط القلب حاضر القلب غير مرتاع ولا

مرتاب وقال : قولوا للسلطان كأنك اليوم عرفت نى فى الملك مساهمك .
وفى لدولة مقاسمك . وان دواتى مقترنة بتاجك فتى رفعتها رفع . ومتى
سلبتها سلب « فلما سمع جواب الرسالة ازداد فى غيظه عليه واستشاطته
وكان ماجرى على نظام الملك من لاغتيال تجويزاً من السلطان مضمرًا .
وأمر مبيتاً مدبراً .

قال : ونظم أبو المعلى النحاس أبياتاً بالفارسية يخاطب فيها السلطان
فقال ما معناه كأن ملكك من أبى على وأبى سعد وأبى الرضى بالعلو والسعد
مرضياً . فلما آل لى أبى الغنائم وأبى الفضل وأبى المعالي عاد من كسوة جمالها
عربياً . عنى بالاولين نظام الملك لوزير وشرف الملك المستوفى وكمال الدولة
المشرف المنشئ وعنى بالآخرين تاج الملك لوزير ومجد الملك وسديد الملك
المنشئ مع أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم وكان تاج الملك يظهره صائم الدهر
قال : ورأيت صالة لتاج الملك خمسة عشر ألف دينار فى كياسها .

قال : ومع خلاهم الرياضية . وحصل الزكية . لم يخلصوا من أبناء
الزمان ونشبت فيهم مخالب الهجاء . وعثرت بهم السنة الشعراء . وقد جمعهم
أبو يعلى ابن الهبارية فى قصيدته التى يقول فيها

لو أن لى نفساً هربت لما	ألقى ولكن ليس لى نفس
مالي أقيم لدى زعانفة	شم القسرون أنوفهم فطس
لى ماتم من سوء فعلهم	ولهم بحسن مدائح عرس
ولقد غرست المدح عندهم	طمعاً فحنظل ذلك الغرس
الشيخ عينهم وسيدهم	خرف لعمرك بارد جبس
كالجاثليق على عصيته	يعدو ودار خلفه القس

والناصح الغندور حتى الى
وأبو الفتوح انت تعرفه
وخليفة الرى اخيـث له
وأبو الغنائم فى تبـظـرمـه
والزورنى فـبـارـد سـمـج
لو أن نور الشمس فى يده
متخفف أى انى فهم دمت
.....

قد صار مال الارض فى يده
هذى امور الملك اجمعها
ولقد هممت بأن افارقهم
الكن شانى عن فراقهم
من ذا أروم وأجتيديه لقد
المقتدى المسكين ليس له
.....

هذا وكبرائين شجنته
.....

وأبوشـجـاع فى وزراته
أبى جهـير أرتجى وهم
أعلى أمورهم اذا نفق الـطـريـخ عنهم أو غـالـا الدبـس

جنب الوزير كانه جمعس
وسهيل مثل السكاب يندس
باتيس فرط القرب والانس
يعملو وليس ليومـه أـمـس
كالموت فيه البرد واليبس
من بخله لم تطلع الشمس
وأخفف من حركاته قدس
.....

عفواً وقيمة رأسه فلس
فسعودها من أجلهم نخس
وتجد بي عيرانة عنس
علمى بأن الناس قد خسو
عم البلاء وأشـكـل الـابـس
عقل ولا رأى ولا جس
.....

كالسكاب خب بارد نمس
.....

كالخرس لا بل دونه الخرس
بالامس اقرب سوقية غبس
طريخ عنهم أو غـالـا الدبـس

عرفوا ولا اهتزوا ولا انجسوا	وإنه لو ملكوا السماء لما
هيهات خاب الظن وخذس	باب برهيم قصده
جود فزال جود وحبس	فدكان محبوسا وكان له
.....
.....

— ذكر ظهور لاسماعيلية —

فل : فثبت النوب . وظهرت العجائب . وفارق جمهور من بيننا .
 جماعة نشؤوا على ضباغنا . وكالوا بصاغنا . وكانوا معنا في المكتب . وأخذوا
 حذا . وفرا من الفقه والادب . وكان منهم رجل من أهل لرى وساح في العالم
 وكانت صناعته الكتابة خفى أمره حتى ظهر وقام فأقام من الفتنة كل قيمة
 وستوى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة . وبدأ من القتل والفتك
 بأمر شنيعه . وخفيت عن الناس أحوالهم ودمت حتى استتبت على استتار .
 بسبب أن لم يكن الدولة اصحاب أخبار . وكان الرسم في أيام الديل ومن قبلهم
 من الملوك أنهم لم يخلو جانباً من صاحب خبر وبريد فلم يخف عندهم أخبار
 لاقصى ولادني . وحال الطائع والعاصي . حتى ولا في الدولة السلجقية
 الب رسالان محمد بن دود فقاوضه نظام الملك في هذا الامر فأجابه انه
 لا حاجة بنا الى صاحب خبر فان الدنيا لا تخلو اكل بلد فيها من أصدقاء لنا

وأعداء . فاذا نقل الينا صاحب الخبر وكان له غرض أخرج الصديق في صورة العدو والعدو في صورة الصديق . فأسقط السلطان هذا الرسم لاجل ماوقع له من الوهم . فلم يشعر الا بظهور القوم وقد استحكمت قواعدهم . واستوثقت معاقدهم . وأخافوا السبل . وأجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على كثير وهو يعلم انه يقتل فيقتله غيلة . ولم يجد أحدا من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة . فصار الناس فيهم فريقين فمنهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة . ومنهم من عاهدهم على المسالمة والمودعة . فمن عاداهم خاف من فتكهم . ومن سالمهم نسب الى شركهم في شركهم . وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين . فأول مابدأوا بقتل نظام الملك ثم اتسع الحرق . وتفاقم التقتق . ولما كانوا قد تجمعوا من كل صنف تطرقت الى جميع أصناف الناس التهم . ودب الي البرى السقم . وتوفرت على التوقي المهم . وتعين على السلطان أن يكشفهم مدافعا لئلا ينسبهم العوام وأهل الدين الى الإلحاد . وفساد الاعتقاد . كما جرى على ملك كرمان فان الرعية اتهموه بالميل الى القوم فبطشوا به وقتلوه وأقاموا ملكا آخر مقامه وسيأتى ذكر بعض الاحوال في أيام السلاطين الذين ولوا . وما كان سلطان يلى يثق بنخواصه . وسمى ذبوا الاغراض في ذوى اختصاصه . ولما عرفوا جسد السلطان في ابادة القوم سعى بعض الناس ببعض . وأحب وصمه بالإلحاد لسابق عداوة وبغض . ووصمه باسم لم يمح عنه غير السيف . ولم يجد محيدا عن التزام الحيف . وبقي في هذه الاصطككات والاصطدامات خلق كثير . وجم غفير . ولم يبق الاكابر في دفع ما عارأى ولا تدبير قال : وتوفى أمير المؤمنين المتسدي بأمر الله بعد سنة وكان في سنة

واحدة موت السلطان والوزير وجميع أركان الدولة . كل شيء هالك
الوجهه .

قال الامام السمد عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
الكتاب رحمه الله و قدس روحه

ذكر نبيذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه

أغفلها الوزير أنوشروان

قال رحمه الله : ولد ملكشاه في التاسع عشر من جمادى الاولى سنة
٤٤٧ وتوفي في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥ وعمره ٣٨ سنة وأشهر
وكان يعرف بالسلطان العادل ومن جملة عدله انه رأى شا كيا با كيا فسأله
عن موجب اشتكائه . وسبب بكائه . فقال اشترت بطيخا بدرهمات
لاعود بربحها على عيالي . وأعيد منها رأس مالى . فأخذها منى من يده قوى
اضعف عن الاخذ على يده . وتركنى التركى وهو يضحك من بلىتى وأنا
أبكى من نكدته . فقال له السلطان طب نفساً . واستبدل من الوحشة أنساً .
فهل تعرفه فانكر ممرفته وكان البطيخ في أول با كورته ولا يكاد يصاب
منه شيء في البلد فقال السلطان لبعض خواصه قد اشتيت بطيخاً فاجتهد
في تحصيله ولو واحدة فما زال يطلبه حتى قال له بعض الامراء عندى وقد
أحضره عبدى فلما علم ملكشاه احضر المتظلم وقال خذ بيد هذا الأمير فانه

مملوكي وقد وهبته لك ففدى نفسه عنه بثلاثة دينار . وأثرى صاحب البليخ بعد اقتار .

وكان محباً للصيد وقيل انه كان حصر عدد كل ما اصطاده بيده فبلغت عدته عشرة آلاف فتصدق بهشرة آلاف دينار . وكان بالعمارات ذا اهتمام . وبالزمامات فيها ذا غرام . خفر أنهاراً . وأوثق على المدن أسواراً . وأنشأ رباطات في المغاوز . وقناطر للجائز . ومن جملة جميل صنعه في العمارة عمارة مصانع طريق مكة ومنازلها . وتسهيل ما توعر من مسالك قوافلها . وخرج ستمة من السكوفة لتوديع الحجاج فجاوز العذيب وبلغ السبيعة بقرب الواقعة وبني هناك منارة ترك في أنائها قرون الظبي وحوافر الحمر الوحشية التي اصطادها في طريقه والمنارة باقية الى الآن تعرف بمنارة القرون وكانت قد خرج الى الصيد وعاد في ثالث شوال فابتدأت به حمى محرقة من امعانه في أكل لحم الصيد فتوفي في سادس عشر الشهر . وعاد الملك بظهور وفاته منتصم الظهر . وكانت قد جرت بينه وبين الخليفة في تلك الايام وحشة أساءت الظنون . ونسبت الى عوارضها المنون . ومن أسباب الوحشة اقتراحه على الامام المقتدي انتقاله عن بغداد الى حيث يختاره من دمشق أو الحجاز . وعدم من جانبه الامام ما يجب من الاكرام والاعزاز . فطاب منه المهلة . ثم كفى أمره ولم يخف النقلة .

قال : وقد كان قرر فتح أقاليم الدنيا فجعل الامير برسق لاروم فضايقها حتى قرر على قسطنطينية له في كل سنة حمل ثلثة الف دينار لاسلطات . وثلاثين الف دينار له جزية يؤديها الرومي بالصغار والهوان . وسير أخاه تاج الدولة تثنش الى الشام وقرر معه فتح ديار مصر وبلاد المغرب وأمر

مملوكيه بزان صاحب الرها وأق سنقر صاحب حلب أن يطيعاه على هذا الغرض . ويساعده على اداء هذا المفترض . وأمر سعد الدولة كبرائين بفتح بلاد اليمن . واستخلاص زبيد وعدن . فسير اليها جيشاً قدم عليه ترشك فضى اليها واستولى واستملى ومات بها وعمره ٧٠ سنة وهو مجدور وتولى مكانه يرتش صاحب قتلغ أمير الحاج . وجري في الاستيلاء على ذلك المنهاج . وأوغل ملكشاه في بلاد الترك حتى أطاعه صاحب طراز وكانت حلة الدولة بجلالة جلالها ذات طراز

وفي سنة ٧٣٠: عرض العسكر وأسقط منه سبعة آلاف رجل من الأرمن المتشبهة بالترك فضوا الى أخيه تكش بقلعة ونج فتوى بهم جانبه وشق عصاه بالعصيان والشقاق وما زال السلطان ملكشاه يقصده فتارة يصلحه وتارة يكافئه حتى ظفر به في سنة ٧٧٠: وقد كان عاهده أن لا يؤذيه فتوَّض السلطان أمره الى ولده أحمد فأخذه وسلمه . وفي سنة ٧٨١: دعا الاقيس تاج الدولة تنش بن الب ارسلان الى دمشق واثقابه خارجا عن خلافه وخرج اليه من دمشق مسلماً . ولحقه مستسلماً . فضرب رقبة صبرا . وونادره عاريا بالعراء غدرا . ودخل الى البلد مستبداً . وأصبح الملك به مستجداً . في هذه السنة استولى شرف الدولة مسلم بن قريش على حلب . وفي المحرم من سنة ٧٨٣: عاد السلطان ملكشاه من كرمان الى اصفهان وكان قد ورد اليها عام أول وخرج اليه ابن عمه سلطان شاد بن قاورد وعاهده وعاقده . وأخذ على العهد يده . وفي صفر تسلّم . مؤيد الملك من المهر ياط تكريت وقلمتها وأحكمها ووفر عدتها . وفي ليلة الاحد عاشر شوال توفي دبيس بن علي بن منيد وكانت امارته سبعاً وستين سنة وقام بالامر بعد بهاء الدولة منصور

ومضى الى السلطان وعاد في ثاني عشر صفر سنة ٤٧٤ بمكة قوية وقوة متمكنة . وقد تقرر عليه أربعون الف دينار في كل سنة

وفي شوال سنة ٤٧٤ خلع المقتدي على الوزير نخر الدولة ابن جهير وتوجه ليخطب للخليفة من السلطان ابنته وسار بعده أبو شجاع محمد بن الحسين الى المعسكر فان نظام الملك كان يكتب في ابعاده . وكان الخليفة راغباً فيه لسداده . فكتب بخطه الى نظام الملك يأمره بالعود الى المهود في حق أبي شجاع وأنفذ معه مختصاً الخادم فعاد الى بغداد في رجب سنة ٤٧٥ في حرمة وافرة وحشمة ظاهرة . وأما الوزير نخر الدولة ابن جهير فانه لما وصل الى المعسكر بجبل وعظم ومضى نظام الملك معه الى ترکان خاتون وخطابها في معنى الوصلة بابنتها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية قد أرسلوا في خطبتها وبذل كل منهم عن ولده لها أربعمائة الف دينار . فان بذلها الخليفة فاني أختار شرفه وهو أشرف مختار . فمرّتها ارسلان خاتون زوجة القائم ما يصير اليها من الجلال والجمال . وبين لها الفقيه المشطّب جليلة الحق وحقبة الحال . وقال هؤلاء عبيد الخليفة ومثله لا يقابل بطلب المال . فحينئذ أجابت وسددت الى الغرض وأصابت . وأخذ نخر الدولة يد السلطان على العقد وعاد في صفر سنة ٤٧٥ الى بغداد . وفي جمادي الاولى ورد مؤيد الملك من اصفهان الى بغداد ونزل في داره وضربت على بابه الطبول في أوقات الصلوات الثلاث . وعد ذلك من منكرات الاحداث . ووصل بعباء رضيه وقطع به ضرب الطبل . وأذنت الحباء بوصول الحبل . وفي شعبان من السنة جلس مؤيد الملك للعرز بأخيه جمال الملك وركب اليه نخر الدولة وعميد الدولة وأقامه فخر الدولة من العزاء في اليوم الثالث ومعه الموكب

« ذكر جمال الملك أبي منصور بن نظام الملك »

قال : كان كبير أولاد نظام الملك وفيه دهاء وجراءة وعزّة ونخوة وخاطبه أبوه في أيام الب ارسلان ان يوزر لولده ملكشاه فأظهر امتناع أبي . وقال « مثلى لا يكون وزيراً أصبى » ثم أقام ببلخ متولياً . وعلى نلك الممالك مستولياً . فسمع ان جعفر ك مسخرة السلطان . تكلم على والده نظام الملك باصفهان . وقرر الوزارة لابن بهمنيار فهاج وتغيظ وثار وأغذ السير من بلخ حتى وصل الى الحضرة وأخذ جعفر ك من بين يدى سلطانه وتقدم بشق قفاه وإخراج لسانه . فقتضى فى مكانه . ثم أوقع التدبير فى حق بن بهمنيار حتى أخذه وسلمه . ثم توجه مع والده فى خدمة السلطان الى خراسان وأقاموا بنيسابور . ودبروا الأمور . فلما أراد السلطان ان يرتحل استدعى بعميد خراسان أبي على وقال : أنا منفض اليك بسرّ خفى فقال أنا من كل ما أأمرنى به على أقوم سنن فقال : رأسك أحب اليك أم رأس أبي منصور ابن حسن فقال : بل رأسى أحب . وأنا لما تستطبنى من دائه أطب . فقال : له ان لم تقتله قتلتك . وصرفتك عن ولاية الحياة وعزالتك . فخرج من عنده ولقى خادماً بخدمة جمال الملك مختصاً . وعرف فى عقله نقصاً . فقال : ان السلطان قد عزم على أخذ صاحبكم وقتله غداً . والصواب ان تصونوا بآبادته حرمتكم أبداً . فظن السخيف العقل . ان ذلك عن أصل وجهل النظر ونظر عن جهل . وخاف على تشتت آل النظام بهذا الولد فعمد الى كوز فقّاع فسمه ولما انتبه صاحبه بالليل وطب النقّاع أناه بالكوز المسموم فلما شربه

أحسن بالموت فاستدعي أخته ليوصي اليها فقضى نحبه قبل ان تقع عليها عينه .
وكان السلطان قد رحل ونظام الملك قد سبقه فسار مغذاً أربع منازل حتى
لحقه ودخل الى الوزير ولم يعلم بوفاة ولده فمزّاه وقال : أنا ولدك والخلف
عمن ذهب . وأنت أولى من صبر واحتسب

قال : وفي سنة ٤٧٥ هـ سار الشيخ الامام أبو اسحق رسولاً من المقتدى
الى السلطان بعد ان أوصله الخليفة اليه وفاوضه شفاهاً وشكا من العميد أبي
الفتح بن أبي الليث شفاهاً . فوصل الى خراسان وناظر مع الامام أبي المعالي
الجويني وكان في صحبته من اكابر تلامذته الشاشي وابن قنان والطبري
وكان معه جمال الدولة عفيف الخادم وعاد الشيخ أبو اسحق الى بغداد
والقلوب الى حضرته . متعطشة . والعيون من غيبته مستوحشة . ثم توفي قدس
الله روحه في ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٧٦ هـ
ورتب مؤيد الملك أبا سعد المتولي مدرساً فلم يرض نظام الملك به وجعل
التدريس للشيخ الامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل . فاتفق خروج
مؤيد الملك وخرج معه المتولي فعاد متولياً . وفي رتب السموّ متعلماً . وقد
لقب شرف الامة وأبو نصر الصباغ مدرس . وتوفي يوم الخميس النصف من
شعبان وبقي المتولي مدرساً الى أن توفي في شوال سنة ٤٧٨ هـ . وعزل عميد
الدولة في صفر سنة ٤٧٦ هـ بكتوب خرج اليه من الخليفة واجتمع يارق
الحاجب والشحنة والعميد وأصحاب مؤيد الملك على باب عمورية حتى خرج
بنو جهير بأهلهم وحواشيهم . وكأهلهم وناشيهم . وساروا الى المعسكر .
وحصلوا على المنصب الأظهر . فان السلطان عقد على نخر الدولة بن جهير
ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوس والعلم وأذن له في الخطبة لنفسه .

وفي السنة باسمه

ثم أنفذ السلطان في سنة ٧٧؛ أرئق بن أكسب صاحب حلوان مع التركمان الى نخر الدولة مددا . وتوفي وتقوى بهم عددا وعددا . وكان بن مروان صاحب ديار بكر قد استنجد شرف الدولة مسلم بن قريش وأعطاه يده على ان يعطيه آمد اذا أمده وأيده . وقصد بن جبير الصلح وقال : « أكره أن يحل بالعرب مكروه أنا سببه » وعلم التركمان ما رآه . نغالوا هواه . وركبوا ايلا وأحاطوا بالعرب فهربوا وذهبوا . في كل واد وناد وسلبوا . ولم يخضر تلك الواقعة بن جبير ولا أرئق ونما أصطلى نارها الامير جبق وحقق دماء العرب واستولى على جميع جهالهم . وعامت أيدي العامة في أموالهم . وألجئ شرف الدولة مسلم الى فضيل آمد فعزت الحيلة وأعوزت الوسيلة . ووصى نخر الدولة بن جبير الامير أرئق بأن يأخذ عليه الطريق وقال اذا حصل شرف الدولة في اليد فتحنا للسلطان البلاد . وحوينا العاراف والتلاد . فبذل شرف الدولة للامير أرئق مالا لينرج عنه فقال الى المال وأظهر الغضب عن تحكم نخر الدولة ونفس عن خناق مسلم فسار الى الرقة وذلك في حادى عشر شهر ربيع الأول وقصد فخر الدولة ميا فارقين ومعه الامراء الاكابر سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة وأياز وترشك وخمارتاش فى عسكر كبيرين ولما قصد خلاط رجع هؤلاء عنه الى العراق وفى سنة ٧٩؛ خرجت ديار بكر عن نظره وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى . فاما شرف الدولة فانه لما وصل الى الرقة . أحمد عاقبة المشقة . وعدا ما بذله لارئق من الحقوق المستحقة . فأنجز الوعد وأرسل المال . وصدق المقال . ولم يشك السلطان لما نجي اليه الخبر ان شرف الدولة

قد قبض . وان مبرم أمره قد نقض . فخلع على عميد الدولة بن جهير وأنفذه الى ولايته . وكاتب التركان بطاعته . وأنفذ معه الامير آقسنقر قبل أن يصير صاحب حلب وسار في صحبته . واتصل به الامير ارتق وصار في جماته . ووصل الى الموصل فأطاعه أهلها . وتسهل له وعرها وسهلها . وتوجه السلطان الى بلاد مسلم بن قريش . في أقوى جأش وأوقى جيش . فلما علم سلامته ونجائه . وانه بالمكر قد فاته . أرسل اليه مؤيد الملك بن نظام الملك ووثقه بالايامن وآمنه بالمواثيق وقدم به الى السلطان وهو بالبوازيح . فأحلى له جنا الجناب المريع وأسأمه في مراد المراد البهيج . وكانت أحواله قد ذهبت . وأمواله قد نهبت . واستقرض ما خدم به وقدم خيله وفيها بشار وكان فرساً سابقاً مذكوراً وهو لذى نجا به يوم آمد وسبق ووثب الخندق وراهن السلطان شرف الدولة على مسابقته . فأجرا مع الخيل في حلبته . فجاء سابقاً ولما طلع صبح غرته من ظلام قتامة قام السلطان للاعجاب به وأظهر انه لاكرامه . وفي صفر سنة ٤٧٨ تجرّع شرف الدولة كأس الحمام . فانه فتك به خادم له في الحمام

قال : وكان المخفّر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء قد رتب في ديوان الخليفة بعد خروج بنى جهير واستقل بكل ترتيب وتدير الي أن وزّر أبو شجاع محمد بن الحسين في سنة ٤٧٩ لامير المؤمنين وخلع عليه خفمة الوزارة ولقبه ظهير الدين مؤيد الدولة سيد الوزراء صفى أمير المؤمنين . وخرج في خفته توقيع من انشاء أبي سعد بن الموصلايا ووصل عماد الدولة سرحهك ساوتكين الى واسط ومنها الى النيل في شهر رمضان وزار المشهدين الشريفين وأطلق بهما للاشراف مالا جزيلا وأستقط خفارة الحاج وحنر العلقمى

وكان خراباً من دهر . وقدم بغداد ولقاه الوزير أبو شجاع ووصل الى حضرة الخليفة ليلة الاربعاء ثامن ذى الحجة وخلع عليه . وأحسن اليه . وكان قد علق به السبل فسار لوقته الى اصفهان ونوفى بها في سنة ٤٧٧ هـ . وكان قد توجه جمال الدولة عنيف الى اصفهان في اتمام العقد للخليفة على بنت السلطان فعاد الى بغداد فخلع الخليفة على بن أبي شجاع وسنه يومئذ اثنا عشرة سنة ولقبه ربيب الدولة وأخرجه لاستقبال عنيف واستمر أبو شجاع في وزارته جريئاً في الشجاعة شجاعاً في الجرأة . أهلاً لمحمود الزمام ذاماً لاهل الذمة . وألزم اكابرهم بلبس الغيار . وأداء الجزية على وجه الصغار . حتى اسلم الرئيس أبو غالب بن الاصباغى غيرة من الغيار . ونفضاً لما كان على صفحات أحواله الحالية بموضع النصرانية من الغيار . وأسلم الرئيس أبو سعد بن العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن أخيه أبو نصر بن صاحب الخبر وكان في رتبته في السماء وذلك في رابع عشر صفر سنة ٤٨٤ هـ وثقلت وطأة الوزير . على الصغير والكبير . وترك المحابة في الدين . ووافق ذلك وصول كتاب من السلطان في عزله . ووقوع ضجر الخليفة من فعله فخرج التوقيع بصرفه في تاسع عشر صفر فانصرف وهو ينشد
تولاهوا وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

قال : وكانت أيامه أنضر الايام . وأعوامه أحسن الاعوام . فخرج ثانياً يوم عزله يوم الجمعة ماشياً الى الجامع من داره . في زى شاهد باستبصاره واعتباره . وانشأ الناس عليه يصاحفونه فانكر ذلك عليه وألزم داره . وضيّق الخليفة عليه أعذاره . ثم سافر في الموسم الى الحج وتوفى بالمدينة على ساكنيها السلام في النصف من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ هـ فدفن بالبقيع

عند قبر ابراهيم عليه السلام وكان . ولده بكنكور سنة ٤٣٧
ولما عزل أبو شجاع تولى أبو سعد بن الموصلايا النظر في الديوان .
وكان كبير الشأن كثير الاحسان . تولى ديوان الانشاء بعد سنة ٤٣٠ وعاش
الى أن ناب عن الوزارة المقتدية والمستظهرية ثم أعيدت الوزارة الى عميد
الدولة بن جبير في السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٨٤ وكان السلطان
ببغداد فركب نظام الملك وتاج الملك وأكابر الامراء الى دار عميد الدولة
لاجلاله . والتنويه بمنصب اقباله . وفي سنة ٤٨٢ درّس أبو بكر الشاشي في
التاجية ثالث عشر المحرم . وفي جمادى الآخرة توفي أبو القاسم الشريف
الدبوسي مدرّس النظامية . وفي محرم سنة ٤٨٣ قدم الشيخ أبو عبد الله
الطبري بمنشور نظام الملك متولياً للتدريس بالنظامية . ثم وصل بعده القاضي
أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي للتدريس بالنظامية أيضاً وتقرر ان يدرس
هو يوماً والطبري يوماً . وفي سنة ٤٨٤ قدم الشيخ أبو حامد الغزالي الى
بغداد للتدريس في المدرسة النظامية وكان في العلم بحراً زاخراً . وبدرّاً زاهراً .
وأشرق غرائبه في المشرقين والمغربين . وملاّت حقائب الملوين . وثقلت
نوارب الثقلين .

ذكر دخول السلطان ملكشاه الى بغداد

فأما في النوبة الاولى فانه دخل الى بغداد في رابع ذى الحجة سنة ٤٧٩
واله وزير أبو شجاع خرج لاستقباله . وتوفية حق اعظامه . اجلاله . وركب
(١٠ - آل الجوني)

فى اليوم الثالث الى الحلبه ولعب بالأكره وأنفذ اليه الخليفة أفراساً وأطافاً
وتصافيا وتهاديا ومضى نظام الملك الى المدرسة والى دار الكتب بها وقلبها
وتصفحها . ورمّ أحوالها وأصلحها . وعاد الى دار ولده . وثيد الملك فأقام بها
ايتين . وفى سابع عشر المحرم سنة ٤٨٠ استدعى الخليفة السلطان الى حضرته
على لسان ظفر الخادم فبشر وجهه وسفر ونزل فى الطيارة فلما وصل الى باب
الغربة قدّم اليه فرس من مراكب الخليفة . حتى انتهى الى السدة الشريفة .
وأمره الخليفة بالجلوس فامتنع . وتواضع حتى ارتفع . ثم أقسم عليه حتى
جلس . وزاد فى ايناسه فأنس . ولم يزل نظام الملك يأتى بأمر أمير الى تجماع
السدة ويقول للامير هذا أمير المؤمنين . ليعفرت بتقبيل الارض الجبين . ويقول
للخليفة هذا فلان وعسكره كذا وولايته كذا وكانوا فوق الاربعين وكان
فيهم آيتكين خال السلطان . فانه استقبل القبلة وصلى ركعتين . ومسح وجهه
للنبرك بأركان الدار من الجانبين . وعاد السلطان وعليه الخلع السبع والطوق
والسوار . وقد ظهرت عليه من آثار الجلالة الانوار . فمثل بين يدي السدة
الشريفة وقبل الارض مرات وأمر الخليفة مختصاً خادمه فقلده بسيفين وقال
الوزير أبو شجاع « يا جلال الدين سيدنا أمير المؤمنين الذي اصطفاه الله لعز
الخلافة . واجتباؤه لشرف الامامة . واسترعاده للأمة . واستخلفه لادين والملة .
قد اوقع الوديعه عندك . موقهها . واصطفى الصنيمه عندك . موضعها . وقلدك
سيفين لتكون قوياً على أعداء الله تجوس بلادهم وتذل رقابهم . ولا تألو فى
مصلحة الرعية مقاماً . ولا تدخر عنها اهتماماً . فبطاعته تقبل عليك الخيرات
من جوانبها وتدرّ البركات بسحائبها » وسأل السلطان فى تقبيل يد الخليفة فلم
يجب الخليفة الى تقبيلها . فسأل فى تقبيل خاتمه لترفيفها وتبجيلها

قال: وفي النصف من صفر خرج من بغداد الى خراسان . وأما النوبة الثانية من دخوله الى بغداد فانه دخل اليها في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٤، ومعه نظام الملك وتاج الملك وأكابر مملكته وأرباب دولته وبرز أمين الدولة بن الموصلايا لاستقباله . وخرج خروج الوزير في جميع أحواله . وخرج السلطان منها ومضى الى خوزستان في صفر سنة ٤٨٥، بعد ان سير قسيم الدولة آق سنقر الى حلب والامير بوزان الى الرُّها وحرَّان . وأما النوبة الثالثة فانه دخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥، بعد قتله نظام الملك ومعه تاج الملك وكانت وفاته بها في شوال

ذكر حوادث

قال : في ليلة السبت السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٤٧٨ توفي قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عليّ الدامغانى ومولده سنة ٣٩٨ ودخل بغداد سنة ٤١٩ . وولى القاضي أبو بكر المظفر بن بكران الحموى الشامى قضاء بغداد . وتوفي نحر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جيهير بالموصل في سنة ٤٨٣ ومولده بها سنة ٣٩٨

قال الامام عماد الدين رحمه الله : ساد الحديث الى تعريب كتاب أنوشروان

« ذكر حال ولاية السلطان أبي المظفر بركيارق »

« ابن ملكشاه برهان أمير المؤمنين »

قال : كان السلطان ملكشاه أربعة بنين وهم بركيارق ومحمد وسنجر
ونعمود وكان محمود طفلاً فبايعوه على السلطنة لأن أمه ترکان خاتون كانت
مستولية في أيام ملكشاه فلما درج بقي بحكمها ولأن الأمراء والوزراء كانوا
من صنائعها فاختاروا ولدها ولأن الخاتون المذكورة كانت من أولاد الملوك
ففضلوا ابنها على أن بركيارق كانت أمه ساجقية ولكن لم يكن من بني
السلطان بنفداد حاضراً إلا ولدها الطفل فبايعوه وساروا إلى اصفهان
وأجلسوه على سرير الملك وأخرجوا تلك الأموال العتيدة . والذخائر الطارفة
والتليدة . فقرقوها بأمر خاتون

قال : وفي أول العهد فتك بسلج الملك مماليك نظام الملك فانه كان وزيراً لخاتون
وولدها ولما سمع مماليك نظام الملك أن خاتون وولدها قد قصدوا اصفهان
خرجوا ببركيارق منها إلى الري وشرعوا في جمع العساكر عليه وحماتهم على
ذلك دخلهم القديم الذي في قلوبهم من تاج الملك وكانوا ينسبون إليه قتل
نظام الملك . وفي مبادئ هذا الأمر تولى المستظهر بالله الخلافة وأخذوا منه
بيعة محمود ثم جاء بركيارق إلى اصفهان محاصراً . ولم يكن معه أحد من أرباب
الدولة حاضراً . فان الكابر كانوا محصورين . واجتمعت عليه جماعة من أبناء
الدهر غير معروفين . ولما سمعت والدته باصفهان واسمها زبيدة خاتون انه
على قصد ما سفر وجهها للسفر . وخفر ما كانت فيه من ذمام الخفر . ومات

نحمود ومات والدته ولم تنقض سنة وتم الملك ابركيارق

سنة وزارة عن الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك

قال: كان شريفا خميّرا . لا يصيب رأيا ولا يحسن تدبيرا . بعيدا من الكفاية . قريبا الى الغواية . خاليا من المعاني . معروفا بالقصور والعجز والتواني . فلما زاد اختلال الملك . بعهد نظام الملك . ظنوا انه يرجع الى نظامه باحد اولاده فاستوزروه ووقروه وعززوه . وكانت علامته احمد الله واشكره وكان له أخ صغير اسمه عبد الرحيم فجعلوا اليه منصب الطغراء وقالوا أن هذا المنصب لا يحتاج الى فضل وليس الا مجرد ذلك الخط القوسى . وكان الاستاذ على ابن أبى على القسّمى وزير كمشتكين الذى كان قديما مريّا ابركيارق وآتابه . فحين ولى السلطنة نفذ أمره ومضى حكمه حتى كأنه فى الملك شاركة . وتولى الاستاذ على ديوان الاستيفاء وجرت بايالة هؤلاء فى الدولة أمور شنيعة وأحوال فظيمة ولو تمشى أمر من الأمور فأنما كان بكفاية الاستاذ على فانه كان يرجع الى نظر لودعى . ورأى ورى . والباقيون كالاصنام لا يضرّون ولا ينفعون . وأم السلطان قد خلعت عذارها ووافقت كمشتكين الجاندار على المنكر ومعاقرة المسكر والسايطان مشغول باللعب والعشرة مع عدة من الصبيان والوزير أيضا منهمك فى الشرب مع الاخذان . والمساخر والحجان . ووصلوا الى بغداد واختاروا المقام فيها . والهمهم مغانيها وغوانيها . وصار الامر مهملا . والعدل مغفلا . وكان من أكابر الامراء فى ثغور مصر والشام أميران

كبيران في الجاه والقدر . كافيان في حفظ الشعر . وهما آق سنقر ويزان .
فتابعا الكتب والرسل الى السلطان . بخروج عمه الملك تنش بن الب ارسلان .
وانه قد خرج من دمشق وقد حشد جموع التركان . فاقرا لهما كتابا حتى
يأس الاميران ووقعا في ورطة الشر وظنا انهما يقاومان تنش في رده عن
قصده فوقعا في طريقه حتى حصلا في قبضته . وقتلا بسيف سياسته . وتوجه
تنش نحو الري وهمذان وقم وجرباذقان وأمراء الدولة البركيارية كل منهم
في بلده مشغول بما هو فيه من القصف والذرف . قال : ومما قاله أبو منصور
الآبي أحد فضلاء العصر بالفارسية في قتل الاميرين ما معناه

قد غرقنا في الشرب والسكر حتى لم نفكر في سنقر ويزان

ما ظفرنا بالبيدق الفرد في الدسست ولكن قد أسلم الرخان

قال : والاجناد طلبوا اصلاح حالهم وركوا بركيارق واتصلوا بعمه
ووقع هو الى اصفهان وكان بها من بقايا الدولة الخاتونية جماعة اقوياء خبسوه
واتعبوهم فنهزم من مات في اعتقاله . ومنهم من فجع دون نفسه بماله . قال :
وكانت خراسان أيضا مضطربة وكانت بين ولدي الب ارسلان بوري برس
وأرغو مقارعات هرب منها مؤيد الملك ابو بكر عبيدالله بن نظام الملك الى
اصفهان فأرأوه أهلا للوزارة في ذلك الوقت فخلعوا عليه خلمة تامة للوزارة
وعاد به الملك الى النضارة . وكان مصرفا للسيف والقلم . عارفا بلغتي العرب
والمعجم .

له بين العوالي والمعالي وما بين المهندة الذكور

مقامات شرفن فما يبالى أمات على جواد أم سرير

ولم يكن في أولاد نظام الملك اكفى منه وكان أوحده العصر . بليغا في

النظام والنثر . فتقدم ونظم تلك الامور المنشورة . وطوى تلك السيئات المنشورة . وكانت علامته الحمد لله على النعم . فتوجه الى مصاف تتش وقال لمجد الملك أبى الفضل وهو منزو باصفهان « قم وصاحبني » فاجابه « فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » فلما ضرب المصاف كسر تتش وقتل في المعركة وتوحد بركياردق بالمملكة واستهرك بالوزير

قال انوشروان : كنت معه في المصاف وذلك في سابع عشر صفر سنة ٤٨٨ عند قرية يقال لها داشلو على اثني عشر فرسخاً من الرى فوصل مؤيد الملك الى السلطان في المعركة وهناك بالفتح فابتسم سروراً بما آتاه الله من المنح وقال له « كل هذا ببركتك ويتمن نقيبتك » فأمن الناس من أنه معزول . وانه وزير مقبول . وكانت وزارته في ذى الحجة سنة ٨٧ : ولما وصلوا الى الرى بعد الوقعة بادر مجد الملك أبو الفضل الى الرى من اصفهان واستمال فلب والدته السلطان في مبدأ الامر وتمكن من الدولة وقبض على الاستاذ على المستوفى فسمي واعمى . وبقى مؤيد الملك وحيداً يتوقع البلاء ويتعرض . ويتمثل أكلت يوم أكل الثور الابيض . وكان أخوه نخر الملك أبو الفتح المظفر اكبر سناً منه وهو حينئذ بالرى متمطش الى الوزارة فاطمه مجد الملك في موضع أخيه . وساعده على توليه . واعتقل مؤيد الملك وحبس . ورتب نخر الملك في الدست وأجلس . ولما كانت والدته السلطان صاحبة العناية بمجد الملك أعانت على مؤيد الملك فكتب من الحبس اليها أياً بالفارسية يستعطفها ويتضرع اليها . واستقل مجد الملك بالاستيفاء وغلب على الوزارة وبقى نخر الملك صورة بلا معنى . وكان أيضاً خالياً من الكفاية والفضل والادب . وعلما لكل شيء غير النسب . وهو أسير تصرفات مجد الملك وتابع رأيه وليس له

من رسوم الوزارة علامته وهي الحمد لله على نعمائه وقال . مؤيد الملك فيه
يتبين بالمارسية عربيهما عماد الدين وهما

ماذا أقول عن امريئ * جمع المعابر والمعاب

عادت مناقب ولدي * من شؤم منصبه مثالب

قال : وخلص . مؤيد الملك . من الاعتقال وأقام مدة مديدة في حماية بعض
الكبراء تارة في نهاوند وتارة في مشكان مظهراً انقطاعه الى العبادة ثم انه
قصد سرير الملك المحمدي في جنزة ورأى ان اقبال محمد على ادبار بركيارق
ناب . وانه لاحالة الملك أخيه وارث أو سالب . وكان في نفس محمد طاب
السلطنة فتقواها . مؤيد الملك وحقق رجاءها فيها فقبله الملك محمد واصطفاه
واستأمنه خلواته . واستشاره في عزيماته . ثم سلم اليه وزارته وشعف بقربه
واسكنه صميم قلبه . وقاب . مؤيد الملك . وكل بالانتقام . ورايه معمل في تسديد
مراحي ذلك المرام . ولم يزل يقرب على السلطان محمد البعيد . ويلين عنده
الشديد . ويحبب اليه الجد وينض اليه اللبس حتى حرك اليه ساكن ارادته
وسار من اران به في شذمة قليلة وبلغ به في مدة يسيرة الى دار الملك أصفهان
فتبوا بها سرير سروره . واجتأب حبير حبورده . وسمل اليه العساكر
واستقاد الى بهجته ونهجته الاسماع والنواظر . وأجأ بركيارق من الاوساط
الى الاطراف . ومنى بالاغتراب ولاعتساف . وقبض على الخاتون زبيدة
وحبست في قلعة الري ثم سعى . مؤيد الملك في خنتها خنقت وأحاطت به
أوزار قتلها وأحذقت . وأما مجد الملك فأنهم أفسدوا عليه قلوب العساكر وأضروها
بمضرته . وأغروها بطلب غمرته . فبضعوها بين الجمهور بسيو فهم أعضاءه .
ووزعوا أشلاءه . وذلك في سنة ٩٢٠ : وله إحدي وخسون سنة . وكان

رجلا . مواظبا على الخيرات والصيام والقيام . واقامة الصلاة . وايتاء الزكاة .
مديماً للصلات والصدقات . لم يسع فط في دم . ولم يخط الى مضرة أحد
بقدم .

— ذكر خروج السلطان أبي شجاع محمد بن ملكشاه —
قسيم أمير المؤمنين من جنزة وأرن الى الري وأصفهان —

قال كان هذا السلطان مؤيداً موفقاً . محققاً لارجاء فيه . مصداقاً . ميمون
النقيية . محافظاً على تقواه مع الشبيبة . يحب الاقتداء بآثار جده البارسلان
في سياسة المملكة وعلو الهمة . وكان وقوراً مهيباً . أريباً لبيباً . فلما جلس
على سرير ملك أبيه وجده ووجد قواعد الدولة بآيالة أخيه مختلة . وعقودها
منحلة . ضم النشر . ونظم المنتشر . وأحكم القواعد . وأبرم المعاهد . وأعاد مؤيد
الملك الى منصب أبيه في الوزارة . وملاً بسناه أفق السيادة . فلبس هذا
الصدر الامور بصدر واسع . ورأى رائع . وتدير لشمل السداد جامع .
فاستقلت الدولة باجتهاده عن كبوتها . وزالت نوبة نبوتها . وبقى سنين وقد
انتقم من خصومه باخذ الثار . وشفاء غل الاوتار . وحاز مال مجد الملك وسمى
في قتل زبيدة خاتون فلا جرم عاد مرتها بجرمه . وعثرت قدمه في ظلمة
ظلمه . وأسرده عسكر بركيارق في مصاف جرى بين الاخوين على حد
همذان وأحضره بركيارق بين يديه وأوثقه كتافاً وعصب لقتل عينيه وهو
قد رفع صوته بكامة الشهادة ولم يظهر منه جزع . ولا خور ولا فزع . فضرِبَ

بركيارق بيده عنقه. وكان قصد والدته السلطان والسعي في دمه أوبقه. فاعدم
مثل ذلك الشخص العديم النظير. وأعنى ذلك الوزير في حز عنق ذلك
الوزير. وهيهات أن يلد الزمان مثله في دعائه. وزكائه ورأيه وحياته. واطفه
وظرفه. ولبنه وعطفه.

قال: وآلت وزارة بركيارق الى الاستاذ عبد الجليل الدهستاني ولم يكن
له أثر محمود. ولا يوم في الكفاية مشهود. بل تفاقم شره الى أن أخرج املاك
الناس في الاقطاع. وكان في الظلم مستطيل اليد طويل الباع. ولم تطل أيامه فانه
بقر بطنه باطنى على باب اصفهان. قال: وبقيت حقوق مؤيد الملك عند
السلطان محمد محفوظ. وبعين الرعاية ملحوظة. فاعتقد أن نصير الملك ولده
النجيب وانه اذا ولاد قضى حق أبيه. فولاد وزارة بنيه. وكان يأنف الكلاب
من أومه. والبوم من شؤمه. ومعايبه لاتعد. ومخازيه لاتحد. وعن له ان
يشغل بعلم الاوائل فبلغ منه الى حد التعطيل. ووقف عند محار الدليل. وقد
صنف ابو طاهر الخاتوني فيه كتابا سماه نذير الوزير. الوزير الخنزير. وبطل
بعد مؤيد الملك ذلك الترتيب. وظهر على وجود الايام التقطيب. واستمرت
سنين بين محمد وبركيارق مضافات. وتمت مخافات واغات.

قال أبو شروان: وكنت قد جُعت بمصرع مؤيد الملك وأثر في قلبي
مؤلم ملمه. وأزعجني عن المقام مقيم همه. حتى حصلت بالبصرة فأقت بها مدة
ثلاث سنين. وصادفت اخواناً صادقين. من جملتهم الشيخ الامام أبو محمد
القاسم ابن علي الحريري صاحب المقامات يوافقني في الجد والمزحل طائفاً فينظر
من عيني ويسمع من سمى. وفي هذه المدة التي أقمت فيها بالبصرة درج
بركيارق وكانت وفاته بالسل والبواسير ببر وجرد في ربيع الآخر سنة ٤٩٨

وبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ووقع عليه اسم السلطنة وله اثنتا عشرة سنة وقاسى من الحروب واختلاف الامور ما لم يقاسه أحد فتفرد بالسلطنة أخوه محمد ودان له المشرقان . وتصرف بيده زمام الزمان .

قال أنوشروان : فجاءني يوماً توقيع سلطاني على يد أمير من بعض الخواص فاستدعاني واستدنانى فوصلت الى بغداد والسلطان محمد بها في وزارة سعد الملك ابني المحاسن سعد بن محمد الآبي وكان وزيراً سعيداً حسن الطريقة زاهدو وهداية . ورأى وكفاية . فجمع المساكر على الطاعة السلطانية وأطفأ نائرة الفتنة الشيطانية . وكان الامير الاسنهمسار اياز مقدم العسكر البركيارقي فلما توفى بركيارق صار اتابك ولده . ملكشاه فقام مقام والده . ورد ملكه به الى قواعده . فاهتم سعد الملك باستماتته . وحلف له على سلامته . فلما مكن من نفسه قتلوه . وأخذوا ملكشاه بن بركيارق فسللوه . وذلك في سنة ٩٩٩ : فزال الشنب وسكنت الدهماء . وكانت للوزير سعد الملك في هذه الحيل اليد البيضاء . قال : وسرت في الخدمة لما ساروا الى أصفهان . ومادام هذا الوزير في ولاية السلطان . ظهرت له آثار حميدة . وآراء سديدة . وكانت علامته الحمد لله على نعمه وكانت له في الباطنية نكيات . ورفعت له في فتح قلعة شاهدزرايات . وكانت قلعة منيعة على جبل اصفهان تناصى السماك . وتناظر الافلاك . وقد تحصن بها أحمد بن عبد الملك بن عطاش طاغية الباطنية في طائفته . وبلت أصفهان وضياعها ببليته . فسلها سعد الملك بالرأى الصائب . والعزم الثاقب . وتلطف في افتتاحها . ودبر في استئزال من فيها على ايثار الملة الاسلامية واقترحها . فأنزلوه من معقل الى عقال . وبدلوه آجالاً من آمال . وأصقوا خد تلك القلعة بالترب . ووضع الهناء فيها . مواضع النقب ،

وكذلك افتتح قلعة خان لنجان . وهي أيضاً بقرب أصفهان . وكانت قد خربت تلك الولاية بما لاهلها فيها من النكاية . وكان بأصفهان رئيس يقال له عبد الله الخطيبي وهو حاكمها والمستولى على رئاستها وهو رجل جاهل من أنواع اللوم خال محتال . يبدى تمساً باظهار زهد وورع محال على محال . ولم يكن له سوى ضخامة جثة . وفخامة حلية كثة . وكان لقائه الامى مقبولا . وكلامه السمي معسولا . وكان من هذا الوزير خائفاً . وبمعرفة الوزير بباطن شره عارفاً وطلب من السلطان خلوة غر السلطان فيها بتنميسه . وروج لديه سوق تلبسه . وتم نفاق نفاقه . وبرز هلال محالة من محاقه . وجرى من مناصبه على سمد الملك انه حقق في اعتقاد السلطان انه صديقه الصادق . ورفيقه الموافق . الا ان فيه عيباً واحداً وهو انه الى الباطنية مائل . وبمذهبهم قائل . وانه مجتهد في ازالة هذا الاعتقاد من قلبه . والمبالغة في نصحه . اشفافاً على ما أجده من حبه . فانه يعزى على فساد مثله مع فضله ونبله . واعتقد السلطان صدق قول الخطيبي وحسبه خالياً من الغرض . حالياً للنصح المفترض . ثم أغفل مدة وعاد اليه وآيسه من قبوله . وأسف على ما فاته اليه من سوله . وصار يشفع الى السلطان في تأجيل أمره . لاجل ما عنده من مودته . وان لا يعجل في عقوبته . وقد وضع من خواص السلطان صبيانياً على الوقوع في الوزير . وانه باطني الضمير . ولم يزل به حتى أوقعه في الحبس . ولما قيد رتب جماعة من الاوغاد شنعوا على الوزير في دار السلطان في مجمع من الامراء والقاضي حاضر . وقال كل منهم هو ملحد وكافر . ومازوا بالسلطان حتى صلب الوزير مع عدة من أكابر ديوانه . بهت عدوه وبهتانه . وذكر انه لما اطلع الوزير على مكيدة خصمه . دبر في مكيدة عليه . فعاد على الوزير وبالها . وآل الى

اهلاكهم آلهما . وذلك انه كان عارفاً بمكاتبات كانت بين الخطيبيّ ورئيس الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاءش في مبادئ أمره . وكان مطالما على سره . فأراد ان يستدعى بعض تلك المكاتبات بخط الخطيبيّ ويقول للسلطان هذا الرجل رءىنى بما هو مذهبه وشأنه . وخطه هذا حجة قولى وبرهانه . وأرسل فى ثقاته فى هذا المهم من كتب على يده بخطه توقيعا بالجواز . ولم يوصه بالاحتراز . فظفر بالرسول من كان مرتبا لحفظ طريق القلعة . ومنع الميرة عنها والطعمة . فوجدوا خط الوزير معه بالجواز فأخذوا الخط وكان من أعظم أسباب ذلك الخطب وذلك ان السلطان حفظ خطه الى ان قبضه . ثم عرضه عليه فصرح له ان كتابه للتلف عرضه . فلما أوتى كتابه . لم يمدّ جوابه . وما نبس بكلمة . ولا فاه بنت شفة . ولو قال لما سمع . ولو اعتذر لدفع عذره ومنع . وكان من أمره ما كان . ولاقى الرحمن . ولقد كان رجلا خيرا لائق الأديم . كريم الحليم . جامعا لآلات الوزارة . وأسبابها لا تشاء بقلم السيادة ودواتها

قال : وكان المستوفى فى وزارته للسلطان زين الملك أبو سعد بن هندو ولم يكن له أصل ثابت . ولا فرع ثابت . ولما تولى خرج واستخرج . وأمر وأمرج . وأخذ الاموال جزافا . وأسرف فيها اسرافا . ولما انقضى أمر سعد الملك رفعت عليه رفاع وأخذ وحبس واستصفيت أمواله ونهبت دورره وتخبطت أموره وبقي فى الحبس سنين . ولاقى العذاب المهيّن . وكان صاحب ديوان الانشاء فى وزارة سعد الملك نصير الملك محمد بن مؤيد الملك وكان مع جهله وعدم فضله للديوان به أبهة وجلالة . وحلية وحالة . فزلات به قدمه . ولم يأخذ أحد بيده . وبقي مشنوءا مهجورا مهجورا بكهده . وكان وكيلدر السلطان فى وزارة سعد الملك اميرى القزوينى المعروف بالزكي

ذو كيسة من جملة التجار وكان قد هرب من أبي مسلم رئيس الري والتجأ
الى سعد الملك، فإرا الوزير أن يكون بينه وبين السلطان من يتردد في المهمات .
ويأتيه بجواب الموامرات والرسالات . والذي يتولى هذا الشغل يقال له في
العجم وكيدر أي وكيل الباب ومنزاته أخص من منزلة الحجاب ويجب أن
يكون منطبقاً بليغا . متجرعاً في مضائق الكلام الغصص مسيغاً . مستتلاً
بإقامة الحجة عند الحاجة . متجنباً للسمجة . بقول ينسب الى السماحة عارفاً
بأخلاق السلطان في أوقات رضاه وسخطه . وقبضه وبسطه . فاذا وجدته منقبضاً
للطف في تشييطه مما ينفق عليه من الحديث الرائق . والقول النافق . حتى
إذا رأي منه سياء القبول حدثه بمقصوده . والأجري في الإمساك على
مهوده . فان السلطان لا يثبت خلقه على حالة . ولا بد له من ضجر وملالة .
وكان هذا القزويني خالياً من هذه المعاني كلها لكنه التمس الى سعد الملك هذه
الولاية فأجابه الى ملتمسه . ووافقه على هوسه . لسلامة نفسه . وذهب عنه انه
سوقي قفز من الدكان الى باركاه السلطان فزاحم أركان الدولة بالمكانة والمكان
وكان اذا خاطب السلطان وشافه حدث له عجب فانخرج وانخلع . وخرج
عما فيه شرع وجمع بين الاروى والنعام . والضباح والبغام . ثم لا يتكلم
الا بكل ما يضر . ويسوء ولا ييسر . واستنصر سعد الملك من جانب ذلك
العاجز بغير قصد منه في حقه وأي ضرر أقوي وأمكن من كونه قتل في
حبل خنقه . وكان عارض الجبش في وزارته أيضاً أبو الفناخر القمي وكان قد
غاب عليه في اصطلاح الخاصة والعامة نعت طرطنيل . وما عرفوه بغير
هذا الاسم الثقيل . وصرف في وزارته وولي عمله عز الملك بن السكافي
الاصفهاني وبقي فيه شهراً فلما أخذ سعد الملك اقترنت نكبته بنكبته .

واتفقت صلبته مع صلبته . واستدعى مختص الملك أبو النصر القاشي في
وزارة سعد الملك وصرف به من ديوان الانشاء محمد بن . مؤيد الملك فقبل
هذا وذاك طُرد . وأقيم ذاك وهذا أقعد .

قال : وخلا الميدان للخطيبيّ فصار محكماً للإسلام . وهو عند السلطان
متبول الكلام . وأصحاب السلطان عنه خاشون . والى بابہ غاشون . وكان
إذا سأله السلطان عن واحد كيف تعرفه أجاب مرة بلا أدري ومرة بلا أعرفه
وتارة بهاني فاني ابحت عنه واكشفه وتارة يشهد عليه بما يهدر دمه

قال : وحدثني ابن المطلب وكان وزير الامام المستظهر قال ما زال هذا
الخطيبيّ ببغداد يتوصل حتى ابصر قهرمانةً لدار الخلافة فقال لها اليوم أجرى
معي السلطان حديث هرون أخى الامام المستظهر وسألتني عنه فدخات القهرمانة
الى الدار واوصلت الى سمع أخيه ما حدثها به الخطيبيّ فقامت قيامة الخليفة
وتمكن الاستشعار من نفسه الشريفة فكتب الى الوزير يأمره بالركوب الى
الخطيبيّ ويحمله على الاضراب عن ذكر أخيه . ويحمل اليه ستة آلاف دينار
اميرية يدفع بها شره ويكفيه

قال : فاستأذنته في الركوب اليه في الليل . فانه اخفى لاوليل . فما صبر
ولا وجد القرار حتى ركبت اليه وأرضيته بما حماته . واستغفيتها عن حديث
هارون واستنزله

قال : وكذلك لم يترك من خواص السلطان أحداً الا لوّثه . وشوش عليه
رأيه وخبثه . ولم يغادر أحداً من الخاصة والعامة الا طرّق اليه ظنة .
او قلده بسكوته عنه مئة . وقال له السلطان يومنا كيف كان أصحاب دواوين
والدى وجدي في أديانهم . وانهم كانوا لا قدح في ايمانهم . فكيف اختص

هذا الاوث بزمانى وباصحاب ديوانى فقال اولئك كانوا من اصحاب خراسان .
 وهم اهل الدين والاحسان . وهؤلاء اهل العراق . اهل الاحاد والنفاق .
 فتخيل السلطان صحة مقاله . واستحكم تقريب الخراسانيين وابعاد العراقيين فى
 خياله . واعتقد انه ليس فى العراق مسلم . وان افق الملك بغير الشرفيين مظلماً .
 وكان بالعراق جماعة من اهل خراسان محرومون . مهجورون . من كل جاهل
 مجهول . وساقط ذى خمول . ومنزوا الى ناحية . ومتنح الى زاوية . ومتنمس
 بالرياء . ومتهوس بالكيمايا . وبطل مرجف . وعمال محترف . فلما عرفوا
 ميل السلطان اليهم رفعوا رؤوسهم . وعرضوا نفوسهم . وخطبوا المراتب .
 وطلبوا المناصب . وغفلوا بل غفل السلطان عن هذه النكتة ان خراسان
 عش مذهب الباطنية . وبها افرخ وباض . ومنها شاع وفاض . وفيها حصونه
 التى لم تفتح . وعيونها التى لم تمتح . وانقضى عصر سعد الملك سريعاً . وصار
 بالسكر الصريح سريعاً . وعاد الملك المريع منه مروعا .

— — — — —

— وزارة الامير ضياء الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك —

— — — — —

قال: لما نكب سعد الملك طمح الى الوزارة عمرو وزيد ووصل يوم
 نكبته الامير ضياء الملك وخطير الملك ابو منصور محمد بن الحسين الميبذى
 وكان قد استدعى من فارس فاختلفت عليهما الآراء فرأى السلطان حفظ
 الجانبين . وأمر بتوايهما الصاحبين . وجعل دست الوزارة للنظامى .
 ومنصب الاستيفاء للميبذى . والف بتأليفهما قلوب خواصه . وخص كلامهما

بإستخلاصه . وأعطى سياسة ملكه حقها . وجلا بسناء احسانه أفقها . قالت الحكماء : « منازل السياسة اربع فالاولى سياسة الرجل نفسه . والثانية سياسة أهله وولده ومن يضمه منزله . والثالثة سياسة بلد واحد يتقلده . والرابعة سياسة الملك كله . ففى عجز عن منزلة من هذه المنازل فهو عن التى نلها عجز » لا جرم ابتلى هذا الوزير بشفعة نسبه . وهو غير خبير بسلوك مذهبه . ولم يكن من شغله ولا من اربه . وكانت علامته احمد الله على نعمه . فقضى حقه بشغل عجزت للقاء الدهاة عن القيام به ووقع اسم الاستيفاء على الخطير كما يدعى بالجهل . اسم النبوة ابو جهل . فلم يكن للمنصب المأهول دسسته بأهل . وخواجه مختص الملك صاحب ديوان الرسائل . معدم من الفضائل . وهو عند اولئك اكتب الكتاب ويعجز عن كتب خمسة اسطر بالفارسية فضلا عن العربية

قال انوشروان : وانا ولانى السلطان الخزانة فانه استدعانى الى خلوته وخصنى بكرامته . وسلم الى خزائن ممالكه وكان هؤلاء الاكابر انما يصلون الى السلطان فى الباركاك اذا جلس امامته وانا اختص بخلواته واستسعد بمحادثته . فعظمت وجاهتى بمواجهته . وحسدنى اكابر الدولة على منزاتى . وانتظروا زاتى ومنزاتى . واتفق فى ذلك الوقت ان الامير السيد ابا هاشم الحسنى رحمه الله رئيس همذان . قد تغير عليه رأى السلطان . وذلك لان قوما من ارباب الدولة تناصروا عليه . وادبوا عقارب مكايدهم اليه . وأطمعوا المتوج بن ابى سعد الهمذانى فى ايلة همذان ورئاستها وكان المتوج هذا من جهة الرئيس منكوبا . ويده مضروبا . فاوقعوه فى معارضته . وعرضوه لواقعته . وأنما توالى الامير السيد وعلى اولاده باب داره . وسدوا عليه طريق فراره .

وقرروا عليه سبعمائة الف دينار احر . سوى ما يلزمه من توابع ولوازم هي
أكثر من ان تحصر

قال انوشروان : فامرني السلطان بالمسير الى همدان لاستيلاء هذا
المال . وعاد السيد ابو هاشم وهو شيخ كبير قد ضعف بصره . واختل
نظره . فعظم عنده ما قررده عليه واستكثره . فحضت له النصيح وضمنت له
النجاح . وعاقبته على مساعدته . وعاهدته على معاضدته . ووعدته بالسعي
في اصلاح حاله . وانجاح آماله . ونقد سبعمائة الف دينار عتيق في سبعة أيام
من موجود خزانته . ولم يستعن بأحد من أهل مدينته . وحثاً على المسير .
ولم يأذن لنا في المقام اليسير . فحين اوصلت المال الى خزانة اصفهان . ولقيت
السلطان . شافهته بحقيقة مرده . وعرفته باختلاف صحاب الاغراض بالباطل
في حقه . فامر السلطان باعادته . الى رئاسته . ومنصب سيادته . وسير اليه
الخلع السنية والتشريفات اللائقة بشرفه . وأحيى متلد مجده بمطرفه

قال : ولما حصل ذلك المبلغ في الخزانة سلمها الى . وعول في دخلها
وخرجها على . فتوليت الخزانة والزكى ذوكيسة فيها . وكذخداية الخزانة
به منوطة . وامورها بامانته مربوطة . ولما سار السلطان الى بغداد فتك
بالزكى هذاني سوقها فقتل في الحال قتله . ولم يعرف من اى وجه غالته غوائله .
قال : وقد سبق القول بأنه لم يخلص من طعن الخطيبي سوى مختص المالك
الكاشي . فلم يثبت على تلك الحالة فانه شرع عند السلطان يقدر في دينه .
ويجري من اشر في ميادينه . ثم انه قد نقش في لوح خاطر السلطان ان
الباطني لا يعرفه غير الباطني فاجتهد حتى دل على رجل من الباطنية من
الحواف مخفف . وفي بعض الزوايا مكثف . فاحضره وآمنه . وقوي نفسه

بما أمكنه . وقال له « لا بأس عليك ولا سبيل للاذى اليك » ولقنه أسامي مائة
نفس من خدام السلطان . وأعيان البلدان . وقال له « اذا سئلت عمن تعرفه
من الباطنية فاذكر هؤلاء . وعدهم على الولاء » فردده الى موضعه وقال
« لا تخف فانك ان أخذت أنجيتك . وان أخذ منك أعطيتك » فلما عاد
الرجل الى مكمنه حضر الخطيبي عند السلطان وقال : « قد دلت على رجل باطنى
فى موضع كذا وأرجو أن يقع فاعله يفتح علينا بشئ من أمر الباطنية » فامر
الحاجب بانفاذ من يأخذه فأخذ واحضر وسئل عمن يعرفه من الباطنية فى
البلاد والمسكر فاعاد ما لقنه من الخطيبي وأجري ذكر مختص الملك أبى نصر
والصفى القسّى أبى الفضل نائب الخطير فى ديوان الاستيفاء وكذلك عند قريباً
من مائة من المعروفين فأخذوا وسلموا الى الأتراك . وتعرفوا منهم فى الدور
والاملاك . وتشت أهلهم . وتفرق شملهم . وفى أثناء هذه المكايد
والحيل نزل الخطب بالخطيبي وضرب بغتة بسكين سكنت حركته . وأسكنت
نامته . واشممت به خاصة الزمان وعامته . وبقي المكذوب عليهم فى السجن
شهوراً . وانتقم الله ممن جاء فى أمرهم بهتاناً وزوراً . ثم تبين للسلطان بعد
قتل الخطيبي انه كان محالياً مستحلاً . مستبداً بالاحتيال والاعتقال مستقلاً .
وعرف أن ذلك الباطنى ذكر من ذكره بتلقينه فندم السلطان ولات
حين مندم . وأمر بالافراج عن أوائك المساكين . ولم يسمع السلطان بعد
ذلك حديثاً فى اعتقاد . ولم يصدق نسبة مسلم الى الحاد . واذا جرى عنده
حديث الباطنية قال « انهم فى القلاع وهى موضعها ونحن نقصدها ونقلعها ،
وشعف بمحاصر حصونهم وفتح قلاعاً لو بقيت الى الآن فى أيديهم لعم
العالم الكفر

قال : وكان شمس الملك بن نظام الملك أخو الوزير حاضراً و كنت متولياً لعرض الجيش فنقل هذا المنصب منى اليه بعد أن أخذ منه ألف ديناراً خدمة أوصلها الى الخزانة وبقي في قباب السلطان من مختص الملك شئ من الارتياح به لم يزل . ومن يسمع يخجل . ولم يكن ظهرت بعد احتمالات القاضى فأزال السلطان اختصاص المختص . وتعهد قواده شغله بالخص . وكان الامير العميد محمد الجوزقاني عميد بغداد فاستدعاه ونقل اليه منصب المذكور . واعتمد عليه في تلك الامور . وهو منصب الطغراء . وليس أكبر منه بعد الوزارة الا منصب الاستيفاء . ثم الطغراء . ومن جملته ديوان الرسائل والانشاء . ثم الاشرف ثم عرض الجيش . والطغرائي هو وزير السلطان في الصيد لغية الوزير وعليه المعول . فصار الامير العميد طغرائياً . وكان من كسوة الفضائل عرياً . وتولى أيضاً وزارة كوهن خاتون بنت الامير اسماعيل ابن ياقوتى زوجة السلطان وكانت وزارتها أيضاً منوطة بكفاية المختص فعرف من الشغلين . وتسلم الامير العميد المنصبين . وهذا محمد الجوزقاني كان ولد خطيب جوزقان . خرساني المولد والاصل وانما كانت الرغبة فيه خرسانيته . لا لانسانيته . وتعرف الى السلطان بالمذهب الحنفي ومشاغبته فيه . وادلاله بالتعصب بين ذويه اذا سلم عليه واحد لم يسمح له برد السلام . حتى يقول له ما مذهبك من أهل الاسلام . وكان قبيح الجبه . شديد النجه . صفيق الوجه . كابي براقش في ثلونه . وكالعمق في قلبه . وكالذئب في ثوبه . وهو خارج عن الحد في تعصبه .

قال : وكان قد خلاص زين الملك أبو سعد بن هندو من الحبس ونزل في المعسكر بغير شغل ثم داخل صدور الديوان . واستولى على المسكنة

والمكان . وكان خالياً من أدنى فهم . جاهلاً بكل علم . ومن جملة ذلك انه سلم اليه كتاب قرار ليكتب خطه بما جرى من قرار الديوان فيكتب كذا الاستقر بالالف واللام وكتب فلان بن فلان

تمس الزمان لقد أتى بعجاب ومحا صنوف العلم والآداب
وأتي بكتاب لو انطلقت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب
وكان الوزير ضياء الملك رجلاً سهلاً المحجة . صادق اللهجة . اذا جلس في صدر وزارته . وأحدق الصدور بوسادة سيادته . انار دسسته . وحسن سمته . وكان كل منهم اذا اجتمعوا سلقوه بالسنة حداد . وكدروا ورده فيما هو قانون الوزارة من الاستقلال والاستبداد . قال : ولما لم يكن مباشرة للوزارة صائبة . وكانت الآمال في نجه خائبة . لم تلق مدة ولايته تمكيناً وبقي بعد صرفه اثنتي عشر سنة مسجوناً . واتي أضعاف كرامته هواناً . ولم يصادف من زمانه واخوانه الا خوانا

قال : وتوفي الامير السيد أبو هاشم الحسني رئيس همدان فنقل من خزانته الى خزانة السلطان بعد ما أداه مبلغ مائتين وخمسين ألف دينار وما أثر ذلك في حال بيته . وقام حيه بتأثيل مجد ميته . وزاد تقريب السلطان لولده . وقوى يده على رئاسة بلده . وظهرت مخايل عصيان ملك العرب صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن مزيد الاسدي وذلك في سنة ٥٠٠ فتغير رأى السلطان فيه حتى جرّ اليه عسكره . وكدراليه . ومورده . ومصدره . وجرت بينهما وقعة غلبه السلطان فيها وقتله . واستضاف مملكته الى مملكته . واستخلص ما كان في يده من ولايته . وحيز أقليمه بقلم الحيازة الديوانية . وتصرف فيه كتاب الدولة السلطانية . ومنزقوا بالتبذير تلك الاموال الجزيلة

وخرّبوا بسوء التدبير تلك الأعمال الجليلة

قال : وقد كثر تعجبي من السلطان يتأنق في تخير كلاب الصيد وفهوده .
وانما يقتنى منها ما يراه موافقاً لمقصوده . فيسأل عن فروعه وأصوله .
وانقطاعه ووصوله . فما باله لا يتخير لديوانه . ومراتب سلطانه . من الكفاية
الأفاضل . والصدور الأماثل . من عرفه ذاك . وعرفه ذاك . وعرفه كريم .
ومجده قديم . وطريقه في الكفاية مستقيم . لقد كان هؤلاء أولى
بالاختيار . وأجدر بالاختبار . فانهم أمناؤه على مملكته . ووكلاؤه على
دولته . وسفراؤه في خدمته

— — — — —

✽ وزارة خطير الملك أبي منصور محمد بن الحسين الميمني ✽

— — — — —

قال الصادق عليه السلام : كل شيء يحتاج الى العقل الا الدولة . قال :
وقد عرف انه معدم من كل آلة وأداة . غير لائق برعاية يراعة . أو الاقة
دواة . حمار راح . جانح جامع . عضوض رفوس . حرون شمس .
معدن الغش والدغل . منبع المسكر والحيل . وكان قد وزر مرة أولى .
وعرفوا ان يده في القصور طولى . لكنه توسل في هذه المرة لعوده الى
الوزارة بجنس توصل بن جهير في الوصلة الى نظام الملك بابنته . وهذا لم
يكن له وصلة شرعية ولكن تم له الامر بمثل وسيلته . والى ذلك أشار بن
الهبارية في وزارة بن جهير

قل للوزير ولا تفزعك هيبته وان تعاضم واستعلى بمنصبه

لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر حراصرت مولانا الوزير به
 وكان رجلا جسيماً ملء التابوت . وعقله أوهن من بيت العنكبوت .
 فاذا استند الى مسنده في الديوان . اعتقد انهما مسندان محشوان
 وزير غاص في شحم ولحم ولم ينسب الى عقل وفهم
 اذا لبس البياض فعدل قطن وان لبس السواد فتل خفم
 وكانت علامته الحمد لله المنعم . وكانت له في الجهل نواذر شوارد .
 وبواذر بوارد . ومن جملة ذلك انه كان يوماً ببغداد راكباً في زى حسن .
 وموكب خشن . وجمع جم . وبهم وذم . وجلال الدين عميد الدولة أبو
 علي بن صدقة الذي وزر للمستتر شد مسيره . والجند قد عقدت بروايته
 ورويته اسماءه ونواظره . فالتفت الخطير الوزير وقال « قد أشكلت على مسألة
 لا بد من حل أشكلها . وانشاط قلبي من عقابها . هذه المواطة سنة قديمة
 سبق اليها القدماء . أو رسم مستحدث أحدثه السفهاء » فقال له بعضهم « هذا
 رسم قديم لقوم لوط » فقال الخطير « ومن كان لوط » فقالوا « نبي من أنبياء
 الله » فقال « متى كان قبل نبينا أم بعده » قالوا له « كان نبينا صلى الله عليه
 وسلم خاتم النبيين . وسيد المرسلين . ولا نبي بعده » قال « فما الذي قال
 فيه » قالوا له « قد أنزل الله في قوم لوط إنكم لتأتون الرجال شهوة
 من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون » قال « ما معنى تجهلون » وكان عجباً
 لا يعرف كلمة عربية فقالوا له « أي لا تعلمون » فقال « هذا حسب فالامر
 اذا سهل وعذر فاعله انه ذو جهل وأنا اعتقد انه أعظم وزراً وأرفع أمراً »
 فانظر الى جهالته في ضلالتة . ونزارته في وزارته . وكان مهذاراً مكثاراً
 لا يستر شواراً . ولا يحذر عشاراً . وما كفاه ذلك حتى استتاب بن السكافي

الاصفهانى الناقص الملفب بالكامل . الطويل بغير طائل . والشيخ الذى كان له
عند الكرام طوائل . طنّازُ غمّازُ . هماز لماز . وكان من نواب الدهر .
كونه نائب الصدر . يمين بان أخسته تحت الوزير . وهو بذلك بالغ القدرة
وانتقدر . وهو من الذين قال ابن الهبارية فيهم من أبيات في ذم أصفهان
بلد أبو الفتح اللّيثم عميده والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
وطريفة الكافى الطويل وشيخه مع انه دنس المحل خسيه
وابن الخطيبي الصغير محله قاض وجرو المندوى جليسه
فاتفق جميعهم على الواقعة فى زين الملك ابى سعد بن هندو . حتى بلغوا
فى مكروهه ما ودوا . فباحوا بسر سرائره . وحملوا السلطان على أخذه
بجراثره . وانما تمشّى لهم السعى فيه بما كثروا عند السلطان من ثروته . وقالوا
اننا ننقل ما أتى الف دينار الى الخزانه من خزانته . فأمر السلطان بأخذه
وتسليمه الى التونتاش . وأوقعه فى مخاب ذاك البطاش . فخلعه من اصفهان
الى مدينة ساود وصلبه يوم الجمعة فى شارعها . فلما قتل تصرفوا فى ماله .
وتدينوا باستحلاله . وأنسوا السلطان المائى الف دينار . وتحكّم ابن الكافى
فى ذلك المال . واستوعبه الكامل على الكمال . وأعيد فى وزارة الخطير ديوان
الاستيفاء الى معين الدين مختص الملك فتولى بعد العزل وتمكن من الشغل
وعبث بهم ابو طاهر اخاتونى فى أبيات فارسىة قال الامام عماد الدين :
وعرّبت بعضها وقلت

صدور ما بهم للملك اى---راد واصـدار

خفاف لو نفختهم وهم فى دستهم طاروا

رايتهم كما كانوا وأعرفهم كما صاروا

وكان الاستاذ الموفق ابو طاهر الخاتوني من صدور الدولة . وأعيان المملكة . وأفاضل العصر وامثال الدهر . ذافصاحة وحصافة . ولطافة وظرافة . في النظم والنثر جامعاً لادوات خدمة الملوك . خبيراً في مناهج المناهج بالسلوك . قد قلب الأُمور ظهراً لبطن . وجرب الحالين من قوّة ووهن . ولم يزل منذ نشأ الى آخر عمره صدرّاً كبيراً . ومشاراً الى صوبه وبالصواب مشيراً . وما زال الخاتون مستوفياً . وديوان السلطان بكفايته مكتفياً . فلما تولى هؤلاء عرفوا نقصانهم عند فضله . وانخفاض محلهم في البراعة عند ارتفاع محله . وعلموا انه لا يفضى عن عيهم عينه . وانه لا يقضى الا من عروض عرضهم ان قارضوه أو عارضوه دينه . فتخيلوا من تربيته وانتقاده . وتحيلوا بكل طريق بعد تقريبه في ابعاده . فتمحلوا له من جرجان شغلاً . وعدّوه له أهلاً . وجرّوا الى جرجان . جرّجان . ونقل من أعز مكانة الى أذل مكان . قال الامام عماد الدين رحمه الله . وشكا في أبيات عجيبة أعجام حظه واتهامه . واقتلال قلمه واعدامه . فعرّبها وقلت

لمرتبة السكّاب في عصرنا على رتبة نحن فيها شرف

وما عاد ذو قلم مفلاًحاً فان الفلاح لطبل ودف

قال : وكان مختص الملك ، قد شمر جفنه للشعر فيه فعاد كأنه شكل مثلث في عين رأسه . فقال فيه الموفق الخاتوني بيتاً بالفارسية مشتملاً على

معنى بديع وهو انه ينظر من مثلث عينه الى الناس نظر تربيع فقلت

لصدر الصدر ضيق في اتساع ويطمع في كمال من قصور

على التثليث ناظره ولكن من التربيع ينظر في الأمور

قال : وما زال الوزير يصغى فيه الى السعاة . ويسيم في مرعى سمعه

سرح الوشاة . ونسبوا اليه التقصير والتخليط . والافراط والتفريط . وأحال
الوزير عليه بمائة الف دينار وانتهز في أمره الفرصة . وأخذ في استدعائه
من جرجان الرخصة . فاستحضره وتشدد في إرهاقه . واستصفي ماله فعاد
ذلك باملاقه

قال القمّح بن عليّ البنداريّ الاصفهانيّ منتخب الكتاب : رأيت
بخط جدي رحمه الله اب موفق الدولة قال في تلك الحالة أحياناً مطبوعة
بالعربية ومن جملتها قوله

نهبوا ماملكت في بغدادى واستباحوا ذخائري وعتادى
فأنا اليوم غير ذقني وسنى مثلما كنت ساعة الميلاد
وهما الآن رهن قلع وتنف تحت هذا الابرار والارعاد

قال : فأحوجته الحوالات عليه الى الاستقراض . وانضاف اشتغال ذمته
الى الانفاض . وكان للاستاذ الموفق معرفة بالسكّال السـميرى وبينهما
صدّاقة صادقة . ومودة صالحة من كأس الصفاء غابقة . وسيأتى ذكر
السكّال عند انتهاء ديوان الاشراف اليه فى الايام المحمدية . وعند استقلاله
بالوزارة فى الايام المحمودية . ولقد كان من أوسع الصدور صدراً . وأرفعهم
قدراً . وأحسنهم تدبيراً . وأجملهم تأثيراً . وكان يلقب بعز الدين وهو فى منصب
مشهور . ومذهب فى السماح مشكور . فلما أُملى الموفق كتب اليه أحياناً
ذكره فيها بحقوق خدمته . وعقوق حظوته . وشكا فيها حاله . وهجا الوزير
وأشكّاله . قال عماد الدين . ولم بات لى تعريبها : ولم يأنس بخاطرى غريبها .
فأضربت عن ضربها . لما عصانى ضربها . وله فى شكوى حاله . ما عربت
معناه نسجاً على منواله . وقلت

وكم يذق في خدمة الشاه ساعة تفرز لما صار في سابع الدست
ولى أخدم السلطان سبعين حجة وها أنا حىّ للاضافة كالميت

قال : وملاً هذا الوزير الخطير مخازن مخازيه . والكامل بن السكافى
موازنه وموازيه . ولم يكن عنده من الله خبر . ولا فى قلبه من الدين أثر
وكما طال عليه الدهر تطاول على نبيه حتى تأسست بالشر مبانيه . وحلت
له مكاسب لا يرضى المجانين بها مجانيه . والسلطان لهم كاره . وضميره له
بما هم فيه مشافه .

ذكر جلوس شرف الدين أنوشروان بن ~~السلطان~~
« خالد فى نيابة الوزارة »

قال أنوشروان : فراسلى السلطان بخادم من خواصه . وشكا من
الوزير اعتياد اعتياصه . وقال « هذا الوزير قد أيسر من فلاحه . ولا مطمع
لى فى اصلاحه . وفى كل وقت يحكم فى بيتى من أولاد السكافى . غير كاف
واذا رمت وفيأ جاء فيه منهم بجاف . وقد عرفت يا أنوشروان طريقتك .
وعلمت حقلك وحقيقتك . وأنا أؤثر ان تنوب من قبلى فى الوزارة . وتعمر
مابني وبينك فى السفارة . حق العماره » فقبلت الأرض . وأدبت فى تولى
خدمته وشكر نعمته الفرض . وقدمت عذراً لا تئقاً بالحال . فلما انكره
سارعت الى الامتثال . وكان السلطان كريماً حليماً . لا يعجل مؤاخذه من

يخونه وان كان بحاله عليما . فحفظ قلب الوزير في نيابة ابن الكافي لما عزله .
وكان في نفسه مؤاخذته بالمال الذي اختزله . مراعاة لقلب الوزير . ومحافظة
على خطر الخطير

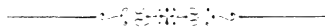
قال : وجلست في النيابة عنه . على السكره منه . وكان احترامه للوزير
لاتبجيلاً . بل تدفيماً لاوقت به وتأجيلاً . فأجلسني في الديوان مكرماً .
وعلى الصدور مقدماً . لكن الوزير اعتقد اني للسلطان عليه عين . فهو
يستثقلني كأني ممن له قبله ثأر أو دين . وكانت صحبته لي على مضض . وصحة
ملاقاه لي عن مرض . وصدور الديوان عن يمينه ويساره . ومؤثروب
لايثاره . يبدون لي بشري . ويضمرون لي شراً . واتفقت كلمتهم مع افتراق
طبائعهم على مضادتي . واعتقدوا حصول محابهم في محادتي . فما
اشترت بشعيرتين سبالهم . ولا شغلت بالي بما شغلوا به بالهم . ولما عجزوا
عن ايقاعني في مصائد المكيد . شرعوا في تعويق الرسوم والقوائد . وتوقفوا
في توجيه واجباتي من الديوان . وتوافقوا على قطع ما أطلق لي من صلات
السلطان . فكنت أنسلي بقول القائل

إن لله غير مرعاك مرعى ترتعيه وغير مائك ما

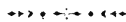
إن لله بالبرية لطفاً سبق الامهات والآبا

قال : ولم أخل من قصد الجماعة في نوبتي الوزارين الضيائية والخطيرية .
وما زالت تأتي منهم قوارض الاذية . وكان بين الوزير الخطير وبين المعين
المختص مناوشة ومناوأة . ومواحشة ومنافاة . وما كان يقدر أحدهما مع
المبالغة في قصد صاحبه ان يبلغ فيه غرضه . وكانما يخفي مرضه ومضضه .
حتى مال الوزير الى كمال الملك السئيرى فصار بينهما موازرة في أمر المعين .

ومشورة في تكدير ذلك المعين حتى بلغ فيه ما تمناه . واخصى يفتخر بزُبْ مولاه (وسياتى شرح ذلك في موضعه) وتوفى الامير العميد الطغرائي في وزارة الخطير . وخمد شرز شره المستطير . وجلس مكانه في ديوان الطغراء . وصدر الانشاء . الاستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصفهاني وكان ذا فضل غزير . وأدب كثير . وكان في حياة الامير العميد منشئاً على سبيل النيابة عن الطغراء . ثم تولاه بالاصالة متصدرا في دست العلاء . وكان مع ذلك بطي القلم كلياً . ملثا الخط عليه . وهتف به أبو طاهر الخاتوني في نظمه . وسلط سفيه الهجاء على حلمه . وأشار الى القلم في يده وقال كأنه وهو يجره برجله . مذب يعاقبه بجرمه . وكانت بديته ابيه . ورويته روية محببة . فاذا أنشأ تروى بطياً . وتفكر ملياً . وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة . والاستعارات الغريبة . وسندكر أحواله فيما بعد . وحال الوزير الخطير لما خانه السعد .



ذكر تولى كمال الملك علي السميرمي أشرف مملكة السلطان
 محمد بن ملكشاه وابتداء أمره



قال : كان كمال الملك علي بن أحمد من مدينة بقرب أصفهان يقال لها سميرم أهلها ذوو فطرة زكية . وفطنة ذكية . وكانت هذه المدينة في معيشة كهر خاتون زوجة السلطان وأبو كمال الملك زارع غلاتها . وقابض ارتفاعاتها

ووزيرها حينئذ الأمير العميد والكمال لسبب شغل والده وانجاح مقاصده متردّد اليه متودّد . ومتصدّد لأموره مسدّد . فاستجلاه واستجلده . واستكفاه وأحمد . واستنابه في خاصه حين استبان نصحه . واستوضح في ليالي نوابه بالنجح صبحه . فوفر ماله . وثمر حاله . وجعل له في العيون هيبه . وفي الصدور رهبة . فبقى الأمير العميد لايتمد في أموره الا عليه . ولا يسكن الا اليه . فلما اتفق مسير الأمير العميد الى بغداد في تولى العماره لم يكن له بد من اقامة نائب في وزارة كهر خاتون يلزم الدركاه . ويقيم له بخدمته عنه الاسم والجاه . فرأى ان الكمال أوفق وأوثق . وأشفي لصدوره في التصدر وأشفق . فاستنابه على انه لا يستعين فيما ينوبه الا بالعزير وكان العزيز ابو نصر احمد بن حامد رحمه الله عمي ول ماشب ومضى في البلاغة شباه . وعقد بحب العلي حباه . وصرف اليراعة بنانه . وعرف البراعة بيانه . وهو في الديوان الخاتوني نائب على الاصل يحكم . وشاب عند مشايخ صدور يجهلون ما يعلم . فلما تولى الكمال نيابة وزارة كهر خاتون انضم اليه العزيز فضم نشره . وحسن اثره . وأرشده ودبره

وكان الديوان الخاتوني في الوزارة العميدية خاملاً خامداً ماله غير رواتب . موظفة . ووظائف مرتبة . ومعاش مرسومة . وعوائد معلومة . ليس لنوابه في غيرها أمر ولا نهى . ولا لورّاده من سواها شرب ولا ري . وخاتون راضية بالهدو . متغاضية عن النمو . فعرفها الكمال ما في الخمول من ذهاب رونق السلطنة . وعزل ولاية القدرة المتمكنة . وكانت هي ابنة الملك اسماعيل البغاني من آذربيجان . وكان كبير الشأن . فقال لها « قولى للسلطان ان اجناد آذربيجان من صنائع والدى وأشياعه . وهم صاروا متبوعين فقد كانوا

أُمس من أتباعه . وأريد ان تكتب منشورا بأنهم في اهتمامي . وان امر معاشهم
 بـرم بـبرامى « فأجاب السلطان سؤالها . وكتب لها مثالها . فسيرت الكتب
 السلطانية . وأمر بخدمتها الامراء الآذربيجانية . فتبادروا الى بابها بتقبيل
 العتبة . ونأمل المرتبة . ووصلوا بالهدايا والتحف . والالطاف والطرف .
 وازدحمت على بابها وفود الملوك . واتسق الى قصدها سلك الفج المسلوك .
 فرأت من الدولة شيئا ما رأت . ورعت من الدولة روضا ما رعت . فتبركت
 بموضع كمال الملك . وسمع الامير العميد بان نائبه قد جاءه الجاه . وقبلت يديه
 الشفاه . فقام وقعد . وابق وارعد . وكتب بصرفه . والغض من طرفه .
 ومطالبته بفرعه . وعمل الحساب ورفعه . فلم ثلثت الخاتون الى قوله في كتابه .
 ولم تكثر بخطابه . وكتبت « ان هذا النائب عندى مرضى . وحقه مرعى .
 فما لك ان تصرفه . بل عليك ان تعرفه . وتعرف له حقه وتنصفه . وهو ان
 حاقمته فليس لك بنائب وانما هو شريك . وان امرنا بالانكار ان قضد منك
 أو شيك وشيك . وأنت تعلم أيها العميد ان دور الحرم . مبرمة لها معاقد
 العصم . محكمة لها قواعد العظم . فأيجوز ان يتولاه في كل قريب غريب .
 وما يحسن ان يتجدد في كل حين لها مستناب ومستناب . وهذا عمر فناه بك
 فالاولى ان تبقيه . والابق لجاهك ان توليه »

فعرف الامير العميد ان الامر خرج عن يده فجدد للسكالك بشغله
 منشورا . وطوى من شره فيه ما كان منشورا . وكتب الى خاتون « ان الآن
 قد قوى املى حيث مكنت نائبي . وعرفت ضجة صاحبي . واني ما أردت
 صرفه وانما أردت تهذيبه . وورمت تجربته . وقد وفرت عليه ثلث الرسوم .
 وأشركته معي في أصل النزع المعلوم » فاستقل السكالك واستمر مريره .

وثاب سروده وثبت سريره . وبقى كذلك متولياً مستولياً . ومتغلباً مستعليماً . الى ان قضى الامير العميد نخبه فسولته وزارتها بالاصالة . وخصته بالايالة . ثم تعصبت له عند السلطان حتى ولته إشراف المملكة فدانت له الامم . وأطاف به الحشم والخدم . وصار السلطان يكتب اليه خطه . ويطلعه على حالتي رضاد وسخطه . ثم شوش على أرباب المناصب قلب السلطان حتى تغير رأيه في وزيره الخطير . وردّ وردّه الى التكدير . ونقله من بنى جنسه الى بناء سجنه . ومن مجلس عزه الى محبس عزله . وسلمه الى الامير الحاجب عمر ابن قراتكين ليخرجه ويستخرجه . وليروج ماله ويورجه . قال : ونظم أبو طاهر الخاتوني بيتين فارسيتين عربتهما وقت

كان حماراً وزيرنا ومضى فما يملك السلطان من خلل
لكنما في صدور دولتنا ليس لذك الحمار من بدل

وكان شمس الملك عثمان من نظام الملك قد بقي في حبس الوزير سبع سنين فأفرج عنه ليوافق الوزير على أوزاره . ويقرب خطي الخطير الى اخطاره فكان حبس ذلك لهد فرجا . ودخوله في الحبس له مخرجاً . وجمع السلطان أمراء دولته وأرباب ديوانه وغاوضهم في وزير يفوض اليه وزارته

قال انوشروان : فأجمعوا على ان اكون المتكلم عنهم بالصواب . والمبلغ للخطاب . وكان رأي مائلا الى مثل ما حكى عن المعتضد . انه كان قد حرّض على عبيد الله بن سليمان وسُي عنه عليه . وكان يقول « اذ فكرت فيما ينتقض من التدبير . ويضيع من الامور بين صرف وزير وتقليد وزير . وان كان المتقصد اكفى اضربت عن نكبتة » فاتفقوا ان اكون الناظر في الامور . ومتقصد مصالح الجمهور . ومنفذ الاوامر . وجامع يشمل الاكابر والاصاغر . وان

المنشئ والمشرف يكفيمان بخطى وتمثيلي . ويتأثلان في شغلها بتأثلي . حتي
يُقضى كل مهم . ويُقضى كل ألم . وبقيت الرعاية مرعية . والسيرة رضية
مرضية . والدهاء ساكنه . والغبراء آمنة . وطال حبس الوزير تلك المدة .
ولقي الشدة . وكان خالف الزمان رجلين . من أولاد الكافي من بقايا السيوف .
وزوايا الحتوف . فحبسها السلطان معه وأختها التي كانت زوجة الوزير على
مائة وخمسين ألف دينار . وسامهم في تلك المصادرة كل خسار وصغار . وباح
السلطان بما كان يُضمره من أمر الوزير ولا يظهره . وكشف الغطاء عما
كان يستره . والزمه بتطليق زوجته ابنة الكافي . ورماد من منارقتها
بثلاثة الاثافي .

قال : وكانت الدولة السلطانية قد شارفت انقضاءها وانقضاءها . وقارب
خطو انتهائها . لما قاربت انتهاءها . وبدأ بالسلطان مرض طويل اضناه
وانحله . وألهاه عن المملكة وأشغله . ووقع الفناء في أمراء دولته . وأكابر
مملكته . وبقي السلطان من مرضه في ذوب . ومن عيشه في كد وشوب .
فأراد أن يولي وزيراً يوصي اليه بولي بعده . ويستكفي به مهام الدولة حيث علم
أنه لا يستقل بها من يقوم من بعده .



ذكر وزارة ربيب الدولة ابى منصور ابن الوزير

ابى شجاع رحمه الله

— — —

قال عماد الدين رحمه الله : ذكر والدى أن أرباب المناصب لما عرفوا ميل الساطان الى تولية وزير يكفى المهام . ويحفظ النظام . ويكفل الامور العظام . خافوا من استنابته الى بطل بطاش . ومستجيش بثبات جأش . وانهم يباون إما بذى حنق عليهم . وإما بذى فرق منهم فيدب كيده اليهم . فحسبوا لاساطان طلب وزير من تربية دار الخلافة فانه ليس بالحضرة من يصلح لهذا المنصب . فاستدعى ربيب الدولة من بغداد الى اصفهان . وسد به المكان . فصار له اسم الوزارة بالوراثة . وكان لاثقاً بتلك الدولة المريضة الملتأثة . وكانت علامته الحمد لله على النعم

قال : قال انوشروان وكان قد بقى من أيام عمر الساطان مقدار اربعين خمسين يوماً وقد استحصد زرعه . وانتسخ شرعه . فجاءوا بهذا الضم ودموه فى الدست . وقصدوا بترتيبه شغل الوقت . واتفق موت الكفاة . وضمهم حبل الوفاة . وتناثروا تناثر ورق الخريف . وتفرقوا تفرق سحاب المصيف . ولم يبق فى تلك المدة اليسيرة من المعروفين كبير . وصوف . ولا من الامراء الا كابر معروف . فصار الاتباع اصولاً . والاقطاع نصولاً . والدراريئ شوساً . والاذناب رؤوساً . ولم يبق فى الدولة من القدماء الا مختص الملك المستوفى . والاستاذ ابو اسماعيل الطغرأتى . فاما المختص فانهم عزلوه واعتقلوه وقرروا عليه خمسين الف دينار للخزانة ثم أخذوا خطه بأنه لا يخطب ما عاش

عملاً . ولا يستنجد ما طال أمد عمره أملاً . وخلقوا سبيله وما خلوا له الى
ثروة سبيلاً . وأخذوا ما كان له فلم يتركوا له كثيراً ولا قليلاً . فأفلت بجريرة
الذقن . وعداً سلامته من المنح في تلك الحن . فتولي ديوان الاستيفاء كمال
الملك الشميرى . وعلا منه الامر . وحل له المر . وسقط واستقام . وسما
وسام . ورمى ورام . والوزير هين^١ اين^٢ . وعجزه عن البش بين^٣ . وكال الملك
فارس ذلك الميدان . وحاكم ذاك الديوان .

وأما الاستاذ ابو اسماعيل الطغرثي^٤ فافهم لما لم يروا في فضله . مطعناً . ولا
على علمه من للقدح مكناً . اشاعوا بينهم انه ساحر . اونه في السحر عن
ساعد الخندق حاصر . وان مرض السلطان ربما كان بسجده . وانه ان لم يصرف
عن تصرفه فلا أمن من أمره . فبطلوه وعطلوه . واعتزلوه وعزلوه . وعاد
الخطير الذي كان وزيراً يمد الطغراء خطه . ولم يضره عن درجة الوزرة خطه
وكان قد خلا دركاد السلطان من لامراء والكبراء . فانه كان شغلهم بخصار
قلعة الموت مع الامير الكبير . نواشتكين شريك . واتقد كان شهماً شديداً .
وسهماً شديداً . وسما ذعافاً على العدو . وموتاً زوفاً على اهل الاحاد والعو
ولولا موت السلطان تسلط على الموت . ولم يترك فرصة فتحها ان تفوت .
وهو في ذاك لها حاصر . والله له ناصر . فصير السلطان على ابن عمر حاجبه
الكبير . وأسمى مكانه الاثير . وكان أمير البار يعني أمير الاذن وأمير البار
هو الآذن عن السلطان اذ اجتمع الاكابر . والامير الحاجب الكبير هو الذي
يسمع مشافهة السلطان ويؤديها الى الوزير فهو الناهي الامر

قال : ولما مضى شهر اشتد مرض السلطان وبلغ الرجاء فيه اليأس . ووجد
بالعدم الاحساس . وأصبح يعد الانفاس . وأمر بالحجاب وحجب عن الامراء .

وأيقن ان القدر لا يرعى له زمام ما بقى من الدماء . ولم يكن يدخل اليه الا
الامير الحاجب على بن عمر بن سرمة فهو الذي يسمع كلامه . وينفذ بالتبليغ
احكامه . وسمى حديثه وصية وجعل نفسه وصيا . وعد مصادقه مطيعاً
والمستريب برأيه الرائب عصيا . ولما قرب الاجل . وحل الوجل . ذكر الامير
الحاجب ان السلطان أمر باخراج مائتى الف دينار من الخزانة لارضاء الخصوم
واشكائهم . والاستحلال من فقراء الرعايا وأغنيائهم . فقتل ذلك المال
وقبضه . وتصرف فيه على ما وافق غرضه . وكان وزير الامير الحاجب
الكبير حينئذ أبو القاسم الدرگزني ويلقب بزین الدين . فمن ذاك المال
تمول . واستكثر العبيد والحول . وكان ذلك مبدأ غناد . وريعان نجاح مناه .
وأمر العسكر بمبايعة ولى العهد ومتابعته . وطاعته ومشايعته . وانه لا بد من
جلوته على السرير واجلاسـه . ووقوف الامراء على رأسه . وقيل للسلطان
مرضك سحرى . ومضضك خفى . وانما سحرتك زوجتك فاعضل دواءك .
وحملوا السلطان على ان كملها وسملها . وحبسها في بيت ضيق واعتقلها . وأنف
عدة من حواشيها . وعصاة من جواربها . ثم أخرجوا خاتم السلطان وقالوا
انه أمر بخنقها . ودخل اليها من شد الوتر في حلقها . ومن عجيب القدر ومقدور
العجب . ان الزوجين توافيا ساعة واحدة على العطب . فالخاتون في بيتها
خنقت . والسلطان على فراشه نفسه زهقت . وذلك في أواخر سنة ٥١١ وقد
كانت أيامه أيامن للأيامى . ومرامهم لليتامى . ورسومه جائزة غير جائزة .
وأحكامه راضية غير ضائرة . وحصاه رصينا . وحجاه رزينا . ودينه متينا .
وشرع علمه في العمل بالشرع مبينا . وكان رجل السلقجة الكامل . وغلهم
البازل . وله الآثار الحميدة . والآراء السديدة . ولما حسنت سيرته . وكلت

دولته . وأصحت سماءه . وطاب هواؤه . وصفا مأؤه . وآلت آلاؤه . أن يغني الفقير
ويجبر الكسير . ويفك قلاع الأسير . ويكف العسير . وينصر الإسلام .
ويكشف الأظلام . ويقلع الملحدين . ويعلى أعلام الموحدين . قبض القضاء يده
وقصر أمله وأمدته . وغيض بحره . وغيب بدره .

بين الصفايح والثرى ربحانة قد كان لي من قربها مستمتع
واذا تذكرت الذي فعل البلى بجمال وجهك جاء ما لا يدفع
قال : وتوفي أمير المؤمنين المستظهر بالله رضى الله عنه بعد وفاة
السلطان محمد رحمه الله بمدة يسيرة وتحوات الدولتان . وتفصلت الجملتان .
وخلف السلطان محمد خمسة بنين وهم محمود ومسمود وطغرل وسليمان
وسلجق وكل منهم تولى السلطنة سوى سلجق وسيأتى ذكرهم فيما بعد
إن شاء الله تعالى

ذكر جلوس السلطان مغيث الدنيا والدين أبي القاسم

محمود بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين

.....

قال : جلّس على التخت مكان والده . واستقر من المالك في أعلى وسائده .
وأحكم قواعده . وحضر الناس على طبقاتهم للبناء . وجلوه في دست السنا
والسنا . وقبلوا الأرض . وأدوا من إقامة الرسم الفرض . ووقف العظماء
والكبراء سماطين على ترتيب أقدارهم وقدر مراتبهم . وتأسقوا على درجاتهم
في مراقب مراتبهم .

قال أنوشروان : وتقدم الوزير الربيب وصعد الى السرير للتهنئة وتقبيل اليد ونزل وتقدم الخطير بحكم انه كان وزيراً يفعل مثل ما فعل . وكان على كل حال للشيخوخة والتقدمة يستحق ان يقدم ويجل . فزاحمه السكالم السميري وأخره وتقدمه . ولم يعرف سابقته وخدمته للدولة وقدمه . فاقام الخطير رسم التهنئة بعده . ولزم كل منهم في ذاك المقام حده . وأنا أيضاً أقمت رسم التهنئة . ووفيت حق التوفية . وكان السلطان حينئذ في سن الحلم . متوقد الذكاء كالنار فوق العلم . مشرقاً وجهه مع صغر سنه بسناء العظم .

وفي ابتداء هذه الدولة انتقلت الخلافة الى أمير المؤمنين المسترشد بالله ابن المسنظر بالله رضي الله عنهما وبويع له وجدد تقليد السلطان على الشرائط المشروعة . والرسوم الموضوعة واجتمع أرباب الدولة السلطانية واصطلحوا على التحالف وتحالفوا على الصلاح . وأجالوا بينهم في مظاهره البعض للبعض ضرب القداح . وكان أبو القاسم الانساباذي الدرگزني وزير الامير الحاجب على بار فصار يلتمن مخدمه ويفهمه . ويدله على طرق الضلال ويريه انه يرشده . ويقول ان الوزير والمستوفي ينبغي ان يكونا بحكمك . وهذا السلطان صغير ينبغي ان يكون تحت حجر . ولا يأمر الا بأمر . فادخل في رأسه مالم يخرج منه في آخر الامر الا السيف . فأول ما دبر انه ذكر للسلطان ان صلاح دولته في افساد عمه . وانه يغلب على دواته برغمه . وكان عمه سنجر السلطان الاعظم عماد آل سلجق وسلطنته ببلاد خراسان الى العراق الى ما وراء النهر الى غزنة وخوارزم والترك قد عمت ونمت . ودواته قد علت وسمت . وهو شيخ البيت وعظيمه . وحافظ عزه ومديعه . فاحضروا الشهاب أسعد كاتب الانشاء وأمرود ان يكتب الى خان سمرقند

وقالوا له انا نقصد السلطان سنجر وهو لاشك يتوجه الينا اذا توجهنا للقائه
والرأى ان تأتى أنت من ورائه . فيقع الخصم في الوسط ويحصل في التورط .
وكان هذا رأى القائل . أول ما أدب الادبار وأهبط دبوره . ومحامنه
الاقبال حبره وأذهب حبورده . ومن جملة تدبيراتهم المدبرة أيضاً ان الامير
ملك العرب ديس بن صدفه بن منصور بن ديس بن على بن مزيد
الاسدي كان مقيماً في خدمة السلطان منذ عشر سنين وقد سلا عن بلده
وقنع بما في يده . ورضى من السلطان بالرضى . وانقضي طعمه في ملك ابيه
الذي انقضى . وبلاد الحلة والولايات في تصرف نواب السلطان والامير
المجاهد بهروز اخادم الخصى نائب السلطان ببنداد والرعيا آمنة والاذايا
مأمونة . والنعم راهنة والذمم بشكرها مرهونة . فبدلوا تلك القواعد
وحلوا تلك المعاهد . وارتشوا من الامير ديس وأعادوه الى العراق .
فقامت الحرب على ساق . وكتبوا ملطنة بالقبض على بهروز . ومحاسبته
واستخراج سر غناء المرموز . وكل هذا عاد بالفساد وفسد الدوائد . وأفاد
التحقيق ومحقق النوائد . والمنسدة اثباته ان بلاد فارس كانت على أحسن نظام
وأوفق مرام . وطاعتها شائنة . وشيعتها طائفة . والبذول فيها حاصلة . والجمول
منها متواصلة . واتفق في ذلك الوقت ان عامليها كان حاضراً بأصفهان فأشار
الدركزيني علي مخدومه بالقبض على العامل . ومطالبته بالحاصل . فأخذه
وعذبه . وما صدقه ان المال بعد ممد بفارس بل كذبه . فلما نعى الخبر الى
أمير فارس طمع في المال وكان بلعاً وافراً وضم برده واستوحش . وجاهر
بالمصيان وأفحش . وكان للسلطان جسر ان بتلك البلاد فاستاقها . وأذخار
فاعتاقها . فاختل نظام الولايات الفارسية بتلك الآراب السيئة والاراء المسيئة

والمفسدة الرابعة ان جماعة كانوا مقيمين فى الخدمة من أمراء
مازندران وأمرأة الشبانىكارية وهم جيل من جنس الاكراد فى جانب بلاد
فارس . بلادهم ممتعة . وقلاعهم مرتفعة . وكان السلطان الماضى قد الف
قلوبهم بأحسنه . وقادهم باليد الى سلطانه . لانه كانت الطرق منهم مخوفة .
والفرقة منهم مؤلفة . فأساء الدركزبى وصاحبه ومن وازرهما اليهم فاشتطوا
عليهم . فنزروا وعادوا الى حصونهم . فأظهروا من الشر ما كان كمن . وحركوا
من الفتنة ما كان سكن

والمفسدة الخامسة انه لم يخلف أحد من السلجقية ماخلنه السلطان محمد
من العين والاثاث فتصرفوا فيه وتقاسموا به وفرغوا الخزانة من العين .
فى أقرب من شهرين . فلما ذهب الذهب فضا ختم النضة وفضوها .
واستخرجوا وجود الممالات الراجحة واستنضوها . ثم تصرفوا فى المصوغات
من الحلى والاونى والآلات . ثم فى الجواهر ثم فى الثياب . ثم فى الخيل
المسومة العرب . ثم فى الجمال ولم يبقوا شيئاً حتى تفرقوا بأغنام النتائج .
وتقاسموا بالكباش منها والنعاج . فصيروا الملك الآهل قترًا . وأضعفوا
بعد الغنى فقارده فقرا .

والمفسدة السادسة انهم قالوا ان هؤلاء ممالك السلطان لا يطبوا
بطاعتنا نفساً . ولا يجدون بتابعنا أنساً . فاحتالوا فى شت معاملهم وراموا كل
سهم منهم الى هدف . وكل سهم منهم الى طرف .

والمفسدة السابعة وهى المفسدة الكبرى ان العساكر التى كانت
مشفولة بحصار الموت وقد شارفت فنحها . وشاهدت نبحها . شرع
الدركزبى فى تفريقها ليليه الى الملاحدة . ووعدده لهم بالمساعدة . وأخذ

رخصة في قبض الامير الكبير انوشتكين شير كير وهو أمير ذلك المسكر فرحلوا عن الحصار بغير ترتيب وتبعهم أهل الموت فقتلوا خلقاً . وذهب الباقيون غربا وشرقا . ونقلوا الى القلعة من العدد الكثير والازواد والميرة . ما يزيد قيمته على مائتي الف دينار . ووصل الامير الكبير كندغدي الى الباب . وكان عظيما من أولى الالباب . فولد انا بكية الملك طغرل أخى السلطان ثم حذروا السلطان منه خاف كندغدي على نفسه وعلى ملكه فادخل به ساريا . وذهب متواريا . فلم يحوها بعد ذلك دار . وصار من ذلك للقلب اشتغال . ولنار الفتنة اشتعال

والمفسدة الثامنة ان الامير قراجة الساقى سلموا اليه الملك سلجق أخا السلطان وولود بلاد فارس فلما سمع الامير قيصر بقدمه وكانوا قد ولوه فارس من قبل هرب وحصل عند السلطان سنجر بخراسان وهو مورتور . ونفت شكايه التي هو بها مصدور

والمفسدة التاسعة انه كان للسلطان ممالك صغار . كأنهم اثار . وكان عليهم من الحصيان الخواص رقباء . وعلى طوائفهم من جنسهم نقباء . فاخذ كل واحد منهم عدة واقتسموا بالعلمان الروق . وأقاموا ألف سوق للفسوق

والمفسدة العاشرة أنهم أخرجوا الجوارى المطربات . والاماء المغنيات . من دور الحرم الى دورهم . وآثروا حضورهن مجالس حضورهم . وركبوا في الفسق كل مركب . وذهبوا في الخزي كل مذهب . وتسلطوا على السلطان واجترأوا عليه بما اجترحوه . وتمشى لهم بصبوته كل ما اقترحوه

قال انوشروان : ذكر لي انه لما توفي السلطان محمد دخل الامير على

بار الى خزائنه فاخذ صناديق الجواهر النفيسة والىواقيت الثمينة فاودعها عند وزيره الدرگزینی فلما قتل على ما سئذ کرد حصل بها ولم يسأل أحد عنها

قال عماد الدين : وأذكر طرفا من هذا الانساباذی وأنسابا ضیمة من أقليم الأعلم قریبة من دزکین فنسب نفسه الى درکزين لانها أكبر قرى تلك الولاية . ومعظم أهلها أهل الاباحة والغواية . وأكثرهم من المزدکیة الحرمة . وشرهم شائع في البرية . وكان أبود فلاحا منهم فجاء به الى أصفهان وعلمه الخط . والجراة والخطب . وما زال مخالطا للمتصرفین غمراً ذا غمر . ووتراً في الشر أثار . ما أحسن اليه أحد الا قتله . وما آوى الى جبل الازرله . وأول من استخدمه بين يديه كمال الملك السميرمی وعمی العزيز فلقى كلا منهما الامرین . وقابل بالاساءة منهما الحسنین .

قال : وجرى وزير الوقت على تلك القاعدة في الافساد . ولم يرى مخالفتهم على المراد . وكان من خرقه وخرق أصحابه انهم جعلوا خطاب الامير على بار بوصى السلطان وسيروه أخص القابه فانه الزمهم بذلك وقال يجب ان القب به وعزلوا الخطير من شغل الطغراء وناطوا به وزارة الملك سلجق المنسوب الى فارس مع الامير قراجه الساقی . ومقصودهم ان يبعدوه عن الدركاه فلا يقع منهم له التلاقي . وفي كل ما عملوه لم يستظلموا رأي السلطان ولا استأذنوه . وحقوقه واستضعفوه . وتواترت أخبار هذه الفضاخ . وتواصلت أثناء هذه القبائح . فاتحى السلطان سنجر لبيته الذي شرعوا في هدمه . وتحركت على ابن الاخ الشفيق الشفيق شفقة عمه .

— ذكر وصول السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم —

معز الدنيا والدين أبي الحرث سنجر بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين
(من خراسان الى حدود العراق وظفروه وعفوه وعوده)



قال : فانهى الى هذا السلطان المعادل . الكامل الشامل . المحبوب
الشامل . ان امر ابن أخيه محمود غير محمود . وان ملكه ان لم يتلاف مؤد
الى التلاف مؤود . فصوب رايته صوب الرى . ونشر لواءه ليعيد اللأواء الى
الطى . وكان كالشمس أضاءت من مشرقها . وأثارت من أفقها . فلما أطل
عسكره على العراق . وسد عثيره جوانب الآفاق . برز السلطان محمود
سراجه . وعرض فيالقه . ولم ينب أحد فى تلك النوبة من العساكر .
ونلاطمت أمراج بحارها الزواخر . وكان مقدي عسكر السلطان الاميران
الاصفهلاران على بار ومنكوبرس وبينهما تباين . وتضاد وتضاغن . فلاجرم
لاختلاف رأيهما . واختلاط أهوائهما لم يستقم تدبير . ولم يتسدر تقويم .
ولم يتضح فى المصلحة تأخير ولا تقديم . ودرج الوزير الريب فى تلك الايام .
وسكن فى حى الحمام . وتولى الوزارة كمال الملك أبو الحسن على بن أحمد
السميرى وذلك فى سنة ٥١٢ وذلك قبل المصاف بين السلطانين بثلاثة أيام
وجرى أمره على نظام . فى غير وقت انتظام . وكان العسكران مشغولين
بالتعبية فلما التقى الجمعان . واختلط النعمان . انهزم عسكر محمود وكسر جيشه .
وانكسر جأشه . ولما ضل عن النار فراشه . ظل كأنما على النار فراشه . وقتل

في المعركة جماعة مبرأون . وسلم المجرمون . فلما أصبح السلطان سنجر سأل عن ولد أخيه . ولم يحمد ما كان من تأخره عن حضرته وتراخيه . فإرسل إليه رسولاً ليقبض زعره . وبسط عذره . وأنه يؤثر حفظي قلبه والانس بقربه وتنفيس كربه . وأنه يتدراك ما فرط بالتألف . وأنه يتم التقصى عن عهدة تلك الهنات بالتصافي . فاستخّر الله ولا تستأخر . واستأثر لقاء من على لقاءك لم يستأثر .

وكان أحاط أولئك المذمومون بالسلطان محمود لا يهدونه الى الصواب ولا يصوبونه الى الهدى . ويصدون عنه رى الرى ولا يروون منه الصدى . وكان قد سبق أبو القاسم الدرگزى صاحب الامير على بار الاعظمى خضر لاصلاح امر صاحبه وأحضر قدراً من المال الذى اختزله من الخزانة السلطانية فنثره وبذره . وقدم الرشى حتى أمن ما حذره . وأراد أن يكون هو المتوسط فى الصلح والصلاح . والمتحدث فى الانجاز والانباج . وكان السلطان يؤثر أن لا يطول مقامه فتمتل وطأته . وتكثر مضرته . ولم ير أن يترك البيت متداعى البنيان غير معمود . ويريد الانصراف راشداً وقد طالت عليه غيبة محمود . وما صدق بحضور الدرگزى على بابيه . وظن انه قد حصل من النجح على ابابه . فأمر باحضاره فلما بصر به قال « اين على بار فانه لامر ولدى ضمين » فتلا « انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » قال « فإني ولدي » قال « انا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وأنه يسمعه عطفك وعرفك » فندبه الى اصفهان لاحضارهم . وأجري الامور على اثارهم . فبلغ الوزير كمال الملك السميرى انس الدرگزى بالخضرة السنجرية وأنه اصل بالجرأة . فسبق بالرأى ورأى

السبق . وأن يكون هو الذى يتولى بالرَّتق والفتق . فقال للسلطان « هذا عمك فى مقام والدك وله عليك حقوق . وعصيانه عقوب . ومن حسن الادب استعطافه . واستجداد رضاه واستئنافه . وانا امضى اليه لامضاء الالية . وارضائه بالكلية » وخاف انه ان وصل الدرگزنى يصير الامير على بار للامر متولياً . ويبقى هو عن الشغل متخلياً . وانه يصير تابعاً . وماءه غائضاً . وماء جاه الدرگزنى نابغاً . فتوجه الى الرى . من جى . وقطع الطريق بالنشر والطفى . ولقى الدرگزنى فى طريقه . وأخبره بتوثقه من السلطان سنجر وتوثيقه . فلم يرج على تصديقه . وقال له « انى قد قضيت الشغل فلا تتعب . وعرفتهم زهدنا فلا ترغب . فاجتهد بكل طريق فى اعادته عن طريقه » فما التفت ولا اكثرث . وأخذ السير ومالبث . فمضى الخبر الى السلطان سنجر بأن الوزير كمال الملك قد قدم . وان ابن اخيك أرسله اليك لاعدد لما ندم . فسرّ بذلك وأمر الامراء باستقباله . واحتفل فى حفله لتوفير اقباله . وأبصر الوزير من تعظيم خطره ما لم يخطر بباله . فحبط عمل وزير على بار وبار . وانهدم كل ما كان بناء وانهار . وأخذ يد السلطان على شدة أواخيه . لابن أخيه . واعلمه بارادة الوفاق وتوخييه . واستوثق منه فى كل ما استوقفه . واستدرك بالروية فى رأى كل ما فاته واستلحقه . وأقام الوزير وسير الى سلطانه من عنده رسولاً يستدعيه ويستحثه . ويعلمه ان عمه لا ينتظاره اطلال مقامه وابشه . فأقبل محمود الى وزيره حامداً . والى عمه وافداً . فأكرم وفادته . وأنجح ارادته . ولم يجد على بار بداً من الاتباع . وحضر ضيق الذرع قصير الباع . وخرّ لتقبيل الترب . واعترف بالذنب . فأبدى له السلطان الرحيم صفحة الصفح . ومنحه العفو وأعفاه عن المنح . ثم اجتمع كمال الملك

وعلىّ بار ووزيره . على ما يتم به تقرير أمر السلطان محمود وتديره . وأنه يجب ان يترك رسم السلطنة احتراماً لعمه . وأن يكون مدة مقامه عنده بحكمه . وذلك انه اذا استقبل بجنب السلطان يركبه ليحسن أدبه . وانه ينتقل من نوبتيته الحمراء . نوبتية بيضاء في سوداء . وانه يأمر بإبطال ضرب طبله . ما دام في ظله . وانه اذا دخل على عمه قبل الارض وانه يقوم عنده على قدمه . وانه يمشي في ركاب عمه راجلاً من الباركاه الى السراشق . وانه لا ينفرد عن عمه بسراشق . بل ينزل في جوار خيمه . وفي موضع أولاده وحرمه . وأن يبقى عشرين يوماً على هذه القاعد يستعطف عمه في عود مرضيه المتباعدة

قال : وكان من حلم سنجر انه يُغضى عن يغضب . ويجدى على من يجذب . فصفح عن كبراء ذنوبهم . بعد ما تصفح سرائر قلوبهم . وأفاض عليهم الخلع . واصطفى كلا واصطنع . وكتب منشوراً للوزير كمال الملك بتقريره على الوزارة . ومنشوراً علىّ بار بتمكينه في الامارة . ومنشوراً لابى القاسم الدرگزى بتمنصب الطغراء والانشاء . ثم انهم طلبوا من السلطان سنجر خلوة حسنوا له فيها من سفك الدماء كل قبيح . وأعلوا عنده كل صحيح . وكان من جملة من ضربت رقابهم الامير منكوبرس وقراتكين القصاب . ثم قفل السلطان سنجر بعساكره الى خراسان . وقرر عليهم ان يبسطوا العدل والاحسان . وعاد الوزير الكمال . وله الأبهة والجلال . والدرگزى في ديوان الطغراء . وشمس الملك بن نظام الملك في ديوان الاستيفاء .

قال : وكان عمى العزيز في ذلك الوقت ينوب في الوزارة والاستيفاء والوزير كمال الملك لا يرجع الا الى كماله . ولا يعول الا على اشتغاله . بل السلطان لا يأنس الا به . ولا يصغى الا لخطابه . قال : ولا شك أن انوشروان

صعب عليه انحطاط حظوظه الى الحضيض . وانحراف مزاج شغله للحظ
المريض . وعرض للوزير كمال الملك بايات غير واقعة في موقعها . وتمثل
بتمثيلات باردة ليست في موضعها . وكأنه ما سمع للقاضي ابي بكر الارجاني
فيه قبل ان يلي الوزارة وهو مشرف المملكة قصيدته التي يقول فيها

دع عنك يمنى ويسرى غير مجدية واقصد أمامك واطلب منتهى السبل
واعلم اذا قلت رد بالعيش بحر ندى انى على غير عز الدين لم أحل
البحر أسماؤه شتى وأشهرها على اصطلاح بنى الآمال كف على

قال عماد الدين رحمه الله : سمعت من والدي رضى الله عنه انه لم يكن
في وزراء الدولة السلجقية أكل من كمال الملك حزامه . وصرامة وشهامة .
وكتبه بالفارسية تدل منه على فضل عزيز . وعلم كثير . ومن معانيها تعرف
قواعد الوزراء وقوانينها . وهى رياض ناضرة للناظرين ازهارها . فاغمة للاستشقين
باريأراحينها . قال : قال انوشروان فأول ما شرع فيه الوزير كمال الملك من أمر
وزارته أنه لما وصل الى أصفهان . تقدم بقراءة منشوره بوزارة العراق من
خراسان . ثم دبر في قتل الامير أحمد بن بغراء . وبعث السلطان على القتل بالامير
على بار وأغري . حتى أفلت منه هربا . واتخذ الليل جملا وادج رعبا . فأركب
وراءه من رجل نفسه عن بدنه . وأخرج روحه من جسده . ووكل بوزيره
الدركزني واعتقله . وهم بان يقتله . قال عماد الدين رحمه الله : قال والدى وكان
الدركزني حينئذ صديقي فاستدعاني ولما بصرتي دعا على نفسه بالويل
واستجار بي وأخذ منى بالذيل . فقال « أسألك ان تتوسل لى فى أمانى من
القتل فقد أيقنت انى . تتول . وان لم تنصرنى فانى لاشك مخدول » فشغمت
فى حقه الى أنى عزيز الدين فإزال بالوزير كمال الملك حتى خلصه . وفتح على

ذلك الطائر المشوم قنصه . وكان محبوساً في موضع سبيل الخلاء نخل سبيله
فقدّر الله ان الشافع فيه بعد عشر سنين كان قتيله . فما عرف والدى ولا عمتي
رحمها الله انهما يسعيان في قلع البيت بخلاصه . ويحصلان بتيسير أمره على
تيسير أمرهما واعتياصه . فقد كان هذا أبو القاسم للدماء سفاكاً . وبالكرام
فتاكاً . وتفرّس فيه الوزير كمال الملك الشر فأراد أن يريح الناس من غائلته
وأراد الصحيح فما صح له ما أراد . وما بدا من الدر كزني ما بدا منه لوباد .
ولكن القدر لا يطاق . والمقدور ما يعاق

وأصلح الوزير بقتل علىّ بار قلوب الجماعة . واستألمهم الى الطاعة . فقد
كانت في نفوسهم منه احن . وتمت عليهم باستيلائه محن . فوجدوا بانزعاجه
الثبات . وبقتله الحياة . وتقدم الامير قيصر وترقت درجته . وقامت بالقيام
في الدولة حجة . وارتفع شأن أمراء كانوا متضمين وتحالفوا على طاعة السلطان
وترجيح جاذبه . والاضراب عن مقاصد عمه سنجر ومطالبه

قال انوشروان : فشرع الوزير في المصادرات . وسمى ديوانها ديوان
المفردات . قال عماد الدين : ولم يكن كما ذكر . ولا على وفق ما أنكر . وإنما
طالب أصحاب الامير علىّ بار بأمواله . وأمر بمحاسبة عماله . والبحث عن
اسبابه وأحواله . وأعاد رونق سلطنة العراق غصاً . وضم من نشرها ما كان
منفضاً . وخرج في خدمة السلطان من اصفهان على عزم بغداد . وقد حكمه
في الامر وأعطى حكمه النفاذ . ولما قبض الدر كزني وعزل وليّ الوزير كمال
الملك منصب الطغراء أخاه النصير . وناط به ذلك المنصب الكبير . وكان النصير
رصيناً . ثقیل الطبع رزيناً . ولم يكن فيه ما كان في أخيه الوزير من التلطف .
والتطفل على المكارم والتعطف . وكانوا يقولون نعم المولى وبئس النصير .

قال : وفي سنة ٥١٣ جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود
 • مصاف بقرب همدان • وكان النصر فيه للسلطان • وذلك ان الملك مسعود
 كان مسلماً الى الامير جوشبك وهو آنا بكه بالموصل وعسكر الشام وديار بكر
 في خدمته • وهو ينعت في ملك الغرب لحد مملكته • فجمع آتابك جوشبك
 جيوشاً كثيرة وجعاً جمّاً فغير اوطمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ اباسماعيل
 وهو • مؤيد الطغرائي وزير مسعود • ولم يعلم انه لا يتمكن فيها من مسعود •
 فعلم السلطان بحشده فجاء في حشره • وجاء جوشبك بمسعود تحت جتره • ولما
 اصطف الجمعان • وكاد يلتقي البحران • ويجتمع الصفان • بصر مسعود بأخيه
 محمد فحن اليه • وضبطه جوشبك فلم يرج عليه • وصاح ايجي ايجي وهي
 كلمة بالتركية للاخ الكبير • فتشوش على جوشبك جميع ما قدمه من التدبير •
 وساق محمود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه • وأسلم للسلب والنهب
 جميع ما كان معه من جنوده وواليه • فأول من أخذ وزيره الاستاذ أبو
 اسماعيل الطغرائي فأخبر الوزير كمال الملك به فقال للشهاب اسمع وكون طغرائياً
 في ذلك الوقت نياية عن النصير « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير « من يكون
 ملحداً يستحق ان يقتل ظلماً » فقتل ظلماً • وقتل من الفضلاء الاكابر الاستاذ
 زين الكفأة أبو الفتوح وكان وزير البرسقي فأحسن محمود الى أخيه وأعادته الى
 عظمته ورتب آخر لآتابكيته وخدمته

قال : وكان من بقية أولاد ملوك الديلم في الخدمة السلطانية المغيشية الملك
 عضد الدين علاء الدولة أبو كاليجار كر شاسف بن مؤيد الدولة علي بن شمس
 الملوك فرامر بن علاء الدولة وكان من السلطان بمنزلة الاخ • وقد انزله
 بالحل الاشمخ • وكان مع ذلك محترماً من حاسديه فلزم بيته في مدينة يزد

فما زالوا يحسنون منابه بالباب . ولا يصوبون رأيه بالاغباب . فلما ركن الى ركنهم وركب . وكرب ان يجلو بقاء السلطان عنه الكرب . جردوا اليه ثمانية فارس فاعترضوه . وأخذوه من طريقه وقبضوه . وكان الامير قيصر تولى بابداء الود اخناء ختله وختره . فحمله الى قلعة يقال لها فرزين فاعتقله . وأحكم قيده وثقله . وهي قلعة منيعة . والعة رفيعة . تمدها النجوم من اترابها والسماء من أسبابها . فلطف الله به . وأوضح له مذهب مهربه . وذلك انه توسل حتى اشرف على السور . في جنح الديجور . وألقى بنفسه من المكان العالي . وفعل فعل الآيس من حياته السالى . وسلمه الله حيث لا ترجى السلامة . ونزل نزول الغيث حدرته الغامة . وتوقل في تلك العقاب . وتسمل من تلك الشعاب . ووقع الى ولايته . وسر الناس بعود الانس والسرور بعوده الى بلده . وعلموا ان خطي الخطوب لا تصل في طورها الى طوده . وكانت عاقبة الامير قيصر انه ضربت ببغداد رقبة . وأودت به في سبيل العقوبة عقبته

قال انوشروان : وكان الملك في عهد السلطان محمد مجموعا . وجانبه من الاطماع ممنوعا . فلما صار الى ابنه محمود فرقوا المجتمع . وضيقوا المتسع . وجعلوا له فيه شركة . ولم يتركوا له منه مسكة . وذلك عند حضور السلطان سنجر فأول ما اقتطعه سنجر لحاصه ما زنديران وطبرستان وقومس والدامغان والري وذبأوند وأعمالها وما أفردوه للملك ركن الدين ظفر بن محمد ساره وآبه وسارق وسامان وقزوين وأهر وزنجان وجيلان والديلم والطالقان . وللملك ساجق اخيه ولاية فارس بأسرها وشر من أصفهان من الخوز . وتغلب الامير ديس بن صدقة بن منصور على البصرة وأعمالها والمضافات اليها من البطائح

وكذلك هيت والانبار وأعمال الفرات والرحبة وعانة وكذلك أعمال الموصل ونصيبين والخابور وقد تغلب على كل منها أمير والذي بقى للسلطان أقطع جميعه . وما انحفظ ربه . وانخفض رفعه . ولما لم يكن للسلطان خاص لم يكن له عمال وبطل الديوان . وتدون البطالان . فانه لم يبق للديوان شغل الا أخذ أموال ذوى اليسار . وإسعاد نار الاعسار .

وقال عماد الدين فى ذكر كمال الملك الوزير : وبينما هو وزارته فى ريعانها . وسعادته فى عنفوانها . ودولته فى كمال سلطانها . فلم يشمر حتى عاجله القدر بجاءه فجأة . واستحال فى الحال كل مسرة مساة . وذلك فى سنة ٥١٥هـ فان السلطان خرج من بغداد عائدا الى همدان . فتخلف عنه الوزير يوما على انه يتبع فى غد السلطان . فلما بكر ركب وقد رتب الموكب والسيوف بين يديه مسلولة . والغاشية محمولة . فوثب عليه قوم من بعض تلك الدكاكين . وضربوه بالسكاكين . فحمل جريحاً . وبقي فى حجرة من غرف السوق طريحاً وأحضر من يداويه . واستقل بالجرح آسبه . فلم يحسوا الا برجل قد قفز من السقف . ونزل عليه بمدة الحنف . فأنلف مهجته . ومحا من الزمان بهجته . فتولى عمى الريز حنظ مخلفيه . وحلم عنهم حد الزمن السفية . واستشهد وله ولدان أحدهما عضد الدين محمد والآخر نخر الدين محمود فتمصب الولد الكبير ذى الفضل الاوفر . والاعتقاد الانور . والدين المتين . والعلم واليقين . فولاه السلطان أشرف المناصب . وأرفع المراتب . فزهد فى الدنيا مع القدرة . وسلك طريق لانكسار والقناعة بالكسرة . قال عماد الدين : وهو الى اليوم من سنة ٥٧٩هـ حسن السيرة . صافى السريرة . خشن العيشة . قال للمعيشة . يلبس السمل البالى ويألف المنزل الخالى . ويأمر بالمرروف . ويأخذ بيد المملوف . ينظر الى الدنيا

بعين العيافة . . مقبل على الآخرة والتقوى قد ألبسته شعار المخافة . . وتولى أخوه
نحر الدين محمود الأعمال الفاخرة الى آخر زمانه . . وظهر قدر مكانه . . وقدره
امكانه . . والعرض الزاهد فيه زاهد . . وفي صرف جاهه عنه جامد . . وكان بينهما
تضاد . . وتباغض في الدنيا لا تواد . . وعضد الدين يرجع الى فضل وافر . . ووجه
عن الحق والحقيقة سافر

قال عماد الدين : عدنا الى ما ذكره أنوشروان

ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك

أنشد أنوشروان فيه متمثلاً

لئيم أتاه الاثم من عند نفسه ولم يأت من عند أم ولا أب
قال : قال لما صرع الكمال . . واتسع المجال . . سمت همة شمس الملك لطلب
الوزارة . . وخطب عروسها مع المجز عن اقتراع البكارة . . فاجتنب لبأسها . . وأنارت
شمسه من مطلعها . . وورد على الظماء البرح عند مشرعا . . وتولى عزيز الدين
أبو نصر أحمد بن حامد منصب الاستيفاء . . وقد نضل بالفضل والكفاية جميع
الاكفاء . . ومن جملة مبتدعائه في الخير انه جعل للمعسكر السلطاني بيارستان
محمل آلاته وخيمه وأدويته والاطباء والعلماء والمرضى مائتا بختي ومن جعلها
أيضاً انه بني بمحلة العتائين ببغداد مكتباً للايتام . . ووقف عليها وقوفا مستمرة
الجدوي على الدوام . . والايتام مكفولون منها الى ان يبلغوا الحلم بالنفقة

والكسوة والطعام . رتعلّم الآداب وحفظ القرآن . ومعرفة الحلال والحرام
وصح له التحكم على الوزير . باحكام التدبير . وتولى ديوان الطغراء والانشاء
الشهاب أسعد وكان معلما السلطان في أيام والده وتجنّز حظه انه يوليه الطغراء
اذا انتهت اليه السلطنة ولما تولى لم يتغير عليه وبقي الى آخر عهده في الطغراء وتولى
أبو القاسم الانساباذى ديوان العرض وكان أنوشروان عارضا وهو غائب . وفي
مقامه عنه نائب .

قال أنوشروان : كنت انا قد تخلفت في بغداد في ذلك الاوان لشغل
أقضية . وأمرأ مضية . فاجتمع هؤلاء القوم واغتموا غيبتى . وأخذوا باخذني
وتعويقتى توقيعاً . وشنعوا على عملي وعملوا شنيعاً . وكان مضمون المثال السلطاني
ان الامر المطاع أعلاه الله ان أنوشروان ان كان في حدود بغداد ألزم بيته
بباب المراتب . وسدت عن لقائه طرق الاقارب والاجانب . وإن كان قد
وصل الى بلاد اجل فيقعده في ولاية الامير برُسق بقدة كفراس . ويشترط
عليه ان لا يطلب المنصب والمماش . ويحضر ممالكه الى الدركاه لينتقلوا الى
الخواص من الامراء . ويحمل ثقلهم عنه مع الانزواء . قال وكان المثال
بخط الوزير وقد مدّ الطغراء عليه أسعد وعلامة الوزير فيه أحمد الله على نعمه
وتوقيع السلطان اعتصمت بالله وما وجدت من أنسب اليه هذا القصد غير
العزیز . فان الآخرين كانوا مسخرين له وهو المتوحد بالتميز والتبريز . وكتب
الوزير بخط كاتبه ان شغل العرض قد فوض الى العميد الاجل الاخزين
الدين ظهير الدولة أبي القاسم يسنى الدركزنى فتختم جميع دفاتر العرض
وأوراقها وتنفذ حتى سلم اليه

قال : وأنهم ضوا الى طريق جماعة من المرسان لولا اعظام الامر السلطاني

المطاع . لما رعيت حرمة أولئك الرعا . ولما دوا وحكوا انهم لقوا منى رجلا .
ولركبوا من الخوف الايل جلا . فامتثلت الامر وسلمت اليهم موجودى
وخرجت من مالى كالشمرة من العجين . ووقع الهجان بتوقيع الهجين .
وسلمت نفسى الى الحبس . وبقي امرى على اللبس

قال : عدنا الى الحديث عن شمس الملك بن نظام الملك قال : فعاد الملك
به الى أدنى استقامة . ووجد الى كفايته أيسر استقامة . لكنه لم يطو بساط
الظلم والمصادرة . ولم يقبض عن التعدى الايدى المتجرئة على المبادرة .
وكان الى الناس مبعوضاً . ولحقهم متعرضاً . فلم يكفه ذلك حتى استتاب بغيضاً .
واستطب لمرضه مريضاً . وهو الكامل ابن الكافى الاصفهائى الذى مضى
ذكر مخازيه فى وزارة الخطير . ووصف بالشؤم والسوء فى الادبار والتدبير .
وهذا الكامل ما ناب عن أحد الانابه خطب مبير . ودعاه لم كبير . كما
قال البحتريّ فى سعد حاجب عبيد الله

يا سعد انك قد خدمت ثلاثة كل عليه منك وسم لائح
وأراك تخدم رابعاً لتغييره فأررق به فالشيخ شيخ صالح
يا حاجب الوزراء انك عندهم سعد ولكن أنت سعد ذابج

فبدأ هذا النائب فى الاول بأخذ مخلفى الوزير المستشهد وكانت خزائنه
قد نهبت . وذخائره قد ذهبت . وهم فى بيوت الاحزان . يرجون عواطف
السلطان . فلم يرض لهم بالعدم حتى سجنهم وحبسهم . وضاعف عليهم محنهم
وعرق عظامهم . وفرق نظامهم . ثم أمر باستمادة الرسوم والادارات .
ولم يقتصر على قطع الصلات . حتى كتب الى جميع البلاد باسترجاع ما أخذه
أرباب الصدقات لستين . ومن اخذ عرضا باداراه ألزم برده العين . فوكلوا

في كل بلد بالاخير والاشراف . وساطوا اقوياء الشرط على المتضوين
قال : وكان قد عزم السلطان في هذه السنة على الغزاة فصدوه وعرضوا
عليه كتاباً . من بعض أمراء بلاد شروان يذكر فيه اننى قد استخلصت لكم
المملكة الشروانية . وأهلها ينتظرون الراية السلطانية . وان الملك شروانشاه
محصور . وان الفرج عليه محذور . فان أردتم تملك الخزان . واستخراج
الدفائن . والاستيلاء على الممالك فاصرفوا اليها الاعنة . وأشرعوا نحوها
الاسنة . فثنوا عزم السلطان الى قصد بلاد شروان فلما وصل وجد الامر
بخلاف ما ذكر وخرج اليه الملك شروانشاه راجياً انه قد عاد عيده . وان
يتلى بعد المثل بطوق الانعام جيده . فانه كان فقيراً قد قنع الرعية بملكه .
وأفوا الانخراط في سلكه . فحين وطئ البساط طوى بساطه . وعقل نشاطه .
وسحب وحبس . وغبن وبخس . وانتظر أهل البلد انه يعود اليهم مملوكا
مكملاً . مشرفاً بمجلاً . فحين عرفوا الحال أكثروا الصراخ والبكاء . وأثاروا
الرجال والنساء . وخربوا الجامع ورموا منارته . وشعثوا البلد وأذهبوا عمارته .
فما نفعهم ذلك وجرت عظام ثائف منها العظماء . واجترحت كبار ثابها
الكبراء . وجرت ذلك الخبط خطباً . لم يدع يابساً ولا رطباً . وطمع الكفار
المشاغرون فأغاروا . وأبادوا الاعمال وأباروا . وقتلوا خلقاً من المسلمين ونزلوا
قبالة السلطان في ثلثين الف عنان على فرسخين لكن الله تدارك رمق
الاسلام . بكسر أولئك الاغنام . ونهض السلطان محمود اليهم محموداً .
ولم يدع في هزمهم مجهوداً . وعاد منصوراً مسموداً .

ولما حبس الملك وقع الشروع في مصادرة الرعية فلم يحصلوا على طائل . ولم
يظفروا بحاصل . وكانت للخزانة السلطانية . في كل سنة على الاعمال الشروانية .

• مقاطعة • مبلغها أربعون ألف دينار فبطل حق تلك المواضعة بوضع الباطل •
 وطال المقام في تلك البلاد لدفع البلاء • ورفع الاهوال والاهواء • وكان هذا
 القرار على شروان من عهد سلطان ملكشاه بن الب ارسلان فانه لما عبر على
 أرآن وصل الى خدمته الملك فربرز صاحب شروان بعد امتناعه والتزم بحمل
 سبعين ألف دينار الى الخزانة وما زالت المسامحات تدخل في القرار • الى أن
 وقف على أربعين ألف دينار • فباء الوزير بالوزير • وقبح الذكر • ولم يحظ في
 مدة سنة واحدة من وزارته بما يذكر به الا حبس أنوشروان • وتخريب
 شروان • ولما أبصر السلطان اختلال الاحوال • واختلاط تلك الاعمال •
 سخط على الوزير شمس الملك بن نظام الملك وقتله بالسييف صبراً • وذلك في
 آخر ربيع الاول سنة ٥١٧ • باب يلقان

قال أنوشروان : وكان الذي جرى على • من الاخذ والهب باب حوان
 أيضاً في آخر ربيع الاول سنة ٥١٦
 من ير يوماً ير به • والدهر لا يغير به

قال عماد الدين : وسبب قتل هذا الوزير ان أبا القاسم الانساباذي
 كان رسولا عند السلطان سنجر • وقرر من أمر بن أخيه السلطان محمود
 مقرر • وذكر له أن الوزير هو الذي اذهب الهيبة وشتت شمل الاجناد •
 وبثّ جبل السداد • وتوسل بكل طريق حتى تنجز كتاب السلطان سنجر
 الى بن أخيه في طلب وزيره • وأمره بتسييره • فحار محمود وخشى انه ان
 سيره اطاع على سره • وان لم يسيره اسخط عمه بمخالفة أمره • فأشير عليه
 بقتله • وتسيير رأسه • فبغت الوزير أقوي ما كان رجاء في الحياة ببأسه •
 قال عماد الدين : وعاد حكم المملكة كله الى عزيز الدين أبي نصر أحمد

ابن حامد وكان حينئذ مستوفى المملكة وجاذب زمامها . ومالك ، نظامها .
فسكن السلطان اليه . وعول عليه . وعرض الوزارة عليه فاباها . ووجد
مغارس المملكة ذوية فرواها . وقال أنا أنفذ أمورك وأوامرك . وأصفي
مواردك ومصادرك . ولا أدع مصلحة تقف . ولا منفعة تنصرف . لكنني
لا أتم بالوزارة ولا أطلب وزرها . على أنني أقبل أمرها . فإذا حضر صديق
أبو القاسم الانساباذي جملة صدرها . وما عرف ان صداقته عند عوده تعود
عداوة . وانه يجزع مرارة سم ماضنه حلاوة . فكث سنة بالمناصب متوحدًا
وبالمراتب منفردًا . وعاد السلطان الى مقر ملكه محبوبًا بالظفر محبوبًا .
محمود الاثر مشكورًا . واستمر الشهاب أسعد الطغرائي في الانشاء ومنصب
الطغراء . ولما عاد الدر كزني قال العزيز للسلطان « قد وصل من يكفل بالامر
ويكفي في الحل والعقد . فانهضه للوزارة فاني غير ناهض بأوزارها .
واتركني ومضائي في غير هذه الخدمة ولا ثقتائي بمضارب مضارها . وأنا ان
خلت الوزارة اسمًا فما أخليها نظرًا . واعذقها بسواي وأكون عليه بحكمي
مستظهرًا . فيكون أبو القاسم لي قسيما . وأصبح أنا له مقعدًا في المصالح
مقيمًا » فقال السلطان « ما أعرف سواك . ولا أول الا على حجتك وحجلك »
وسياتي ذكر الحال في ذلك

قال أنوشروان : وفي تلك المدة استدعاني السلطان الى بابه وانتهت شدة
حالي . وانقضت مدة اعتقالي . واتقذني اللطف الرباني من كيد الخصوم .
وعرفتني التجارب انه لا محيد من المحتوم . وعلمت انه لا يجدي طلب
العز في زمان الذل . ولا يوجد الخصب في سنة الازل . وصممت في
الامتثال حد المزم . ونزات على آل المهلب ذوى الكرم والفضل والعلم

كما قيل

نزات على آل المهلب شاتياً غريباً عن الاوطان في زمن محل
فما ذال بي احسانهم وافتقارهم والطافهم حتى حسبتهم أهلى

قال : ويعنى أنوشروان بآل المهلب الامام صدر الدين عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الحجندى باصفهان وكان أجود الامجاد . وأجود الاجواد . فلما ضافه أنوشروان أكرم مشواه . وقبله وآواه . قال : قال أنوشروان فصرف الى الاصداقاء المهم . وحقق اكرامهم عندى السكرم . واستقرضت من تاجر غريب جملة . وكتبت له على وثيقة لجأنى بعد حين انسان وقال مخدومى عزيز الدين يسلم عليك . وقد نفذ هذه الوثيقة اليك . وقال لك ابطها فان الدين قد قضى . وصاحبه قد رضى . فمعبت كيف توسل فى اسداء هذه اليد الى . وافضاله على . فبقيت مدة فى تلك الضيافة . آمناً من المخافة . سالماً من الآفة . حتى استدعانى السلطان بعد قتل الوزير . وأهلنى للتدبير . فامتنعت أياماً . وطلبت من الخطر زماماً . ولما وصلت الى الدركاد رأيت كلا من الجماعة . يقول ما استحضر الالسبب . وما استقدم الالارب . قال : فراجعت ففكرى . وندمت فى أمرى . وقلت أعمال السلطان عوارى لا بد من ارتجاعها . وملابس لا بد من انتزاعها . ولو خلصت فرحت فرحت . ولو استخرت الله فى الانزواء لاسترحت . وكان السلطان فى الاذن لى متوقفاً وأنا قد ملت الى الوحدة والانفراد . وقصرت همى على هذا المراد . فما زلت به حتى استأذنت منه فاذن فى الانصراف . وخصنى من مواعيد عوائده الجميلة بالالطاف . فساعدنى أرباب الدولة من الخيل وغيرها بما حمل أثقالى . ومن الازواد وغيرها بما ثقل أحمالى . وتوجهت من أصفهان الى بغداد .

وعدمت الملاذ لاجل الملاذ . فلما وصلت الى حضرة اخلافة وجدت
الاکرام . والانعام والاحترام .

— ذكر وزارة الدرکزینی فی سنة ٥١٨ هـ —

قال : لما وضع عليه اسم الوزارة . تبدلت الغزارة بالوزارة . وهو أول
فلاح ترك العمل بالقدان . فدان له عمل الترك . وحل البقر عن الملك . فخل
فی دست الملك ففتك وهتك . واستباح الدماء وسفك . وشرع المنكرات .
وانكر المشروعات . وعادی الکرام . وبدد النظام . وظاهر الباطنية . وأظهر
السنة الجاهلية . وشرع فی الفتك بالاحرار . والهتك للاستار . فمن جملة من فك
به القاضي زين الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروی وكان
أوحد دهره . ونسیج وحده . والمعروف باسداء المعروف . والمرجو لاعداء
المهوف . وهو حبر العالم وبحر العلم . والحاكم بالعدل والعاقل فی الحكم .
وقد ملك من قلوب السلاطين القبول . ولم يروا من نصحه واثارته العدول .
وكان من متعصبی عمی العزیز . المخصوصین فی الفضل والافضال بالتبیز .
فتمرت له بعد وزارة الدرکزینی رسالة السلطان الاعظم سنجر . وسار الى
خراسان فی البهاء الابهر . والجمال الاوفر . فصعب علی هذا الوزير أمره .
وتقسم سره . وعرف انه اذا حضر هناك انهتك ستره . فانه كان موّه
ولبس . وأخفی أحواله عند السلطان سنجر ودلس . فعرف ان الهروی
یهريه . وينزع لباس ثلبیسه ويعريه . فقرر مع عدة من الباطنية أنهم فتكوا

به عند عوده من رسالة خراسان . وقد حضر للصلاة في جامع همدان .
 فاستشهد قبل ان يشهد السلطان . وذلك في سنة ٥١٨

قال وكان حينئذ بالموصل آق سنقر البرسقي . الغازي المجاهد النقيّ
 النقيّ . فدخل في وزر ذلك السعيد الوزير الشقيّ . فانه كان قد قمع أهل
 الاحلاد . وغمه أمر هذا الوزير الذي سد باب السداد . وتوسل الوزير عند
 السلطان في عزله فلم يقدر . وبانغ في كل مكيدة ولم يقصر . ولما أعياه
 أمره استدعى اخوانه من الباطنية . حتى جلسوا له في جامع الموصل بزى
 الصوفية . وقفزوا عليه وضربوه بالسكاكين . فجلى به مصاب المسلمين .
 وذلك في ذى القعدة سنة ٥٢٠ . وكان وزير السلطان سنجر في ذلك العهد
 الاجلّ معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود وقد
 مضى ذكر كرمه وفضله في زمان السلطان محمد وتولاه ديوان الاستيفاء .
 واقد كان موثلا لاهل الرجاء . وهو من ممدوحى القاضي أبي بكر الأرجاني
 وله فيه قصيدة صادية أولها

روّحاً ساعة متون القلاص واحفظا وقفة بتلك العراض
 يا خليلي من سراً بنى الاقسيال والغر من بنى الأعياص
 واسياني فلأخلاء قدما بالتواصي في النائبات تواص
 كيف أشكو خطباً ومختص ملك الـأرض أضحي بالقرب منه اختصاصي
 وإذا استنصر الهمام أبو نصـر أطاعت لنا الليالي العواصي
 ذوندى يستهل كالديمة السكـب ونشركا الكوكب الوباص
 وبنات يريك للقلم النـا حل فضلا على القنا العراض
 قال : فأنف من وزارة الدرگزنيّ بالعراق . ولقد كان على الدولة شديد

الاشفاق . وعرف الدركزني ان نقصه مع فضل أبي الفضل باد . وأن أمره مبنىً لعمى دهره عنه على غير عماد . فلم يزل يعمل كيده في نكبته . ويتسلق بالمسكر على هضبته . وباطن الباطنية في قتله . وفرغ فكره لشغله . فوجده متحرزاً متيقظاً . متحرساً متحفظاً . فبث عليه حبائله . وأدب إليه غوائله . وسير الى خراسان عدة من الملاحدة . فتوصل منهم واحد الى أن خدّم في اصطبل الوزير المختص سائساً لدوابه فأراد يوماً عرض الخيل فخرّ ذلك السائس وهو عريان . وقد خبأ سكينه في ناصية حصان . فأطلق حصانه من يده حتى شغب . واستخرج من ناصيته السكين ووثب . وتعهد مقتل الوزير فأصابه . وعظم على الكرام مصابه . وبضع السائس في الحال تبضعياً ومرضه تمزيعاً . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٥٢١

وما زال الدركزني يتتبع الاكابر فمنهم من يقتله جهاراً باذن من السلطان . ومنهم من يقتله غيلة بمن يتخذ من أولئك الاعوان . قال : وكان سبب ميل الباطنية الى الدركزني ان الامير شيركير رحمه الله كان مشغولاً بمحاصر قلعة الموت وقد قارب فتحها . وشارفت الآمال في أخذها نجحها . فلما توفي السلطان محمد وتولى ابنه محمود وتمكن الدركزني من الدولة أعمل الحيلة في استدعاء شيركير ونفّس عن القلعة ثم لم يزل يدقق الاحتيال حتى جعل لشيركير عند السلطان ذنوباً اختلقها . ومساوى لفقها حتى اعتقل ذلك الامير مع ولده شرف الدولة ولم يزل يطلب غرة السلطان في أمرها حاتئاً سكره وصحوه حتى أخذ رخصة في سفك دمهما الحرام . وأذهب بقتلها قوة الاسلام . واتخذ بذلك عند ذوى الاحاد يداً . واستكثر له من أعوانهم مدداً

قال : وكان عمى العزيز يحسب انه انسان . وأن جزاء الاحسان له منه احسان . فلما أحس بشرارة شرّه . وضرارة ضرّه . أفكر في طريق الانزواء . والخلوص من تلك الاهوال والاهواء . فاستأذن في الحج فسار في سنة ٥١٧ أو ٥١٨ وكان حاج تلك السنة بأجمعهم في ضيافته وكرامته . وعملهم شمول عارفته حتى قال الرئيس أبو الحارث البغدادى فيه

يا كعبة الاسلام مالي أرى اليك تسعي كعبة الجود
تقصد في العام وهذا التقي لم يلف يوماً غير مقصود

وهناه عند عوده القاضي أبو بكر الأراجاني بقصيدته النونية المشهورة التي أولها

ورد الحدود ودونه شوك القنا	فمن المحدث نفسه أن يجتني
لا تمدد الايدي اليه فظالما	شبو الحروب لان مددنا الاعينا
ما ان جفوت الطيف الا ليلة	والحي قد نزلوا باعلى المنحنى
لما ألم وقد شغلت بمدحة	لعزيز دين الله فكري موهنا
في ليلة حسدت مصابيح الدجى	حكى وقد كانت لها هي أزيئا
قلمى بها حتى الصباح وشمعتى	بتنا ثلاثتنا ومدحك شغلنا
حتى هزمننا للظلام جنوده	لما تشاهرنا عليها الاسنا
أفناهما قطي وأفנית الدجى	سهرافا صبحنا وأسعدهم أنا
لله مقدم ماجسد أضحي به	عنا لمتازلة النوائب مظعنا
أمنت اساءته عداه لانه	مدكان لم يحسن سوى أن يحسنا
أتبع غزوتك الحميدة حجة	فقضيت أيضاً فرضها المتعينا
وجررت أذيال الكتائب موغلا	في الارض خلف بنى الحبائث مشخنا

حتى غدت تلك المجاهل منهم وكأنما هن المناحر من منى
قال : ولما عاد من حجه . استعفى السلطان من شغله . فما أجابه الى مراده .
ولا مكّنه من انفراد . وأعاده الى منصبه على العادة . وأشرق به مطلع
السعادة . وأصبح الوزير يجول في مكر مكره . ويسر له ما يرجع بشغل
سره . وعادت تلك الصداقة عداوة . والمعرفة نكرة وغباوة . وعبرت على
ذلك مدة فثبت العزيز على الاستعفاء . وترك منصب الاستيفاء . فقتال
السلطان « اذا كنت مستعفيا . ولا تؤثر أن تكون مستوفيا . فإلى أعز من
الولد والمال وقد سلمت اليك خزائني وأولادى وبهذا يحصل مرادك
ومرادى » فلما خلا منصبه منه . ورغب العزيز عنه . تولى الصفيّ أبو القاسم
الجنزى ديوانه . وجلس مكانه . فتوازر هو والوزير والجماعة على قصد العزيز
فلم يقدرُوا له على مضرة . ولم يعثروا له على عثرة . ومضت على وزارته ثلاث
سنين وشمل العدل بغير النمام . وسلك الملك بلا نظام . والمعاهد غير مبرمة .
والقواعد غير محكمة . وتفرغ العزيز لاعلام السلطان بالتشويش والتشويه .
وحصول كل أمر كريم به في الامر السكريه . فأمر السلطان بقبض الوزير
واعتقاله . وسلمه الى العزيز ليريح الناس من شره وغياله . فرأى أن اهلاكه
على يده شنيع . وان ذكره بالقتل وهو ليس من أهله فطيع . ودبر في تولية
وزير يسلمه اليه . وهو لاجل الخوف على منصبه منه يقضى عليه . فسمى
في استدعاء شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد من بغداد فلما حضر
واستوزر حمل الدر كزبني الى داره على حاله . وصيّره في اعتقاله
وكانت في أنوشروان ركافة ظاهرة . ووضاعة لخلق الرفعة قاهره .
فلما تسلم الدر كزبني ضرب له في داره الخركاه . وأذن لكل صاحب له أن

يدخل اليه ويلقاه . وكان في كل يوم يدخل اليه ويجلس بين يديه ويخاطبه
 بيا . مولانا . وأنت أولى منا بالمنصب الذي خصنا به السلطان وأولانا . فسقطت
 حرمته . وذهبت هيئته . واتضعت وزارته . وعرفت حقارته . وخيف
 عود الدر كزبني بعد استقرار سلامته . الى منصب كرامته . فشرعوا في
 اعادته . وجروا على ارادته . وهو جالس في دار أنوشروان . والناس متناوبون
 اليه لتقرير وزارة السلطان . فما شعر أنوشروان حتى أخرج من داره .
 وزد الى مقرده على قراره . وأذن لانوشروان في العود الى موضعه . والغيبض في
 منبعه . فرأى الغنيمة في الاياب . واغتم السلامة التي لم تكن له في الحساب .
 قال : وكانت وزارته سنة واحدة على ما أورد في بابه . والآن أذكر ما ذكره عن
 نفسه في كتابه

— ذكر وزارة شرف الدين أبي نصر أنوشروان بن خالد —

قال أنوشروان : كنت قد اتخذت بغداد مدينة السلام . دار المقام .
 وأنا من حفظ الله في أوفى ذمام . نجاءني كتاب السلطان محمود وخاتمه .
 ووصل رسوله وخادمه . يستحثني في الوصول اليه . ويستعجلني في المشول
 بين يديه . فحين حضرت الخدمة شافني بالتقليد . وخصني بأمره الاكيد .
 وكل لي تشريف الوزارة وخلعها . وأدواتها محلاها ومرصعها . ودواة الذهب
 والسلاح المجوهر فجلست في الوزارة سنة وأشهر لا أقدر على الخطاب في
 مصلحة . ولا على التنفس بفائدة مترجعة . وصاحباً يميني ويساري الشهاب
 أسعد الطغرائي والصفى أبو القاسم المستوفي والامير الحاجب الكبير حينئذ

ارغان . وامرأته خلف الستر قهرمانة السلطان . فلما رأيت اتفاقهم على ما هم فيه قلت في نفسي لا يظهر لي مع الناقضين فضلٌ . ولا يقبل منهم صرفٌ ولا عدلٌ . فاستعفيت واخترت المنزل على التولية . واحداث نفسي عن الولاية بالتعزية والتسلية . ونفخت يدي من صحبتهم . وقات الغناء على تربتهم ورتبتهم . وعاد الدرگزني الى الوزارة فانه ارغب ارغان الحاسب بالرثى . ومشى بدغرضه فشى . ورجع كالكلب الكاب . والبغل الشعب . وهابه من لم يكن يهابه . وامتلاً بالاثوم والشراب

قال : فعدت الى بغداد مستأنساً بالوحشة . آلفاً بالوحدة . فلما وصل الدرگزني الى بغداد اجتهد ان ينالني شره . فمعدني الله من كيد . لا لاساءة اليه مني سبقت . ولا اضغينة على بقلبه علفت . فاني كنت اسلفته في حال حبسه وعزله احسانا . وقلدته امتنانا . ولم أترك في الانعام امعانا . ولما كلاًني الله من غائلته مديده الى مالي . وانزل النوازل باسبابي . وقد كنت بنيت على دجلة دارا فادعاهما لنفسه ملكا . واستحضر عدولا شهيدوا له بالملكية زورا وإفكا . وانتقل الى الدار بحكم الشرع . وصير باطله حقا بيناته الكاذبة في الاصل والفرع .

قال : واجترأ على الاجترام . واجترأ الآثام . وسفك دم الكرام . فتارة يظهر التسنن باراقة دم الملوية . وآونة يدعى التشيع في قتل الائمة السنية . فمن جملة من سفك دمه . ورام عدمه . علاء الدولة رئيس همدان وكان شابا حسنا شريف النسب . كريم الحسب . وكان باصفهان قد حضر مجلس الوعظ فقام اليه رجل من اصحاب الدرگزني فضربه بسكينه . وفرد به دية حبل وتينه . وكذلك عين القضاء الميانجي بهمدان كان من الاكابر

الائمة والاولياء ذوى الكرامات . وقد خلف ابا حامد الغزالي رحمه الله
 في المؤلفات الدينية والمصنفات . فحسده جهال الزمان المتلبسون بزى العلماء .
 ووضعهم الوزير عليه فقصده بالايذاء . وافضى الامر به الى ان صابه
 الوزير بهمدان . ولم يراقب الله فيه ولا الايمان . وكذلك الملك علاء الدولة
 يزيد سمى في دمه وهتك حرمة . وكذلك رئيس ساوه اعتقله ثم قتله وتابع
 البيوت الكبار واقتلها . والجبال المظام فزعزعا . ومن جملة افعاله القبيحة .
 واقواله العائدة على الدولة بالنقضية . انه حسن للسلطان وقد وصل الى بغداد
 في سنة ٥٢٠ ان زحف بعسكره الى دار الخلافة وقالوا وفعلوا ما لا يحسن ذكره .
 واعتمدوا كل ما قبحت سمعته وعظم وزره . وكان حينئذ وزير الخليفة
 المسترشد بالله رضى الله عنه جلال الدين أبو على الحسن بن على بن صدقة
 فتوسط للامر بكفائته . وكشف تلك الضلالة بهديته . وكان صديق عمي
 العزيز رحمه الله . فتماعونا على الاصلاح . وأسسوا الجراح . وحملوا السلطان
 على معاودة طاعة إمامه . والتصرف على أوامره وأحكامه . وذلك في
 اواخر ذي الحجة سنة ٥٢٠ أو اوائل المحرم سنة ٥٢١

ولما قرب مسير السلطان من بغداد حدث به مرض ضعف منه
 جسمه وقلبه فاعتمد ان ذلك من شؤم خلافه الخليفة . جلس في محفة ووقف
 على باب الحرم للمواقف الشريفة . وأبدى الاعظام والاجلال . وطلب
 العفو والاستحلال . فخرج اليه التوقيع الامامى باجمل جواب . والطف
 خطاب . وطابت نفسه . وزاد بذلك أمسه في البر وأنسه . ووصل الى
 همدان وقد ابل وتوفرت له حصاة الصحة . وشكر الله تعالى على رواح المنحة .
 قال عماد الدين رحمه الله : وفي هذه السنة عزل الدركزني . وولى

انوشروان كما سبق ذكره ثم عزل انوشروان بعد سنة وأعيد الدرگزني وما زال عمي العزيز في عصمة من شر الوزير حتى أخبر السلطان بأن عمه سنجر قد سير في طلب ميراث ابنتيه وجواهرهما رسولا فانه كان قد تزوج باحدهما فماتت ثم تزوج بالآخرى فماتت ايضا فوضع الدرگزني من قال للسلطان « ان رسول عمك واصل اليك بسبب تلك الجواهر . وأنه لا يعود عنك بما تقرره من المعاذر . وقد رضى سنجر بشهادة العزيز فانه أمين قوله صادق . والسلطان سنجر بصحته واثق . ونحن نرى ان تحبس العزيز في بعض المعازل . محفوظاً من الفوائل . حتى اذا وصل الرسول وأدى رسالته . وطالب العزيز وشهادته . قلت له هذا صاحبنا وقد نقمنا منه أمراً فمزلناه . وقبضنا عليه وأعتقلناه . وما بقينا نرجع اليه في الشهادة . وسؤال المحبوس خلاف العادة » فلوّم السلطان محمود رتدّم . وتردد فكره وتقسم . ففاوضه الدرگزني وهوّن عليه الامر . وسهل عنده لوعر . وقال له « اذا كنت معتمنيا فما يضره العقود مصونا . وما يعيب الدرّ مكنونا . والذخر مخزوننا » قال « وانا أطلق لك من مالى ثلثمائة الف دينار اذا حبسته . وأقوم بادائه اذا أجلسته »

فقال الى المال . وحال بالحوال . فاستدعى عمي العزيز من داره وعرفه بنرضه ثم أمر بالتوكيل به على أجل وجه وكان ذلك والسلطان حينئذ ببغداد في أوائل سنة ٥٢٥ ثم قالوا للسلطان الصواب انفاذه الى مقل فقد قرب وصول الرسول فسلم العزيز الى بهروز الخادم شحنة بغداد حتى سيره الى تكريت فلم يلبث السلطان بهد حبسه الا قليلا . ولم يلا (يا ليتني لم أأخذ فلانا خليلا) وذلك انه لم يسمع من رسول عمه عند حضوره ما قيل عن رسالته .

واستدل بذلك على كذب الوزير في مقالته . وأرسل الى الوزير وطالبه بالمال
 فزاع عن مطلبه . ومطل به . وسير الى أصفهان فقبض على والدى صفى الدين
 وعلى عمى ضياء الدين واعتقلهما بقلعتها ونهب وسلب . واستولى على أملاكنا
 وأموالنا واستوعب . وأما العزيز فان السلطان كتب اليه بتكريرت يعده
 ويأمره بالصبر ويقول « اذا أخذت من الوزير ما بذله فانا لا بد أن أطلقك
 واعتقله » والوزير فى كل مدة يزن له شيئاً من المال ويريه أنه من عنده
 ومن ذهبه ولا يعلم أنه جباه من مال المصادرات وجاء به ووعدته بالباقي الى
 همدان . وفى القدر ان بقاءه قد انتهى وان حينه قد حان . ورحل السلطان من
 بغداد ومريض فى الطريق وشهد مرضه . ثم فارق جوهره عرضة .
 وذلك فى شوال سنة ٥٢٥ . وذكر ان الوزير سمه فى طعامه فانه لما قصر
 فى اداء المال . ونظر فى سوء المآل . شرع فى اغتيال السلطان على وجه
 الاحتيال . فتم له تأميله . وحين مضى السلطان اسبيله . وضع فى
 التسلط سبيله

قال : وكان قد اتفق وصول السلطان سنجر الى الرى فى سنة ٥٢١
 قبل مضى السلطان محمود الى بغداد فعاد الى خراسان واستصحب الملوك
 معه تأنيسا لقلب محمود . باستصحاب اخويه طغرل ومسمود . عاد محمود
 الى سريره . وتفرّد الوزير بتدبيره . ومن الاتفاقات العجيبة . والواقعات
 الغريبة . انه اجتمع فى ذاك العهد فى خركاه واحدة السلطان سنجر والاخوة
 الاربعة السلطان محمود ومسمود وطغرل وسليمان والوزير الدرگزى والنصير
 محمود بن أبى توبة وزير سنجر وهناك رجل يقال له الفلاك وهو من الندماء
 المطبوعين فقام وصلى ركعتين . ورفع الى السماء اليمين . وجعل يدعو الله

ويتضرع . ويتهل اليه ويخشع . فاستدعاه سنجر وقال « ما هذه الصلاة والدعاء » فقال « ناجيت الله تعالى وقلت هؤلاء العصابة الذين اجتنبوا في هذه الحركاء هم أصول الفتن . وفروع المحن . فاخسف بهم هذه البقعة . وانفض عنهم هذه الرقعة . حتى يسلم خلقك . ويسلم حقك » فضحك منه سنجر . واستخف النديم المتمسخر .

فلما عاد محمود سار الى بغداد وشرع في ازهاق النفوس فازهقتها . والاخذ بمشورة الوزير لنفاقها عنده مع نفاقها . لاجرم انه ماتمتع بعمره بعد قطع تلك الاعمار . وانتقل بجوره وجبروته الى جوار الجبار

قال : وحكي نجم الدين رشيد الخادم الغياثي انه حضر السلطان محمداً وهو يتقلب على فراشه في سكرة الموت ويقول « ادفعوا عني شير كير وولده فتمد شهرا سيفين ليقتلاني » وكان يكرر هذا القول الى ان قضى نحبه . ولحق بربه . وما عصبته به هذا الوزر الاعصية هذا الوزير . فانه عجل له سوء الادبار بسوء التدبير . وكان السلطان محمود محمود الخليفة . ومودود الطريقة . ان ترك وطبه ولكنه بلى بانواع من البلاء من أعوانه . ونقصوا عليه مشرع ساطانه . وفرقوا في ابتداء دواته خزانة أبيه . واستضعفوا جانبه وطعموا فيه . قال : ووجد تفصيل بخط عمي الوزير رحمه الله ان الخزانة الغياثية المحمدية . كانت تشتمل على ثمانية عشر الف دينار سوى الصياغات والجواهر الثمينة وأصناف الثياب الممدنية . قال الامر الى انهم احتاجوا الى إقامة وظيفة النقا . فلم يجدوا ما يصرفون فيها من المتاع . فاخرجوا الى الفقاعى عدة من صناديق الخزانة التي فرغت فباعها بما بلغت وحتى طلب السلطان من شاپور الخازن غالية فاستهله أياما وادعى اقبالا . ثم أحضر ثلاثين مثقالا . فقال السلطان

لشاهبور وكان خازن أبيه « حدث جماعات بها كان في خزانة أبي من الغالية »
 فقال شاهبور « كان في قلعة أصفهان منها في لاونى الذهبية والفضية .
 والبلور والعينية . ما يقارب مائة وثمانين رطلا ومنا في خزانة الصحبة
 مقدار ثلاثين رطلا » فقال السلطان للحاضرين « اعتبروا بالتفاوت بين
 الامرين وفصل ما بين المصريين » قال : وكان محمود قوى المعرفة بالعربية .
 حافظاً للشعار والامثال الادبية . عارفاً بالتواريخ والسير . ناظراً فيما يوجب
 الاعتبار من الغير .

« ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود »

« الى ان استقر الملك الطغرل »

قال رحمه الله : كان قد تفرس الوزير في السلطان محمود . انه مؤؤد
 وانه في الاحياء غير معدود . وحين فارق كنفه . ورافق كنفه . استصحب
 الى الري مع عساكر العراق . وتظاهروا على الاتفاق . وامرؤهم برُسُق
 وقَزَل وقراسنقر وقراطغان وغيرهم واقاموا بها تلك الشتوة . واعتدوا بها على
 انتظار السلطان سنجر الحبوة . ولبثوا من يوم موت محمود الى حين
 وصول سنجر أكثر من خمسة أشهر فوصل الى الري في شهر ربيع الآخر
 سنة ٥٢٦ واستقبله عساكر العراق مع الوزير . وجلس سنجر على السرير
 ووصل بعده ليلا طغرل سحرة . ولقى عمه بكرة . فترجل له الوزير الدر كزنى

فما احترمه طغرل ولا التفت اليه . ولا قبله ولا أقبل عليه . وكان الرسول قد أرسل الى طغرل بتحنة ونسخة عهد . ابانة عن نصيح وشفقة وبذل جهد . قال : وحكى زين الدين المظفر ابن سيد من الزنجاني وهو الرسول انه اتى طغرل بخوار الري فمثل بين يديه . وأوصل هدية الوزير اليه . فلم يجعل لها وزنا . وأظهر عند رؤيتها حزنا . وذكر آتابكه شيركير وشرف الدولة ولده وأغرورقت عيناه وابدي عليهما كمده . وقال « اين هافي هذا اليوم ولو عاشا لكنا انفع لى من هؤلاء القوم » ولما عرضت عليه اليمين بان فيه اثر السخط فشرع فيها متلفظاً . ومن ان يمين متحفظاً . فلم يتفوه بروابطها . ولم يتنبه على شرائطها . ولما رجع الرسول الى الوزير عرفه ما جرى وأخبره فلم يكثر بتلك الحال . اغترار بقوة الاحتيال .

قال : وكان وزير السلطان سنجر نصير الدين محمود بن ابى توبة فأنعم على الدرگزني بفرع الري لتلك السنة فان الري كانت من الاعمال السنجرية ووالها من أصحابها الاجل المقرب جوهر المعروف بالامير الاجل فلما فرغ الوزير الفرع ووزعه . منعه الامير الاجل ووزعه . فأغلظ الوزير له في المقال . وكان ذاك من سباب حنقه في المال . قال : ورحل سنجر الى همدان وخيم بها ثلاثة أيام . ثم نهى الى نهاوند . وحث على اتباعه الجند . لان الخبر وصل بأن الملك مسعوداً وصل مستعداً للملك ومعه صاحب فارس آتابك قراجه . ولما سمع طغرل باقبال أخيه مسعود . لم يطمع من السلطنة في مسعود . فعزم على الرحيل فأحس سنجر بعزمه وسير اليه الوزير والامير الحاجب وهو محمود القاشاني . والامير قماج وجماعة من امراء العسكر الخراساني . فأتوه وهو واقف على تلمة حذاء كسكرور وبانود رسالة عمه سنجر

وأنه ولاد سلطنة العراق وساطه على ولاياته وانه وليّ عهده ومالك خراسان
 من بعده . فہوى الى الارض مقبلا . وجرى القدر بملكه من السماء فاصبح
 مقبلا . وسار سنجر الى نهاوند بعد ثلاث ونفذ السلطان طغرل في العسكر
 العراق فجاءهم الخبر بان مسعود المسمى عائدا الى آذربيجان على سمت دینور وما
 في عزومه ان ياتي عمه سنجر فأخذ الجماعة اليه سائرين وهجروا تلك الليلة
 الكرى . ووصلوا السير بالسرري . فما اسفر الصبح الا ولیل العجاج جان .
 والخطى يهتز على يمين الشجاع كأنه جان . والكوسات تدعس . والبوقات
 تنغر . وصادفوا العسكر المسعودى على موضع من عمل دينور يقال له
 بنجنكشت مرت تلك الجيوش به فامتأ الملا وماج المرت وجاش الموت
 وطاعت راية السلطان الاعظم سنجر وهو تحت مظله . كالقمر في حالته .
 وعلى يمينته السلطان طغرل والامير قاج . وعلى يسرته خوارز مشاد وعدة
 أمراء مساعير يسير بأسيهم الهياج . خلمات يسيرة مسعود على يمينه سنجر
 وفيها السلطان طغرل فصدتها وهزمتها . وركض طغرل في الهزيمة فرسخين
 ثم تحيز الى عمه ووقف في قلبه . وثبت بجانبه . وحملت يسيرة سنجر على يمينه
 مسعود فقرقت نظامها . والتهمت لهاها . وفرّ قراجة ووقف في خواصه وكانت
 اسنجر صفوف وراء صفوف نخرتها الى القاب . ودارت في الاحاطة بهارحي
 الحرب . وكان أشجع أهل زمانه فثبت في مستنقع الموت رجله . ولم ير في
 الاتدام بالروح بخله فلما كسر أسر . وقبض معه من أمرائه على يوسف
 الجاوش ووزيره تاج الدين بن دارسس
 ثم ركب السلطان بعد ثلاثة أيام ووقف على نامة فاحضر بين يديه قراجة

ويوسف وهو طارق لا يضرع له ولا يخاطبه فضربت رقبتهما . وطويت
ورفتهما . ثم انصرف السلطان سنجر ذلك اليوم وارتحل من غده فلما وصل
الى كور شذبه خلع على السلطان طغرل وسايده على انفراده . ووصاه ببلاده
ونلاده . واقضى اليه باسرا رده وأسرَّ اليه بمفاوضاته . وأمره بان يكون
مع رضاه ونهاد عين معارضاته . فقبل عين الوزير ذا كره لما ذا كره
عمه . وظن انه سرَّ يخفر فيه ذمامه ويخفي ذمه . ثم دعاه وودعه .
وأودعه من النصيحة ما أودعه . وانصرف الى الري راجعاً . واصالح
الممالك جامعاً .

✽ ذكر جلوس السلطان المعظم ركن الدنيا والدين ✽

✽ أبي طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه ✽

(ابن الب ارسلان)

قال رحمه الله : جلس طغرل على سرير الملك بهمدان بعد انصراف
السلطان سنجر الى خراسان في جمادى الآخر سنة ٥٢٦ ووزيره القوام أبو
القاسم ناصر بن علي الدر كزبنى الانساباذي استبد بتمشية الامور . والامر
والنهي على الجمهور . وكان لا يوقع في الامثلة السلطانية مظهراً انه وزير سنجر .
وانما خلقه بالعراق ليهذب الممالك ويدبر . وهو في هذا الكبر نشيط . والسلطان
طغرل منه مستشيط . فهو في بث العدل . والوزير في بث الجبل . وذلك

يعطى وهذا يأخذ . وهذا يورط وذلك يتقذ . ووصلت رسل الامام
المسترشد بالله فاقبهم الوزير بعبوس وبؤس . ووقعهم بالنجدة . وواحقهم بالجبة
وضيع للطمع في الرشى الرشد . وضل عن نهج الضلالة التي تشدد . وأفسد
ما صلح . وجرى على خاق الفلاحة وما أفلح . وانفصل الرسل ولم يستقر
بين الامام والسلطان فاعدة . وكلما ظننت متقاربة عادت وهى بمادية عادة
الوزير متباعدة .

ذكر ماجرى للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه

قال رحمه الله : كان داود ولى عهد أبيه . وآق سنقر الاحمد بلى آتابكه
ومربيه وهو بآزريجان فى جمع كثير . وجم غفير . وقصده خواص والده
وتغضبوا له وتعصبوا . وثابوا اليه ووثبوا . ومعههم الامير سعد الدولة
يرنقش الزكوى وكان من أجل أمراء الخدم . وأخذهم فى احياء رسوم
البأس والكرم . ومعههم ابنا قراجة ايلر مش وأخوه . وعدة من الامراء
هم الاعيان والوجود . ومن أرباب المائم الصفى الاوحد أبو القاسم الذى
جعل مستوفيا للسلطان محمد بعد العزيز . فملهم على التبريز من
تبريز . ونهض السلطان داود فى سنة ٥٢٦ الى همذان ولما قرب من
معسكر عمه طغرل انمازت عدة من أمراءه الاتراك الى خدمة طغرل
منهم بالسكرى وأخوه مع عصبة ذات عصية وكذلك شيمية الاتراك

غير وفية .

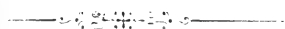
وبرز طغرل في جنوده المنفقة . والبنود المحترقة . فلما تصاف المسكران .
وتضايق العشيران . وقع البيض على البيض . ولم ير الا بحر الدم يجود من
الغيظ بالفيض . ومضى الظهر ولا صهور . وقد حي بالصدور الظهور .
وظفر العم وعم الظفر . ونفر ابن الاخ وفر منه النفر . وانهمز آف سنقر
بداود . وباء الباقرن باغلال وقيود . وقتل في المعركة ايلر مش بن قراجه مقدما .
وبذل روحه في الملتقى مكرماً . وأخذ سعد الدولة ير نقش الزكوى فاعتقل
في همدان عند الوزير في قصره وأمضى على سبعين الف دينار فصل أمره .
وتسلم منه قلعة قزوين . وخت منه بلاده وذوين . وأخذ أيضاً الصفي
المستوفي المعروف باوحد بهروز وحبس عند جاولي جاندار . وسأل الوزير
أن ينقله ويعتقله عنده بالدار . فما رخص فيه السلطان . ولا تمكن منه ذلك
الشیطان فانه كتب الى طغرل يقول « ان سلمتني الى الوزير . أسلمتني الى
المبیر وأنا أعطيك مائة الف دينار على أن أسلم ولا أسلم . ويستعفى
مالي لا الدم » .

فلما يئس الوزير من وقوعه في يده افكر في حيلة ضعف بها مال
مصادره حتى أدي مائتي الف دينار وذلك انه قال للسلطان طغرل « ان عمك
أمرني أن أضرب الدينار الركني في همدان . حتى يتفق نقد العراق
وخراسان » وتقدم بضرب الف دينار بذلك العيار . ونادى بالتعامل به في
تلك الديار . وطولب الصفي الاوحد بذلك النقد . من غير تضعيف العقد .
نم انه صادر الامراء وأمر بالمصادرات . وبيت بالاذى ذوى البيوتات .
فقرر على قتلغ الرشیدی وكان استاذ دار السلطان محمود ثمانين الف دينار ثم

عُذِر به الوزير فاستخرج من ودائع ثلاثين ألف دينار أخرى فقرته وأفقرتة . وكسرتة وخسرتة . وأخذ من الجمال بن منارة البيع في همدان ثلاثين ألف دينار . وولى نخر الدولة بن أبي هاشم الحسين رئاسة همدان وأخذ منه عشرين ألف دينار . وقرر على تاج الدين دولتشاه بن علاء الدولة ووالدته ووزيره مائة وخمسين ألف دينار . وصادر الاكابر . وصدر الكبراء . وجر العظام وعظم الجرائر . ووزع على بلاد الممالك بملة صياغات بيت الشراب والمطبخ الوفا . وثلاثة فاطم السلطان طغرل على طغيانه وتسلمته فأفند اليه « انك اساءت سمعتي وأسمنت مساءتي . وفضحت أمرى وأمرت بفضيحتي . ألم يكفيك سلخ جلود العظام . حتى شرعت في استفراغ دماء الضعفاء . واستنزاف دماء الفقراء » فكف الوزير عن التوزيع بعد جباية الاكثر . والحياة في الاوفر .

وسمع السلطان طغرل بتحرك اخيه مسعود . وخروجه مع اق سمنقر في جموع وحشود . فارتحل صوبه الى اذربيجان فلما سمع مسعود بقربه . لم يقف لحربه . وأغذ السير الى بغداد في حربه . ودخل طغرل الى مراغة وكان الوزير في تأخر عنه فاتهنز فرصة غيبته . وبسط يد معدلته . فجاءه الوزير فجاءة . وجر عليه جراءة . وبطل الحق وعطل العدل . ووجهه على وجوه البلاد البلاء . ومثل بالامائل والى الرؤساء اساء . وصادر زرقان رئيس تبريز . على سبعين ألف دينار من الذهب الابريز . ودخلت الشتوة رقصرت الخطوة . واختار السلطان طغرل دخول تبريز والمقام في قلعتها الى حين انحسار شتوتها . وانكسار سطوتها . فاجتمع عسف الوزير . وعصف الزمهيرر وادبار المسىء وسوء التدبير . وكان المستولى على فارس بعد قراحه منكوبرس

وقد اجتمع عليه الترك فكتب الى السلطان . يطلب ولده الب ارسلان .
ليذعن بالطاعة . والاعتراف بالتباعة . فأوجب ذلك رحيل السلطان والطرق
مسدودة . والسبل مسدودة . فتضرر الظاهر وظهر الضرر . ونفقت الدواب
وتضوّر العسكر . ووصل الى اصفهان . وأنفذ الى فارس ولده الب ارسلان .
فوقعت على منكوبرس حينئذ على الحقيقة سمّة الآتابكية . ودرّت له
اخلاف الحرمات البكية .



— ذكر حوادث جرت في أثناء ذلك من السلطان مسعود —

﴿ وآتابك آق سنقر الاحمدبلي ﴾



قال : رحمه الله لما قصد السلطان مسعود بغداد عبر على تكريرت وكان
واليها الامير نجم الدين أيوب وعمى عزيز الدين عنده فقال مسعود لا يستتب
أمرى الا بوزارة العزيز . فان الامراء يميلون اليه واذا استوزرته كنت في
حرز حريز . فنفّذ اليه خادمه عماد الدين صوابا . والامير أبا عبدالله الدووى
ومعه مقدمين وحجابا . وطلبوه من الوالى . فظهر الامير طاعة الموالى .
ليكنه اضر نية اللاوى ولى المناوى . فان صاحبه كان مع السلطان طغرل
فحصل فى الامر المشكل . ان سلمه خشى فى العاقبة عقوبة صاحبه الغائب .
وان لم يسلم خاف من سخط السلطان الحاضر العاتب . واخرجه من القلعة
الى المشهد بالمدينة . واشتغل بحمل اسباب التجميل والزينة . ولم يزل يدافع

الوقت حتى حان المغرب . وخان المطلب

فعمز العزيز على الخروج فيمن معه وتسايقوا الى الابواب فوجدوها
قد أغلقت قبل وقت اغلاقها . وعند ذلك عاد وثوق الآمال بالانطلاق
بوثاقها . وطلبت المفاتيح وقد حملت الى القلعة . فباتوا على مضضهم في تلك
البقعة . فلما أصبحوا وجدوا صطماز أحد ممالك بهروز وهو شحنة الحلة على
الباب . وقد استتبع جماعة من الاوباش والاشاب . وقد ساق في ليلة
واحدة اربعين فرسخاً . وجاء لمن بالقلعة مصرخاً . ودخل على العزيز وأخذ
بيده وردّه الى القلعة وقال للقوم « انصرفوا بسلام . فلا حاجة بنا الى التعرض
من صاحبنا لمعتبة وملام . وهذا السلطان مسعود ان استقرت له سلطنته
فالافاق له مدعنة . وما دام الملك لآخيه فلا مطمح له فيه » فلم القوم انهم
اخطأوا الحزم . وضيعوا العزم . فرجعوا الى السلطان وأخبروه بالحكم والعلة .
خلف به الشحنة من شحنة الحلة . وطالب بمض اخوة العزيز ليستخدموه .
ويتقرّب به اليه ويقدمه

وكان العم بهاء الدين أبو طالب وزير آق سنقر الاحمدي وهو في
الخدمة فرتبه في منصب الاستيفاء . وتعوض بالصعيد الطيب من الماء .
واستوزر أنو شروان . وجل بمكانته المكان . وأخذ العسكر للملك طالباً .
ولاخيه مناصباً . وكان السلطان طغرل حينئذ باصفهان . وقد استخاف آتابك
قرا سنقر بأذربيجان فلما نهّد آق سنقر مع السلطان مسعود الى آذربيجان .
تروحز عنه قرا سنقر الى زنجان . وتخصن عين الدولة خوارزم شاه والاميران
بشكنتين وبلاق باردبيل والامير الحاجب تار بأرمية وتحكم السلطان مسعود
واق سنقر في تلك البلاد . وانتظمت امورهم في سلك السداد . ونزلوا على

أردبيل محاصرين . وثبت أهلها صابرين مصابرين . وكتب الدر كزني الى
 قرا سنقر يحرضه ويقول له « بارز آق سنقر فانت له مبار بالمبارزة . واحضره
 وناجزه الحرب بنفسك والا حضرت بنفسى الى المناجزة » فكتب جوابه
 ومهد فى تأخير القتال عذرا فلم يمهذره الوزير وكتب اليه ثانيا يأمره بالمناجزة
 فأستشاط قرا سنقر من اشتطاط الوزير وقال لجماعته « قد بلانا الله بهذا
 الفلاح . والدولة بوجوده معدومة الفلاح » فاحتد الاميران الحاجب تثار
 وجاولى الجاندار وقالوا « لا بد من طاعة السلطان فى محاربة أهل العصيان .
 فلا تجبن فهذا مقام الشجيمان » فاغتاز وركب وساق نيفا وعشرين فرسخا
 فى ليلة واحدة فوصل بخيول رازحة . وخيول آق سنقر جامدة غير جانحة .
 فتلاقيا وتضاربا . ثم انهزم قرا سنقر وفر . وظفر آق سنقر وفر . وكانت
 الحرب على باب اردبيل . فشفى آق سنقر منهم الغليل . واحتوى على ما كان
 معهم . ولم يقيم بعدهم وتبعهم . وهجر الكرى . ووصل السير بالسرى .
 حتى وصل الى همدان . وعنا الملك لمسعود ودان . وخرج السلطان طغرل
 وتحصن بارونذ وماوشان وكان قد عرض له مرض اقعدده عن الحركة . واعجزه
 عن حماية المملكة . فقدم الامير الحسن الجاندار على العسكر وهاجه الى اللقاء .
 وألقاه فى الهيجا . ثم انهزم طغرل الى الرى قادما . وعلى الراى نادما . وعلى
 وزيره واجدا . والله شكرا على سلامته ساجدا .



« ذكر ما كان من حديث عمي العزيز وحادثته »

بعد عوده الى القلعة

.....

قال : قال الدر كزني اسنجر عند عوده الى خراسان « انك تعود الى خراسان ويبعد علينا استئذانك في المهام فاعطنا علامتك في دروج بياض . المقاصد تعرض واغراض . فاذا عنت مصلحة . واتفقت منفعة للدولة ترجحة . أصدرنا بها مثالا بعلامتك فلا يخالفه القريب والبعيد . ولا ينقاد الاله الغوى والرشيد » وكانت علامة سنجر تحت قوس الطغراء وفوق بسم الله (توكلت على الله) فاخذ العلامات في عدة دروج . واتخذها أسبابا لاستباحة دماء وفروج . فاول مثال زورده انه وقع تحت علامة منها بقتل العزيز الى صاحب تكريت بهروز الخصى . واتفق انه كان في العسكر معهم فارهبه وأرعبه وأمره بالامثال . والجرى على مقتضى المثال . ففزع الخصى وتمكن منه الخوف وكتب الى والي تكريت نجم الدين أيوب . وخاطبه في الخطب المخطوب . وقال له « هذا توقيع السلطان مع صاحب وزيره . يأمر بقتل العزيز وتسليمه اليه وتسييره . فان أبيت فقد رضيت بسخطي . وخالفت شرطي . وأردت الخطأ في رد خطي »

وكان نجم الدين رجلا مسلما . فما رأى أن يكون لرجل مسلم مسلما . وعرف أخوه أسد الدين شيركود الحال . وحجز بينه وبين الوقوف على التوقيع الواصل وحال . فشاركه أخوه شيركود في رد الوارد . وصرفه بالخلع والفوائد وكان شيركود لازما للعزيز ومتبركا به . ومتمسكا بسننه .

قال عماد الدين : سمعته يوماً يقول « صليت ليلة مع العزيز فسمعت هاتفاً يقول جعلك الله عزيزاً كما حميت العزيز » فما أطمعني في مصر بعد نيف وثلاثين سنة الا هذه الدعوة . وأيقنت اني أنال هذه الخطوة . قال : فكان كما قال فانه ملك مصر وصار عزيزها . ومن حاز الجنة بما فعله فلا عجب لمملكة مصر ان يحوزها

قال : فلما عرف الدرگزني تمنع ما توقعه . ضاق عليه الفضا وما وسعه . فثقل على بهروز وفزعاه . وقال له « سر بنفسك ولا تنفس بسرك حتى تأتي تكريت . وبيت من بها قبل ان تبيت » ووكّل بالخصى أياماً . ومنزج له في الشهد سمماً . ثم أطلقه على الشرط فلم يشعر نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه حتى هجم الخصى عليهما القلعة وقال لهما « قد دافعتما عن هذا الرجل دفعات فكيف هذه الدفعة » فدفعاه فلم يندفع . وردعاه فلم يرتدع . فتركاه وشأنه . فمات ترك ما شأنه . وكان بهروز قد استصحب معه من أعوان الدرگزني ملجداً . مثله مفسداً . فلما عرف العزيز رحمه الله انه قد أسلم . وأحس بالامر وما أعلم . قام يصلي ركعتين فصلّى الاولى بسورة الكهف وشرع في الاخرى بياسين . وطالت صلاته على الملحد الأمين . فضربه وهو في السجود . فجاد بروحه في مناجات المعبود . وشهد السعادة . وسعد بالشهادة . وكان مذحس متوفراً على العبادة . يصوم ويقوم وذلك في سنة ٥٢٧ وعمره ٥٥ سنة . وجرى هذا الامر . ولم يكن عند السلطان طغرل خبر . وفي ذلك عبرة لمن اعتبر . فانه بعد قتله الدرگزني طلب العزيز فاعلم بحادثته وحديثه . فلعن الوزير على تأثيره . وشؤمة النارى ونأريشه . ولم يكن بين مقتل الشهيد العزيز وبين (٢٠ — آل - اجوق)

مقتل المرتد الوزير سوى أربعين يوما

« ذكر قتل الوزير الدر كزني وما آل اليه أمر السلطان طغرل »

قال رحمه الله: قد ذكرنا انه أحجم الى الري من قدام آق سنقر ومسعود . في عدد منفلول وفل معدود . وخرج الامراء الذين كانوا بارد بيل في الحصار ورحلوا على سمت أضنهان . ليلحقوا السلطان . وفارقهم العسكر فوصلوا في خف من الخواص . وعبروا للخلاص . على النهج المعتاص . وجاءت المساكر الى مسعود من كل حذب تنسل . وبكل عسال تعمسل . وكان طغرل قد رحل الى أضنهان . ثم رحل لقصد أخيه مسعود الى خوزستان . وأيقن ان كل ماتم عليه من الوهن في أموره كان بوزر وزيره . وإدبار تدبيره . فأمر بصلبه . فصلب بامرره . وانقطع لثقل جسمه جبل خناقه . فوقع الى الارض في آخر ارماقه . وفي جملة النظارة مملوك من ممالك شيركير واقف . وهو بما جرى منه على ماله عارف . فشق الحلقة بسيفه المسلول . وضرب رقبة الوزير المغلول . فقطع في الحال اربا اربا . وأفرغ خف رأسه وحمل الى ابن شيركير فاتخذ له السكالب شربا . وأهديت كل أئمة له الى من عنده له ثار . وانتعش بعثاره من كان له عثار . وكان مقتله بشابور خواست

وكان السلطان طغرل قد قال له وهو جافل . ومن طلوع أخيه عليه آفل « اين العسكر اين الجند اين ما سبق به منك في الكناية الوعد » فقال

له « لا تبالي ولا تخطر خطراً بالبال فاني قد نذبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك وكأني بهم وقد تعجل قمعهم وتقلل جمعهم » فاغتاظ السلطان وقال له « قد وضحت صحة الحادك . وبان فساد اعتقادك » فامر بتجريدده واشغال نار الحديد في ماء وریده

قال : ووصل الخبر بان الباطنية قد دخلوا على آق سنقر في خيمته بمرج قراتكين . وتناوبوه بالسكاكين . وان عساكره ارتحلت من همدان . على صوب آذربيجان . فان السلطان مسعودا وان كان في جمع جم . وعسكر دهم لكن أمره مدبر . اذ عدم من هو له مدبر . فثنى طغرل عنانه . وشرع لنحر الخضم سنانه . ومضى الى الري . وطوى المنازل اليها أسرع الطي . فلما خيم بها اجتمع الذباب على عسله . والذؤباب العاسلة في محفله وجحفله . ورحل السلطان مسعود بعد . قتل آتابكه آق سنقر الى الري لاضعاف أخيه أخيه . ومناجزته قبل انتهاض قواده بخوافيه . والعسكر الباقي معه يزيد على ستة آلاف فارس وطغرل في ثلاثة آلاف فبرزوا بعدة المبارزة . وانجزوا عدة المناجزة . فانهزم طغرل وحماة خواصه . وخلصه ذوو اخلاصه . واستأمن الاميران بلاق وسنقر صاحب ذنجان وجماعة الى العسكر المسعودي . وأستوت سفينة السكينة منهم في بحر جوده على الجودي وذلك في ثامن عشر رجب سنة ٥٢٧

وامتد طغرل الى طبرستان ونزل على الاصفهيد على فأكرمه وأعز مقدمه ووسع له ولعساكره الاتراك وأنفق فيهم الذخائر والاموال وأقاموا شتوتهم عنده فلما انحسر الشتاء رحل طغرل عائداً الى همدان واتصل به من الامراء الاكابر جماعة . لهم على الانام طاعة . مثل عين الدولة خوارزمشاه ومحمد

ابن شاهملك وحيدر بن شيركبر وسعد الدولة يرتقش ووصل بزابه من عند آتابك منكوبرس في الفى فارس من فارس فاشتدت شوكته . واحتدت شكته . وكان السلطان مسعود بأذربيجان فاستدعى نخر الدين عبد الرحمن ابن طغايرك واتصل به يرتقش البازدار ونجم الدين رشيد ونهضوا لصوص قزوين والرى . غازمين على حسم الداء بالكي . فرحل السلطان طغرل يتبع آثارهم . ويشق غبارهم . فنكسوا عن لقائه . وولوه ظهورهم عند ظهور لوائه . وتفرقوا ايدى سبا وغنم أصحاب طغرل ما وجدوه من دوابهم وأسلحتهم ونذب قرا سنقر الى محاربة الملك داود بن محمود بالمرغه فهزمه . وفل غربه وثله . وتمكن السلطان من سلطنته . وتسلط بمكنته . وفرع سريره وعرف سروره .

— — — — —
 وزارة شرف الدين على بن رجاء — — — — —

قال رحمه الله : سمعت والدى صفى الدين يشكره ويشنى عليه ويقول لما قتل السلطان طغرل وزيره الدرگزى استدعاني من اصفهان ووطن وان العزيز باق . وانه عن حضرته اذ طلبه غير معتا . قال : فقربنى واكرمنى قال « خذ خطي الى بهروز باحضار أخيك . وأسرع فاني منتظر لتوافيك » قال : فمضيت الى بغداد واذا بالقضاء قد قضى . والحكم قد أمضى . فلما عرف طغرل بوفاة طلب رجلا كافياً فوجد على بن رجاء عليا كما رجاء فبول عليه في وزارته وسلم اليه المنصب وشرع في مصادرة الدرگزىة وقبض على

نوابهم . وضيق على أصحابهم . قال : وفي هذه النوبة قتل السلطان مسعود
الصفى الاوحد المستوفى وصادر أهله على مائتى الف دينار وكان ذلك برأى
سعد الدين أسعد المنشئ الخراسانى وبمواطاة الكمال ثابت القمى فانه تولى
منصب الاستيفاء . فرأى اتلاف من يترشح لمنصبه حتى يبطش بيد الاستيلاء ،
ولما استقرت قاعدة طغرل وأمن من معار معارضيه . وعلا على مقار
مقارعيه . وجلس على تخته . وتجل بعلو بخته . فاجأه الاجل فانتقل من
الثراء الى الثرى . ومن دار البلاء الى دار البلى . وذلك فى أوائل سنة ٥٢٨
فانه عرض له قولنج فشرب دواء أسهله وأدواه . وأسقط قواه . فقتشت
ذلك الجمع . وانطفئ ذلك الشمع . وغاض ذلك البحر . وغاب ذلك البدر .
وكانت وفاته بهمدان ودفنه بها فى مدرسة بناها لبعض خدمه . وأسف
بنو الآمال على كرمه . وكانت مدة ولايته سنتين وشهراً أو شهرين وكان
جامعاً للاخلاق التى تفقر اليها السلطنة من الحزم والتحفظ . والعزم والتيقظ .
الا انه كان مستتبداً بأرائه . معجباً بأهوائه . لا يستشير فى أموره . ولا
يسترشد فى تدبيره . وكان مصطنعاً لاراذل صحبوه فى أول عهده . فصاروا
مقدمي جنده . والمخصوصين برفده . فكانت دنائتهم تغض من جليل قدره
وتغمض على ذكره .



﴿ ذكر جلوس السلطان المعظم غياث الدنيا والدين أبي التفتح ﴾

﴿ مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين سنة ٥٢٨ ﴾

— — — — —

قال رحمه الله: كانت أم مسعود حظية تسمى ليست اندر جهان وزوجوها بعد وفاة السلطان محمد بالامير الاصفهسلار منكوبرس والي العراق . ونقلوا معها برسم جهازها من الخزانة السلطانية اموالا لاتنفد مع دوام الانفاق . وكان منكوبرس من أكرم أمراء الدولة وأعيانها وكان قد استبد بأقطاعات العراق بعد وفاة السلطان وتفردها مدة حياته . وارتفع بوفور ارتفاعاته . وحكي عن وزيره ولي الدين المخلص محمد الميانجي انه قال « جمعت له في العراق الف الف وثلاث مائة الف دينار نقداً مطبوعاً بالسكة الامامية سوى ما كان له من الآلات والثياب والدواب والجواهر وقد الممنا بذكر قتله في عهد السلطان محمود . ورجعنا الى حديث مسعود . وذلك انه سلمه والده في سنة ٥٠٥ الى الامير الاصفهسلار . وودود صاحب الموصل

ثم جهز مودوداً للحرب الفرنج ووصل الى الطبرية وروى صدى الاسلام من دم الكفر . وشهر على أيمان الايمان نصل النصر . وعاد الى دمشق محبوباً بالفتح . محبوراً بالشجع . وحضر في الجامع في آخر جمعة من ربيع الآخر سنة ٥٠٧ وخرج ويده في يد طغتكين صاحب البلد . وهو مخفوف من جنده بذوى العدد والعدد . فجاء اليه رجل وضر به بضربتين فنفذت احدهما الى خصرته وحمل الى دار طغتكين . وعزّ فيه عزاء المسلمين . وقيل انه خاف منه على دمشق فدسّ اليه . ولولا ذلك لكان لما اهريق منه الدم شق عليه .

ولما وصل نعي مودود الى السلطان محمد سلم ولده مسعوداً الى آف سنقر
البرسقي واقطعه الموصل والجزيرة . وأجزل له عطايا الذرية . ولما توفي
محمد تولى محمود فزوج أم مسعود بمنكوبرس استماله لقلبه . واطهاراً للتقرب
اليه ترغيباً له ورغبة في قربه . فلما ظفر به قتله . وحلى بصمغ دمه من سيفه
عطلة . وجمع جوشبك الجيوش وسار بمسعود الى حرب أخيه محمود فكان
ما كان من هزيمته وقتل أبي اسماعيل الطغراني وزيره

ثم استدعى السلطان سنجر بعد ذلك مسعوداً وأخوته . وقرّر على السلطان
محمود من مال العراق نفقتهم ونفقتهم . الى أن خرج الامراء على محمود في
آخر أيامه فاستدعوا مسعوداً من جرجان . وحملوه على مناجزة السلطان .
فما تسنى له أمر . ولا تهيأ له نصر . فاستمال السلطان محمود أخاه مسعوداً
وقربه وسيّره الى أراية . واستكانت لهيبته عيون أعيانها الرائية . ثم لما توفي
محمود جرى له ما ذكرناه مع أخيه طغرل حتى مضى لسبيله

قال : وكان مسعود قد وصل الى دار الخلافة في حياة أخيه وخطب الخليفة
المسترشد بالله له وأجله وبجله ووقعت عليه سمة السلطنة بالاسمو . وعلاصيته بلا
صوت علو . وكان الجند يجتمع عليه ويفترق . ويشتم تارة معه ويعرق . فلما نبت
غمرسه . وثبت عمرشه . وقرّر قراره . وسرأسراره . وكان وزيره شرف الدين
أنوشروان بن خالد . قال رحمه الله : وكان المسترشد بالله رضي الله عنه قد
استوزره مدة ولما وصل السلطان مسعود الى دار الخلافة وخطب له في آخر
الحرم سنة ٥٢٧ سافر أنوشروان وهو وزير الخليفة في . بهامه . فسفر بحسن سفارته
وجهه مرأه . وأحضره المسترشد وقال له شفهاها « تلق هذه النعمة بشكرك
واتق الله في شرك وجهرك » وخلع عليه وطوّقه وسوّره وجلس على

الكرسى المعدله فقبل الارض وقال له أمير المؤمنين « من لم يحسن سياسة نفسه لم يصالح لسياسة غيره قال الله تعالى ذكره فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فأعاد عليه الوزير بالنارسية فأكثر من الدعاء والضراعة . ونطق بالاذعان والطاعة . وقلده بسيفين . وعقد له بيده لوائين . وسلم اليه ابن أخيه داود وآتابكه آق سنقر وقال له « أنهض وخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » فضى مسعود وهى النوبة التى نصر فيها على طغرل قال : ثم رأى الخليفة عزل أنو شروان واستيزار شرف الدين نقيب النقباء على ابن طراد الزينبي وفيه يقول حيص بيص قصيدة أولها

شكراً لدهرى بالضمير وبالضم لما أعاض بمنعم عن منعم
 جلس في بليتة مكرماً . ولزم منزله محترماً . ثم اجتمع بالسلطان مسعود
 فاستوزره . وصدره رغبة الاطماع حين صدّره . وكان المستولى على مسعود
 آق سنقر فلما استشهد تمسكن الامير يرتقش البازدار فاستولى ولم يلتفت اليه
 ولا الي وزيره وكان آتابك قراسنقر حينئذ قد وصل الى الخدمة في حشوده
 وجنوده وحماة آذيجان . وكجاة ارّان . وعنده استشعار من زوجة السلطان
 الخاتون زبيدة بنت بركياق فانها كانت على السلطان متسلطة فرأى صلاحها
 واصلاح رأيها . وحمله دهاؤه على حمل النفائس اليها واهدائها . فلم يعجب
 الامير يرتقش ذلك فاستوحش ووافقه الامراء الاكابر وهم برسق وقزل
 أمير آخر وسنقر صاحب ذنجان وجاولى وحيدر بن شيركير فخرجوا عن
 الطاعة . وتدرجوا الى مفارقة الجماعة . ورحل يرتقش بهم الى بروجرد وبقي
 السلطان ومعه قراسنقر فى جيوشه واتصل به خوارزمشاه ووصل الامير
 السابق رشيد من خراسان فنهض السلطان بهم الى هؤلأء بهم والتقوا

فانهزم يرتقش وأسر من الامراء الطغرافية جماعة . وقمت في اطلاقهم من قرا سمقر شفاعة . ولم يزل بهم حتى اصلح حالهم . وقضى اشغالهم .

وأما يرتقش البازدار فانه رهب فهرب ودار بخلافه حتى أتى دار الخلافة . فخط بحرم الامن رحل الخافه . واستصحب معه من الاتراك جمعا كثيرا . وصار بين الخليفة والسلطان لشر مثيرا . وأشاع عن السلطان نقض الأيمان . ورفض الايمان . وزعم أنه قد عزم على صدق القصد . وانه باغ باغ زرع الدولة المسترشدية بالحصد . وكان الخليفة قد انقرض من السلطان في تغييرات غيرت فيه آراءه . وبدت من شحنة ببغداد ما أبدت شحنةاه . فلما سمع قول يرتقش صار يرى نقشه في الحجر . ونبت ما شجر من الخلاف والعناد عند الخليفة نبت الشجر . وكان السلطان قد همّ باتباع يرتقش بمسكر يكفه ويكفيه . ويقف على أثره ويقتفيه . فصدق الخليفة قصده . وتحقق حق عناده عنده . فحينئذ خطب وخاطب . وطالب وطالب . وخرج بنفسه في هيئة رائعة . وهيبة رائقة . وخرج معه من كل طائفة أعيانها . وتعاونت على التناصر انصار الدولة وأعوانها . وسار وقد صحبه حتى الشعراء والاطباء . والصوفية والفقهاء . وفي تلك السفرة يقول أبو القاسم بن الفضل الشاعر قصيدته التي اولها

في العسكر المنصور نحن عصابة مرذولة أخس بنا من مشر
خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى من خفة ورقاعة وتور
ويقول فيها

تكريت تعجزنا ونحن بمقلنا نسعى لناخذ ترمذا من سنجر
قال : لم يقدر على التخلف عن الخليفة ذو قدر . ولم يفسح لذي عذر .

وسار في حشد وحشر . وضم ونشر . ونمي الى السلطان خروج الخليفة
فشق عليه شقاقه . وأظلمت أفاقه . فخرج صوبه من همدان والتقوا بمرج
يقال له دای مرک ولما تراءى الجمعان مال الجنس الى الجنس . فمال الترك
الى الترك . وأسلموا حرمة الاسلام المصونة الى المهتك . وتفرد الخليفة مع
مفرديه . وبعد من جدى منجديه . ثم أقشع نشاصه . وانفل عنه خواصه .
ووقف ولم يول . وثبت ولم يخل . وهابت الجماعة الاقدام عليه . والتقدم
اليه . فنزل أمير العلم السلطاني وتقدم ولم يزل يقبل الارض حتى وصل اليه
فأخذ بعنانه . ثم أحدق به الامراء كما يحدق كلّ موكب بسلطانه . وأنزلوه
في خيمة ومعه وزيرد نقيب النقباء وابن طلحة صاحب المخزن وسديد الدولة
ابن الانباري كاتب الانشاء وبقي هكذا في مخيم مسمود يرحل برحيله .
ويحل بحلوله . وهو يعده باعادته الى دار الامامة حتى كان المعسكر على
المراغة فوصل الامير ير نقش قرآن خوان من خراسان برسالة سنجرية كتّم
سرّها . وأسبل سترها . وهجم على الخليفة جماعة من الباطنية فقتكوا به في
سرادقه . وجعوا الزمان بسيد خلائفه وخلائقه . وذلك في يوم الخميس
الثامن عشر من ذى القعدة سنة ٥٢٩ هـ عرف بقرائن الاحوال ان سنجر
سير الباطنية اقتله . وما اشنع وأفظع ما أقدم عليه من فعله .



﴿ ولاية أمير المؤمنين أبي جعفر منصور الراشد بالله ﴾

(ابن المسترشد بالله رضى الله عنهما)

•••••

قال : فوصل الخبر الى بغداد باستشهاد الخليفة رضوان الله عليه يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٢٩ وبويع للراشد بالخلافة وجلس فى منصبهافى ذى الحجة وبقى فى دار الامامية ببغداد قريب تسعة أشهر على ارجاف مزيج الارعاء . وخوف غاب على الرعاء . حتى تفرغ مسعود الى شغله . فشملى بيته بيت شمله . وأخرج بدره من بيت شرفه . وأتى على متلده ومطافه . وسيأتى ذكر ذاك فى موضعه

قال : فأما السلطان مسعود فانه بعد حادثة الخليفة بالمرافة قبعت سمعنه . فذكرته الاسن . ونكرته الاعين . فصار يفكر فى شئ ينقى عنه الظنة . ويستل به من القلوب السخيمة المستكنة . حتى سوات له نفسه قتل الامير ديس بن صدقة . وكان فى القرب منه بمنزلة انسان عينه الذي بوأه المدة فرأى انه اذا قتله نسب الناس اليه قتل الخليفة وان السلطان لذلك لم يبق عليه . وكان الامير ديس المزيدي حضر باركاء السلطان وهو جالس ينتظر الاذن فجاءه من ورائه وهو لا يراه بختيار الوشاق . وأبان بسيفه رأسه وأسأل على البساط دمه المهرق . وكان بين استشهاد الخليفة وقتل ديس شهر واحد . وكانت هذه النوبة أيضاً شنيعة . والفضيحة فظيعة . وشفعت الكبيرة بالكبيرة . واتبعت الجريرة بالجريرة . فتقرحت القلوب وتحرقت . وأسفت النفوس وأشفقت . فلم يكثر السلطان بما كثر . ولم يحدث غماً لما حدث

وطما عباب طماعيته . ولفح شرر شرته . وخشيه الاكابر والامثال . وغشيه
الاصاغر والاراذل . فرفع قوانين السلطنة وأبطلها . ومحاسنا محاسنها وعطاها
فأول ما بدأ به بعد حادثة الخليفة انه نهض الى بلاد سكيان فجلب على
سكانها البلاء . وأضرى بها الضراء . وخافه ابن سكيان فجفل . ثم بذل له
بالذل خدمة حتى قفل . وحينئذ توجه الى بغداد مناصبا للخليفة . ناصبا له
وجه الخيفة . فنذر وحذر . وقام وقعد . وأحس بقرب من قتل أباه فأباه
وبعد . وكان الامير زنكي بن آق سنقر صاحب الشام ببغداد . خفيه على
السير منها والاغذاذ . وكان داود بن السلطان محمود قد وصل الى بغداد
وزنكي موازره . ومظاهره وناصره . فلما حضرها مسعود وحصرها .
ونازل بمسكره عسكرها . رحل داود عائدا الى آذربيجان . وأجفل زنكي
راجعا الى الشام . وقد خاف السلطان وأشار على الخليفة باتباع أثره
فما أصغى اليه . ولا سهل خروجه من بيته عليه . ثم استوحش من مقامه
بعد ان أقام مدة على استيجاش . فرحل رحلة آيس ونفر نفرة خاش .
ومضى اقبال خادم أبيه معه . وصحبه وزيره جلال الدين أبو الرضاء بن
صدقة وخيم بظاهر الموصل متمسكا بجبل قاطعه . ومفترا بسلم منازعه .
فان زنكيا لما أصبح أمره مع مسعود سيئه وخيبه . وأخذ اقبالا خادمه
وحبسه ثم قتله . وأزعج الخليفة فانتقل انتقال المرتاب وتحول تحول المرتاع .
وبقى كذلك سنتين لا يستقر به مكان . ولا يمكن له قرار . حتى اجتمع
بالسلطان داود في آذربيجان . وجاء معه الى محاصرة أصفهان . وختم له
بالشهادة عليها سنة ٥٣٢ في ظهر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان
وكان ذلك في القيظ وقت الهاجرة المتأججة . والقائلة المتوهجة . فهجم عليه

قوم من فدائية الباطنية . فأضجوه على فراش المنية

قال : عماد الدين وانا اذكر في صغرى هذا الحادث الكبير وحديثه وتأثيره في القلوب وتأريثه . وكان ذلك بعقب سنوات اسنات . وشتوات شتات . ومجاعات للجماعات مفرقة . ونوائب نوابى للنوائب محرقة . وهلك الناس جوعا . وخرج من أهل أصفهان من لم ينو اليها رجوعا . وما كفاهم ذلك حتى نزل عليهم داود فخرت القرى وألحقت بالوهاد وأغلقت أبواب البلد . ووهت أسباب الجلد . وأعيان أهل أصفهان لما أحسوا بالحصار . رغبوا في الاصحار . وانتقلوا الى ظاهرها وسكنوا حتى في مقابرها . وهناك بقرب زندروز عند المصلى قصور عالية مبنية على قبور أكابرها . وكنا نحن من جملة المنتقلين الى بعض قصورها . وقد عينا بامورنا . فجاء العسكر المحاصر . في عدد كل عن عنده الحاصر . وكان عمي بهاء الدين مع داود في ديوان الاستيفاء واليه وزارة خوارزمشاه ولم يكن مع الراشد وزيره أبو الرضا بن صدقة فان زنكيا احتبسه عنده ثم استوزره فنقل الى والدى صفي لدين والزمه بوزارته فأبى ثم اتفقت حادثة الراشد فخدمنا الله على ترك خدمته . والمعصمة من وقعت . فان والدى رحمه الله حلف ان لا يخدم بعد العزيز سلطانا . ولا يتولى ديوانا . فوفى بيمينه مدة عمره . وعاش بعد أخيه نيفا وثلاثين سنة مقبلا على امره . ودفن الراشد في مدينة جى وأفردت له تربة في جامعها وصار الى اليوم موضع قبره من أشرف مواضعها

وحينئذ تفرق شمل تلك العساكر ورحل داود أخذاً طريق الرى وسار معه والدى واستصحبنى وأخي أبابكر وخالنا في المدرسة الحديثة

بقاشان وأقنابها سنة تتردد الى المكتب ونشتغل بالقرآن والسكتب الادبية
ثم عدنا الى اصفهان وكلانا لم يبلغ قره الى الابدار. والوالدسار في ايل الاسفار .
قال : وأما أنوشروان الوزير فانه ما لبث في الوزارة . وكان معهد الملك به
غير مستتب العماره . لا انقص فيه بل لتغير القواعد . وتكدر الموارد .
فمزل واعتزل . وما انتقل عن داره حتى تحول الى جوار ربه وانتقل . وجلس
للوزارة عماد الدين أبو البركات الدرگزني . قال عماد الدين رحمه الله : وكان
نسبياً للقوام الدرگزني من جهة اخواله . وقد حسنت في أيام دولته حوالى
احواله . ورتبه أيام الوزارة المحمودية عارضا للجيش وبقي مستمرا في منصبه .
مستقيما على مذهبه . وهو الذى يقول فيه القاضى الارژانى

دام علاء العباد فهو رجاء العباد دام لنا طالعا فهو ضياء البلاد
له يد لم تزل تصدر عنها أياذ عيون حساده مكحولة بالسهاد
كأن أجفانها أهدابها من قتاد

ولما رأى السلطان مسعود في عنفوان دولته . وريمان سلطنته . الخلل
حالا والحال مختلفة . والعلل بادية والمبادئ معتلة . استعجز أنوشروان لاین
اخلاقه . وقرب قر عمره من محاقه . فرأى صرفه باحترام . وعزله باكرام
وظن انه اذا ولى درگزنيا أحيى رسوم الاقتدار . وسطا سطوة الجبار .
فولى العباد فما رفع عمادا . ولا عرف سدادا . ولا مشى الا فى طريق
السلامة . وقنع بالدست والعلامة . وكان فى منصب الاستيناء حينئذ كمال
الدين ثابت القمى الثابت السكامل الباسل وكان فى زمان عمى من نواب
ديوانه . وصنائع احسانه . وكان شهما ناقدا . وسهما نافذا . فأفسد السلطان

بروائه . وركن الى رأيه . واستغنى به عن وزرائه . وهو الذى يقول فيه القاضى
أبو بكر الأرجاني قصيدة منها

سل النجم عنى فى رفيع سمائه أشاهد مثلى من جليس مبات
أساهره حتى تكمل لحاظه وينسل فى الصبح أنسلال المنات
سقى عهدهم غيث تقول اذا بدا تجللى وجه الارض ورق النواخت
معلمة الامطار عيني على الثرى اذا ما سما إن لم يكن كف ثابت
له قلم ان هزه فى كتابة أبر على سيف السكى المصالت

قال : وهذا ثابت كان من دهاة الرجال . وكفاة الاعمال . وبمشورته
شيدت القواعد . وشدت المعاهد . وولى المقتضى وخلع الراشد . وأما السلطان
مسمود فانه بعد خروج الراشد من مقام الخلافة استشار الوزير شرف الدين
على بن طواد الزينبي وكان قد اعتقله بعد ما جرى على المسترشد ثم أطلقه
واستصعبه وخاطبه فيمن يخطب له فاشار بخير الخلائف والخلائق أبي عبدالله
محمد ابن المستظهر فبويع له بالخلافة فى ذى القعدة سنة ٥٣٠ ونمت بالمقتضى
لامر الله ووزر له شرف الدين الزينبي واجمع الانام على بيعته . واجتمعت
الآمال الظائمة على شرعته . وكر السلطان راجعاً الى الجبل . واثقاً بحصول
الامل . وانتهى اليه ان آتابك منكوب برس للخروج عليه مستعد وانه مستعجد
مستعجد لمجاوريه مستعجد لعدة الحرب مستعجد . فانقض آتابك قراسنقر الى
أصفهان ليكون على طريق دفعه فسار ومعه يرتقش البازدار . وجاوى
الجاندار . وسنقر صاحب زنجان وهم العظماء الكبار . وهم اعضاء الدولة
وأركانها . وملاك مسكن المملكة وسكانها . ووصلوا الى أصفهان وكان
القمح فى الابتداء . فكانوا سبب الوباء والغلاء . وأكلوا ما وجدوه من

الرطب واليابس . وألحقوا الغنى بالفقر البائس .

قال : وانا اذكر وقد وصل قرا سنقر ووزيره عز الملك ابو العز البروجردى وكان من الشياطين الذين استتبعهم في عصره الدر كزنى فقبض بقايا أملاكنا التى أسارتها المصادرات . وعمد الى شمل جماعتنا ليسرع فيه الشتات . وأقاموا تلك الشتوة باصفهان ثم صح الخبر بوصول آتابك منكوبرس فعرف قرا سنقر والامراء انهم لا يطيقون مقاومة فساروا الى همذان . ولحقوا بالسلطان . وجاء منكوبرس الى اصفهان . خلفهم فى الظلم والاضلام . ورعى الغلال قبل ادراكها . وأعجل الارماق عن امتساكها . وأقام مدة . ولقى الناس منهم شدة . ورحل فى أوفر عدة وأوفى عدة . فلما قرب من السلطان مسعود . تحاجز العسكران وباتا على لقاء موعود . والتقىا بالموضع المعروف بكور شنبه . وصدقا الوثبة . وكانت الدبرة فى الاول على عسكر فارس . فاصبحت فوارسه فرائس . وأسر منكوبرس وأمر السلطان بقتله بين يديه . وكان شجاعاً كريماً فاسفت القلوب عليه . وكان الامير بوزابه من أعظم أصحابه . وأخفم اضرابه . فلما رأى العزيمة . أجلت عن الحزيمة . قال « اذا سلمنا فقد أبنا بالغنيمة » وحسب أن منكوبرس ناج . ولم يدر أن نعمه له مناج . فلما نعى اليه صاحبه . ضاقت به مذاهبه . وحلف أنه لا يبرح حتى يأخذ بثارده . ويستقبل من عشاره . فعطف على معسكر السلطان مسعود وقد آمن . ووفى له النصر بما ضمن . والمضارب قد شيمت . والمضارب قد أقيمت . والسوابق قد أريحت . والسوابغ قد أزيحت . فبيناهم فى أغفل حالة اذ هجمهم بوزابه واستخرج كل أمير من مضربه . وسد على كل كبير طريق مهربه . وركب السلطان مسعود فأبلى بلاء حسناً . ولم يترك

في الدفاع عن مہجته ممکنا . ثم ولی ومعه قرا سنقر هزیماً تشله الرماح . هشیما تذروه الرياح . وحصل فی قبضة بوزابه اثنا عشر امیراً منهم صدقة ابن دبیس بن صدفة المزیدی والامیر عنتر الجاوانی والامیر الحاجب الکبیر ارغان وآنابک سنقر صاحب زنجان ومحمد بن قرا سنقر وجماعة آخرون وما منهم الا من قد ه . وأراق دمه . وشفی وتره . ووفی نذره . وذلك فی أواخر سنة ٥٣١

ثم قفل بوزابه الی فارس واستولی علی مملکتها . واستقر فی ولايتها . وعاد السلطان الی سریره . مسلماً لقضاء الله وتقديره . وهو الغالب المغلوب . والسالب المسلوب . وقد بددت عقود سلکة . وبادت سعود ملکہ . فجلس لما تم فی المآتم . وعاد الی ما تم من عادة المآثم . واتخذ سواهم ندماء . ورفع غیرهم امراء

قال : وفی اثناء هذه الفترة کان خروج السلطان داود ومعه الراشد فجری ما جرى واستشهد الراشد . وانعکست علی داود المقاصد . وتمهدت لمسعود القواعد . واتصل بعد ذلك الملك سلجق بأخيه السلطان . مسعود فاقطعه بلاد سکمان من خلاط وأعمالها ومن أکررد وارزن واضاف الیه الامیر غزأغلی السلاحی مقطع تبریز فقصدھا واستصفھا . فاستخرج أموالھا واستوفھا . ووسعھا سبباً وتخريباً . وسام أهلها ظالماً وتعذیباً . وما زالت الدولة مضطربة والفتنة مضطربة . وأیدی الظلم عائرة . والسن لذم عابثة . حتی استجد السلطان وزیراً . استجد لمملکته تدبیراً . وحکم وأحکم . ونقض وأبرم . وهو الوزير کمال الدین محمد بن علی الخازن من اهل الری قال : وكان السلطان استعجز العماد أبا البرکات . ووجده فی تسکین الخطوب عديم المركات .

فصرفه الى بيته على اجمال وجه . ولزم موطنه على رفق ورفه . ولم يفلت
وزير كافلاته . وكانت اليا الى بالسلامة كافلاته . وشغلته العطلة بصومه وصالته
وتولى الوزارة كمال الدين وكانت وزارته فى سنة ٥٣٣ ببغداد وفى ديوان
الاستيفاء كمال الدين ثابت وفى منصب الاشراف المذهب بن ابى البدر
الاصفهانى وفى كتابة الانشاء ولى الدين المعروف بسياد كاسه وفى منصب
الطغراء مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهانى فانشرحت الصدور .
وانتظمت الامور . ورتب الوزير لخزانة السلطان اموالا تحمل اليها . وجهات
توفر عليها . وأحيى معالم للملك قد دثرت . ونظم عقودا للمصالح انتشرت .
وابتدا بكسر الجبارين وجبر المنكسرين . وقرر مع السلطان سرا . ان
ينوى اقرا سنقر سرا . وبذل اقرا سنقر فى وزيره عز الملك أبى العز
البروجردى خمسمائة الف دينار على انه يسلمه اليه . ويسلط يد الاقتدار
عليه . فاعرض عنه . وما قبل البذل منه . وبخل بصاحبه لحض الكرم .
وما اسعد من اختار الصاحب على الدينار والدرهم . فلما ايس منه اخاف
السلطان من عواقبه وقال له « لا يجمع فى غمد سيفان . ولا يظهر لك مع تسلطه
قوة السلطان » وقرر معه استدعاء بوزابه من فارس ليفرسه به . ويجر
الخلاف الى مذهبه . فاستوحش سر قرا سنقر فاضر الكيد . واعمل
الايد . فاستدعى الملك ساجق ووعد بان يمضى معه الى فارس ويستخلصها
لاجله وحمل أيضاً على النهضة معه داود بن محمود وآتابكه اياز وكان من
صنائع قرا سنقر

ورحل قرا سنقر عن آذربيجان نحو السلطان مسعود الى همدان ومعه
الملك . ومعه من المساكر عشرة آلاف فلما قرب انفسد وزيره عز الملك

البروجردى الى السلطان رسولا . وتحدث معه وقرر رسولا . وحمله منه
ومن الملكين ومن جماعة الامراء كتبوا مضمونها « انا لانأمن جانب الوزير
الكمال . وانا لانصبر على ما يبدو منه من الاعمال . فاما ان تعدمه . واما
ان تسلمه . فان دفعته الينا فنحن طائعون . وان دافعت عنه فنحن عن
انفسنا مدافعون » فلما سمع السلطان ما قالوه . استقالهم فما اقالوه . فخار في
تدييره . واضطر الى تسليم وزيره . فقبض عليه وسلمه الى الخاجب تثار
فاوقع به التبار . وضرب عنقه وذلك في شوال سنة ٥٣٣ خيئذ وصل قراسنقر
ومعه الماسكان سلجق وداود الى الخدمة السلطانية . وحمدوه على اتباع تلك
الهمة الشيطانية . ورتب قرا سنقر الوزير مجد الدين عز الملك ابا العز
البروجردى في وزارة السلطان مسعود وكان شيخا ذاهجة وبهاء . ولهجة
ورواء . ولم يزل منذ عهد السلطان محمد متصرفا مع اكابر الامراء لم يبطل
ومتحمليا بالولاية لم يعطل . وما زال متدرجا في الولايات حتى بلغ الوزارة
ووجد بعد النزارة الغزارة . فانه كان في ريعان عمره يخدم شاكر داء . ويستعذب
في كل اوان في خدمة وزير وردا . فتمول الاموال وملك الاملاك وقيل
انه كان يجرى في ملكه ايام وزارته اربعمائة قرية

قال : فنكسب الكمال ثابتا المستوفى وقبضه وأعدمه وقيل انه خنقه .
واذهب بذهابه بهجة الملك وروثقه . وتولى منصب الاستيفاء بعده المهذب
ابو طالب بن ابى البدر ولم يلبث في منصب الاستيفاء شهرا حتى اختفى بداره
في السرار . وانتقل من هذه الدار . الى تلك الدار . وتولى مكانه ديوان
الاستيفاء الكمال ابو الريان الاصفهاني قال : وهؤلاء الذين تولوا الاستيفاء
كلهم كانوا من صنائع العزيز وتلامذته وكان في ديوان الانشاء سعد الدين

الخراساني . وفي منصب الطغراء مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الافيهاني
فاما آتابك قراسنقر فانه لما قتل الوزير كمال الدين محمد الخازن وجلس وزيره
في وزارة السلطان رحل بالملكين سلجق وداود الى بلاد فارس فلما عرف
بوزابه حضورهم لجأ الى قلعة كل وكلاب وهي بين خوزستان وفارس ودخل
الملاك سلجق مدينة شيراز وجلس على سرير الملك بها مسرورا . ونظم من
المصالح ما كان منشورا . وغفل عن القدر فأئس بملكه مغرورا . واراد
قراسنقر ان يخلى عنده عسكري يحمي حماه . ويعمدى على عداه . فخلل الامير
غزاغلي السلاحي وهو مقدم عسكري سلجق حب التفرد والتوحد على اظهار
الفنى عن ينجده . وانه لا حاجة به الى من يسعده . فقال لقراسنقر « انا ما
احتاج الى احد . ولا افتقر الى مدد » فاستحسن قراسنقر منه هذا العزم
وترك الحزم . فصار غزاغلي مستقلا . وسار قراسنقر مستقلا . ومضى صوب
خوزستان . ليعبر منها الى همدان . وسرح الملك داود جماعة من العسكرية
على طريق سواها . للنية التي نواها . فلما وصل الى عسكري مكرم لم يوافقه
الهواء الخوزى فوقع فى القوم وفي دوابهم الموتان . وعجزت القدرة وتعذر
الامكان . فاقام على تلك الصورة . بحسب الضرورة

واما الملك سلجق فانه ظن انه ملك . وان خصمه هلك . وان بوزابه
على كل حال مملوك لا يقدم على المالك . وانه انما فر لانسداد المسالك .
ورجا أيضا من غزاغلي آتابكه انه لا يخل بالتيقظ . ولا يخل ما يجب عليه
من التحفظ . وكان الامر بالعكس . وسقم حاله على التمسك . فان آتابكه
اشتغل بالاكل والشرب . واللغو واللعب . فبيناه كذا اذ هجم عليه بوزابه
وعلى الملك سلجق فقتل وفتك . وأسر وأوثق . ولم ينج من العسكري الا

القليل . ولم يرج على الخليل الخليل . وقبض سلجق وحمله الى قلعة اسفيددز
وكان ذلك آخر العهد به . ولم يشك احد في عطيه . فتمكن بوزابه من ملكه
وجري على المراد مدار فلما . واستشعرت الملوك مهابته . وتجنبت الاسود
غابته . فلم يرجض الى فارس بعدها فارس . ولم ينل الفريسة بها غيره فارس . واما
قراسنقر فانه لما انتهى اليه الخبر . وعلم انه لا قدرته على دفع مانواه القدر . مضى
على وجهه . موليا . موليا ان لا يكون بعدها متوليا . فلما وصل الى بر وجر د صادفه
الخبر بان مدينة جنزة وأعمالها قد خسف بها . وان الزلزلة قد هدمتها . وانها
خربت حتى كأن الارض عدمتها . وان الكفار الانجازية والكرجعية
هجمتها . وقد باد من أهلها مقدار ثلاثمائة الف نفس فأمروا الباقيين الامن
احتمى بقلعتها . وآوى الى ثلعتها . وذلك مع تشعث سورها . وتهدم دورها .
وان الاموال نبشت . وان الحبايا فقتشت . فأغذ قراسنقر السير اليها وكان
إيوانى بن أبى الميث لعنه الله مقدم عسكر الانجاز قد قرن بالزلزلة الزلازل .
وبالنازلة النوازل . وكان قد حمل باب مدينة جنزة وبني مدينة سماها جنزة
وعلق عليها ذلك الباب . واغتم غيبة قراسنقر عن البلاد فسامها الذاب .
وذلك في سنة ٥٣٣

فلما وصل قراسنقر عادت دولة الدين . وعادة النصر والتمكين .
وظهر أهل التوحيد على أهل النشلية . ونعش الطيب بمثار الحبيث . وواقعهم
قراسنقر فهزمهم وثلثمهم . وقتل منهم مقتلة عظيمة وخرب البلدة المستحثة
وأعاد باب جنزة اليها وأعادها في العمارة الى أحسن حالاتها . وأجل هيأتها .
وكان من جملة من هلك بها زوجته بنت الامير أرغان وأولاده فاستولى عليه
الهم وعلق به السل . وبقي مدة يتداوى ولا يبل . وتوفى سنة ٥٣٥ بأردبيل

فأكثر المسلمون عليه العويل . وعدموا عنه البديل . قال : وكان لما اتصل به أجله . وانقطع عن الحياة أمله . أحضر جاولى الجندار ونصبه مكانه . وسلم إليه ابنه وجنوده وسلطانة . ووصى إليه بقطع دابر الكفار . ومواصلته برّ الأبرار . فتولى ولايته . ووصل بنهايته بدايته . وأنفذ إليه السلطان مسعود الخلعة والعهد . وأجزل له العطاء والرغد . وقرر عليه جميع أعمال قراسنقر بأرانية وآذربيجان . وولاه تلك المعامل والمدن والبلدان . ونهض الأمير جاولى في السنة الثانية الى خدمة السلطان فقبل البساط وبسط له القبول . وعرض هداياه وتحفنه وطرفه والحمول . فضاقت القضاء الواسع بمضارب جنوده . وخفقت القلوب لهيبة خوافق بنوده . واتصل بالامير عباس صاحب الري . ونشر من المودة بينهما ما كان في الطي . وتوافقا وتوثقا ونظمتهما طاعة السلطان في سلك المصافاة

وكان الأمير عباس من مماليك جوهر خادم السلطان سنجر والري في أقطاعه وقد نفذه إليها والياً . وكان أمردها عالياً . فلما قتل صاحبه بفتك الباطنية به ثار عباس للثار وجدّ في طلبه واستولى على الري وأعمالها . وتفرّد بحيازة أموالها . وقوى على السلطانين سنجر ومسمود . واستظهر بمن معه من جموع وجنود . وبمن اتصل به من مماليك الأمير الأجل صاحبه وكانوا زهاء أربعة آلاف في عدد كثير . وجمع كبير . وقصر عزمه على قصد الباطنية وكبسهم في مواطنهم . وبيتهم في أماكنهم . وقتل منهم مدة ولايته أكثر من مائة الف حتى بنى من رؤسهم بالري مناراً أذن عليه المؤذنون . وأخاف القوم فما كانوا في عصرهم يأمنون المنون . وكان ذا همة كافلة للرعية بالمعونة فرضى السلطان بآياله . وأقره على ولايته

ولما اتصل جاولى الجاندار بخدمة السلطان وجده حاضراً . والفى روض
الرضى به ناضراً . وكان الامير الحاجب الكبير نخر الدين عبد الرحمن بن
طغايرك الحاكم على الدولة . المهيب الصولة . وكان وسيما جسيما . للسلطين
قسما . لا يرى الا برايه . ولا اجابة الا لدعائه . وكان الامير بك ارسلان
خاصبك بن بلنكرى أخص الناس بالسلطان وأعلمهم بقلبه . قد اختاره منذ
شعف به على صحبه . ولما كبر كان أكبر الامراء . وأعظم الكبراء . واجتمع
هؤلاء الاكابر تلك السنة بالحضرة . والدنيا بالنعيم لهم بادية النضرة .
وحمل نخر الدين عبد الرحمن بن طغايرك الامير عباسا على مباينة عز الملك
الوزير . ومعارضته فى التدبير . وأطمعه فى تولية نائبه الجمال الجاجرمى فى
الوزارة وكان شابا مقبول الحركة . مأمول البركة . يرجع الى توسع فى
المروءة . وترفع فى الفتوة . فاستحكم طمعه فى المنصب وقوى قلبه بمساعدة
الاميرين عباس وابن طغايرك فتحمل وتجمل . وجد وجاد . واستجد
واستجاد . وقرب أن يتم مراده وكاد . فتمصب الامير جاولى للوزير عز
الملك . وأعاد نظم جاهه الى السلك . وساعده خاصبك على مساعدته
فاستقام أمر الوزير وأجمع الجميع على إبقائه . واتفقت الحكمة على انه
لا مضاهي له فى مضاءه

ورحل السلطان الى بغداد رحلة الشتاء . واستصحب جماعة الامراء . وعاد
عباس الى الرى . قال : وأنا أذكر وصولهم الى بغداد فى هيئة عظيمة وهيئة
وسيمة فى سنة ٥٣٦

قال : وخطب جاولى بنت عبد الرحمن بن طغايرك وتمت بينهما
المصاهرة . وتأكدت ما بينهما المظاهرة . وعاد جاولى الى بلاد أرانية وآزيجان

مشتد الأمر . قوى الظاهر . مستبشراً بما تأكد بينه وبين الأمير الحاحب
الكبير عبد الرحمن من عمدي الوصلة والاخوة . وأقام السلطان ببغداد ذلك
الشتوة . متوفراً على نيل الطرب وقضاء الشهوة . مستهماً بادناء الدنان .
واقتماء القيان . وتقريب المساخر . وإبعاد ذوى المفاخر . متكلاً على السعادة
في دفع الأعداء فإنه لم يزل كاسمه مسعوداً . ولم يتصد أعداؤه إلا من كفى الله
شره فأصبح عنه ممدوداً

قال : وكان الأمير سعد الدولة يرتش لركوى من أكابر الدولة وقدمائها .
وأكبرها وعظماؤها . ومتولى وزارته يمين الدين المكين أبو علي العارض .
وله الفضل المستفيض والأفضال الفائض . وكان سعد الدولة يرتش متولى
أصفهان والأمير غلبك نائبه وسعد الدولة للمعسكر غير مفارق . ولما لا يوافق
رضاء السلطان غير راض ولا موافق . فكانت أبهة الملك بمقام أهبته قائمة .
ونصرة الاقبال بدوم نظر اقباله دئمة . وكانت أخدام الجيوش لهم الجيوش .
والأسرة والعروش . منهم نجم الدين رشيد من مشايخهم وأكبرهم وجمال
الدين اقبال الجاندار وشرف الدين كردبازو ومسعود البلالى ودونهم فى الرتبة
عماد الدين صواب وشمس الدين كافور وأمين الدين فرج لدووي وأمشالهم
وهم عصابة فيهم عصبية على الشافعية . ويتقربون الى الله بما يوصلون اليهم من
الاذية . ونكبوا أصحاب الشافعى بأنواع البلاء فى جميع البلاد . وخصوصهم
بالطراد والابعاد . وحاولوا إخفاء مذهبهم فتعالى ظهوراً . وأرادوا إطفاء نوره
فما زاده الله الانوراً

قال : ونكبوا رؤساء المذهب فى كل بلد . ولم يبقوا منهم على أحد .
فمنهم أبو الفضائل بن المشاط بالرى ومنهم أبو الفتوح الاسفراينى ببغداد

ومنه بنو الحجندی باصفهان ودخل فی مذهب ابی حنیفة جماعة طلباء الاجاد .
 وخوفاً منهم لا من الله . ومن جملةهم القاضي عمدة لدين السامی . قال : وكان
 وزير الخليفة المقتدی لما تولى شرف لدين علی بن طراد الزینبی وکاتب الانشاء
 سدید الدولة بن الانباري وصاحب الخزن کمال الدين بن طلحة وتزوج الامام
 المقتدی بأخت السلطان مسعود فاطمة خاتون . وعزل شرف الدين الزینبی عن
 وزارة الخليفة فی سنة ٥٣٤ وسببه انه استشر فوضی الی دار السلطان بها ممتصاً
 ثم لزم بمد ذاك دار مختراً وتولى الوزارة نظام الدين ابو نصر بن جریر
 وكان الاستیلاء بالعراق لاصحاب السلطان . وایس لاحد بکنفهم یدان .

قال : وفي سنة ٥٣٥ خرج الکانر الخطائی واستولى علی ماوراء النهر . وکسر
 السلطان سنجر اشد الکسرة ووقع عطاء مملکته فی الاسر . وفي سنة ٥٣٨
 قتل السلطان داود بن محمود بن محمد بن مشکاد بأیدی الملاحدة بتبریز غيلة .
 وعاش أيامه من شرید الدهر شریداً ولم یسترح لילה . وكان قد زوجه
 السلطان مسعود بنته وأقمتهم بتبریز ملازماً لبيت . قاعداً فوق تحتة تحت نخته
 ولما خانت فی المبدأ السعادة . وفنت له فی العاقبة الشهادة . وقیل ان الامیر
 زنکی بن آق سنقر وضع علیه من حشيشة الشام من فنتک به . فأمن علی بلاده
 بسببه . وذلك ان السلطان مسعود کان قد عول علی ان یسیر داود الی
 الشام . ویحفظ به شعور الاسلام . ففزع زنکی وجزع . وسقط فی ید من
 حدیث الحادث الذی وقع . وغذله الاید . ولكن نصره الکید . ووصل
 خبره الی بغداد فعمد له فی دار الخلافة مجلس العزاء ثلاثة أيام بحضور أرباب
 المناصب . وعدت المصیبة بقتله من أجف المصائب

وفي سنة ٥٣٩ رحل السلطان مسعود الی أصفهان . مکانت دار الالحنة

قد تشمشت فشد منها الاركان . وتغير رأيه في الوزير عز الملك البروجردى
 فعزله . ولم يستبق العزلة واستصفى ماله . وشغل بوباله سردوباله . واستوزر
 مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهاني ونقله الى الوزارة من الخفراء
 وكانت له زوجة من جوارى مسمود تركية سليطة متسلطة . حاكمة عليه متسلطة
 فتسلم عز الملك وسلمه اليها خنقته . بعد ما عذبتة وعلقته . فقتل مثل القتلة
 التي قتل بها الكمال ثابثاً . وكل من كان حاسداً له على منصبه عاد شامثاً .
 وكان عز الملك البروجردى شيخاً بهيجاً بهياً قد جاوز الثمانين سنة ومع
 شيخوخته يقطر ماء النظارة من عياده . وكان في السعادة سعيداً في عياده
 وكان في أيام وزارته مرهوب الفرار . مشبوب النار . وكان نائبه في الوزارة
 نجيب الدين عبد الجليل السهم المصيب . والشهم المهيّب . والسيف الذي
 يفري . ويفصل ويبري . ويفصل بيت الاصول ويستأصل البيوت .
 ويستنزل من الجو العقاب ويستخرج من قعر البحر الحوت . وقد ضربوا
 على بنداد الضرائب . ومكسوا المكاسب

قال : وكان رضى الدين أبو سعد مستوفى السلطان . البعير من الشين البديع
 الشأن . ممن يغشاد والدى بسبب خدمته لاختيه العزيز في أيامه . وكان ربيب
 انعامه . وكان من أوسع صدور ذاك العصر صدراً . وأقلمهم شراً . وكان
 نائبه كمال الدين أبو الريان الاصفهاني من تلاميذ عمى العزيز وغلماؤه . ولم
 يكن أعرف منه بقانون الاستيفاء في زمانه . ولكنه كان خالياً من الادب .
 عالياً مع نقصه في أكمل الرتب . وهو صورة بلا معنى . وحسن بلا حسنى .
 وبرق بلا وابل . وطول بلا طائل . وكان عز الملك الوزير مع جهله
 وشدة بخله . ربما نسيت له ريح أريحية . وسمنت بفشه روح

تحية . ومن جملة ذلك انه كان بالمراق عميد رازي تولى سنة . واكتفى نروة .
 واستقنى واستغني . وجبا وجنى وخبي . فلما جاء السلطان قيل له « اعمل
 حسابك » فأحضر المشرف وكان يعرف بابن الحكيم من أهل بغداد وقال
 « أريد ان تدع المكر منك . وتدعو مكرمتك . وتهتم بأمرى وتستأمر
 همتك . وتحسن الحسبة . وتحسب الحسنة . وتكف بكفائتك عنى الايدى
 والالسة » فقال المشرف « انا لا اجسر ان استر . واسكل ما اذكر لا بد
 ان اذكر . وعلى ان اخفى كثيرا مما خفى من الجنائيات والجبائيات . والاجتذابات
 والجمالات . ولا بد ان اجمع ما أخذته من المرافق الوافرة . والفوائد
 الظاهرة » واتفقا على اسقاط مبالغ حتى تقرر ذكر خمسين الف دينار فبذل
 له الف دينار على انه يذكرها فى الحشو ولا يبرزها لعل الوزير يغفل عنها .
 ولا يؤاخذ بسببها . فأبى الا ايرادها . وتخصيصها بالذكر وافرادها .

قال : عماد الدين حدثنى المشرف بن حكيم قال : دخلنا بالحساب الى
 الوزير عز الملك فأول ما وقعت عينه فى المجموع . على المبلغ المرفوع . فقال
 ما هذا فقيّل الرسوم التى اخذها . والمرافق التى اجتذبتها . فضرب عليه
 بقله وقال « كيف تجيزون ان تجمعوا عليه ما ارتفق به من رسومه وخدمه .
 هذا بقى على الباب ستمين يتدين ويتمون . فلما شفى ألم أمه . ورفع علم
 عمله . صار له معلوم . وحصلت له رسوم . فليس من المروءة ان نستفيدها
 وما فوض اليه الشغل الا ليستفيدها » قال : فخرجنا نسحب اذيانا انا
 للخبيل . والعميد للجنل . وقد رُدّ الى العمل . فأخذ بيدي وناولنى صرة فيها
 ستمائة دينار وقال « هذا ما جعلته باسمك . وما ضرتنى أمانتك . فاجر فيها
 على رسمك »

قال : ولما جلس مؤيد الدين المرزبان في الوزارة بدأت الامور في الاختلال . والمعقود في الانحلال . وكان قد قنع من الوزارة باسمها . ومن المرتبة برسمها . وكان يروق الناس بشعر الحيا . ويروقه الانس بشرب الحميا لا ينافر الا الغواني ولا ينافث الا الاغاني . وكان وزراء الامراء قد غلبوا على امره . وبلغوا الى قدره . فماله قول مسوع . ولا طول متبوع . ولا هو مشكور ولا مشكور . ولا مخشي ولا مرجو . وخاصبك بن بلنكرى هو الامر الناهى . وهو داهية من الدواهي . وكان وزيره رئيس الدين ابو تغلب بن حماد السهروردي العبيق برىا لرياسة . اللبيق برأى السياسة . قد استولى على الامر واحتوى . وتمكن من ورد الملك وارثوي . وكل امر لا ينفذه لا ينفذ . وكل حق لا يؤخذ لا يؤخذ . وكان كصاحبه مسعودا مسحوبا بالسمادة . ممدودا من المال والجاه بالزيادة

قال : وكانت قد تأكدت بين الامير عباس صاحب الري وبين الامير بوزابه صاحب فارس صدقة صادقة . ومودة أحوالها الخوالى متناقة . فطمعا في المملكة وزعما ان البركة في الحركة وقال « ان البرصة خالية . والفرصة بادية . وهذا وقت الارتقاء الى العروة . والامتراء للدرة » فكتب بوزابه الى السلطان اني واصل الى خدمة السرير وخرج من شيراز بالملكين محمد وملكشاه ابني السلطان محمود بن ملكشاه وخرج عباس من الري بالملك سليمان اخي السلطان مسعود وكتب أيضا « اني واصل الى جنابك . لملازمة ركابك » فعمل السلطان قولهما على الظاهر . وخاف ما خفي في الباطن من الباطل . وعرف ان امره معها غير مستقيم . وانه ان رحلا اليه فهو مقيم . فكتب الى جاولي الجاندار يستدعيه فوجده متجنبيا متجنبيا بالقبض

على الوزير عز الملك من غير مشاورته . وقلة اكرامهم به وترك مرافقه
في مصادرته .

فلما شعر السلطان بتأخره استشعر حذره وورى عن الهزيمة برحلة الشتاء
الى بغداد . وحث السير بالاعذاذ . ومعه من الاكابر عبدالرحمن بن طغايارلش
وخاصبك بن بلنكبرى ووصل بوزابه وعباس الى همذان على ظن انهما
يجمعان بالسلطان . وهما مبديان للطاعة مخفيان للعصيان . فاقاما بها شائعين
واتصل بهما الامير ناصر الدين خطبة البازدارى وكان ايثا خادرا . وقسورا
قاسرا . وكتبوا الى الامير جاولى الجاندار بأذربيجان وقالوا له « انت الكبير .
لاك التدبير . ونحن اتباعك وأشياءك فان قدمت الينا . قدمت علينا .
وكنت صاحب جيوش من ينتصب على سرير الملك . وانخرطنا معك طائعين في
السلوك » فرد جوابهم بجميل واعاد رسولهم بتأميل . واشتغل بخشدا لاجوع
وجمع الحشود . وحشر الجنود ونشر البنود . واتصل به آتابك اياز وكان
آتابك داود في حياته وهو مشكور الغناء في مقاماته . وعضده الامير
شيرين آق سنقر فأظهر حينئذ الهدى الى همذان . والنهضة الى الناهضين
المستلطين على السلطان . فوجد الطريق مسدودة بالثلوج . فأقام بعسكره
نجما . ولانهبوس عند نخساء الثلوج مزعما . وتطارت كتبه الى بغداد
لاستدعاء السلطان اليه . واستقدمه عليه . والسلطان في بغداد ساه
بسوه . لاه بالهوه . زاه بزوهوه . فلما تلبه من وسنه . ندم على خلع رسنه .
ورجع من خزم الى سننه . ولبي نداء جاولى واجاب دعوته . وعزم على الرحيل
اليه وسار على الدربند القرايلى الى المراغة فى أوعر طريق . وأعسر مضيق .
حتى اتصل بالامير جاولى فكشف من العدد الجمع . وكثر من العدد الجمع .

واعجب السلطان الحال وحل به العجب . وانقلب الى القوة وقوى منه القلب .
 فحسدت الجماعة جاولى وغبطوه . وتحيلوا فى أن يقبضوا عليه ويربطوه . فان
 ابن طغايرك مع مصاهرتة له كان بامكانه . متبرما . وكذلك خاصبك كان
 من استيلائه متوهما . فاجع الامراء واحتالوا لاغتياله فى سرادق السلطان
 فاطلع على السر ووقع على مكر المكر . فاحترز منهم وتقبض عنهم واراد
 أن يبطش بهم كما أرادوا البطش به . ثم جرى فى الخلم والسكرم على حسب
 مذهبه وقال لاسلطان « أنا على مناصحتك . وفى منى صحتك . ولا يجمعنى وإياك
 بعد هذا ناد . ولا يسمع تليتى فيه مناد » فما اجتمع السلطان وجاولى بعد
 ذلك الا راكبين . منفردين عن العسكر متجانبين . وقال لاسلطان « ان اردت
 تدانى منى . فتباعد عنى ودعنى لنهض بعساكري الى اعدائك واذا كرم
 بحقوق نعمائك فان اتوا قبلتهم . وان أبوا قتلتهم . وان اتبعوا سررتهم . وان ساروا
 تبعهم » فاعتذر اليه السلطان واستماله . واستعناذ من ذكر ماجرى واستقاله .
 وحكمه فى الحل والعقد والاقطاع . وامر الجند والامراء بالايثار لامره
 وسر بسرور سره . وشرع جاولى فى مكتابة الملك سليمان وخدعه . وردده عن
 المقام مع القوم وردده . وتوثق له من السلطان يمين . وسير نسخة امان له
 مع أمين . فمارقهم . وانفصل وانفصم عنهم . ووصل أيضاً خوارزمشاه يوسف
 واخوه . فانبهما للتوجه الايمان والوجوه . ولما عرف بوزابه وعباس تمذر
 ما حاولاه . وتمسر مازاولاه . وتفرق الجند الذى جماعه . تفارقا على مواعدة فى
 معاودة الجمع . وودعا على مواعدة مودعة للطاعة والسمع . وعزم كلاهما على
 الرجوع الى بلده بنية الرجوع . والغروب فى أفقه على استئناف الطلوع
 وكان السلطان عند اتصال أخيه سليمان بجانبه . واستظهاره بكنائبه .

علم ان بوزابه وعباسا يفترقان . وانهما يمدان بائهما يمدان . فرحل بالمسكر الى مدينة سجاس مع جاولى على غزيرة الاسراع والاتباع . والسلطان وخواصه على حالة من الارتياب والارتياح . فقال لجاولى « انقض انت وراء بوزابه فالمسكر والشوكة معه . والرأى مسيرى الى الرى لاقى عباسا واقمه » فضى جاولى الى همدان وعمد مسمود نحو الرى . فحصل من وردعا بالرئى ونمى بالسمادة عن استعمال المشرفى والسهرى . وقبض سليمان شاد اخاه وجبسه في قلعة سرجهان . وتانى ماصعب بالاحتمال والاحتماء . فهان

ولما علم بوزابه ان جاولى جاء . ولى وخلى همدان وترك ائقاله وخزائمه بها وسار فسار جاولى وراءه جريدة . وقطع حتى وصل الى القرب من اجل بعيدة . فلما دنا منه ابدي البقية عليه . واسدى الحسنى اليه . وقال « اتخذ اليوم عنده يدا . لينجذنى عند الحاجة غدا . فهذا السلطان غير موثوق بمواثيقه ولا موثق فى تسديده وتقويقه » وذكر غدره باخيه سليمان شاد فكتب الى بوزابه وهو على حد الهزيمة كتابا . فيه « انى . صدقك . وصادقك . وموافقك لا مفارقك . وخاطب حبك . وطالب ودك . وقد صرت من حزبك . وما سرت لحربك »

وفاعلم بوزابه على قوله واعتمد بطوله . وملا ايدى الرسل بالايادى ارسالا . وقال حسنا وحسن مقالا . واعاد ما كتب بما كتب الامادى . وذكر « انى اجبت الدامى ولييت المنادى . ولم يبق الآن الا التماهد على الجدد والتساعمد على العهده . وعلامة صدقك فى صداقتك انى خلعت خزائى ثلاثين وقرا من المال الصامت بهمدان فى دار الاثير أبى عيسى فان رأيت ان تأخذها نخذها . وان سمحت بانفادها فانفذها . اتعلم انى مستوثق منك بشفيق

مستغرق لشقيق « فعاد جاولى الى همذان وتسلم من الاثير ابى عيسى المال .
وسير على جماله تلك الاحمال . وندب معها مائة فارس من عسكره الى صنهاج
وكتب الى الامير غلبك واليهان يضم حفظها الي فرسانه الفرسات . فلما
وصلت خزنة بوزبه اليه عقد على لود الخنصر . وزكى فى الوفاء والوفاء
منه الخنصر . وتعاقد على المعاهدة . وتعاقد على المعاهدة . وبن بوزبه يأتى
بالمالك محمد بن محمود . حتى راد . ون يجملاهمتهما لجمع والاحتشاد . وعاد كل
واحد منها الى مركزه . وحتمى على السلطان بتمزده . وتأكدت بين
جاولى وبين السلطان لوحشة . ودبت الى أعضاء المملكة بسبب فتور
المصادمات العشرة . وعتلت المقائد . ونحتت المعاهد . ولما تمادي الامر .
تبدى السر ووقع الشر . فانفذ جاولى الامير تمار الى بوزبه بفارس يستجزه
العد . ويستنجح منه القصد . وأقام بميانج . ومعهم جميع كبار الامراء
والرسل نترى منهم الى الامير تمار لاستحثاث بوزبه بالاستعداد .

وأقام جاولى مدة ينتظر . وفى تدبير الملك يفكر . فكان من قضاء الله
ما لم يكن فى حسابه . ودنا الاجل الذى فى كتابه . وكان نخر الدين بن
طغايك لما عرف توجه لامير تمار الى فارس لاستنباض بوزبه شخص
اليه بنفسه . من جانب السلطان ليصدد عن لورود . ويرده عن الصدود .
وتمادى على جاولى المقام له بظاهر ميانج وجمعت عليه المساكر العظام .
وازدحف اللقيف والتف الرحام . وكان فى اثني عشر ألف دارع وكانت معه
عساكر ارانية وارمنية نخم على زنجان . وحمه على عزه همذان . وكان يدايده
زمام الزمان . وهو أصم عن حديث الحدثن . وكان قد افتصد . لغير مرض
مرض . ثم تصرف على عادته بيده فبسط وقبض . ونزع فى قس فتألم عمره

فتألم عرقه وتورم . ودجا أفقه وأظلم . وكان سرّيان الورم من شريانه .
وصعد فيه الدم بعد جريانه . وتجاوز من عرقه الى حلقه وصدره .
وانتقل الى بطن الشرى من ظهده . وكانت وفاته بزنجان في جمادى
الاولى سنة ٥٤١ هـ وفي ذلك يقول زين الدين المظفر بن سيدي الزنجاني
من قصيدة

عشرون الف مهند قد أصابت فلت مضاربها نكابة مبضع
وقيل ان في الليلة التي توفي فيها جاولى جنّدار قتل زنكي بن آق سنقر
بالشام . وكان كلاهما قطباً يدور عليه فلاك الاسلام

قال : والصحيح ان زنكي بن آق سنقر قتل في شهر ربيع الآخر من
السنة على قلعة جعبر قبل موت جاولى بياض . ولكن تدانى موتهما . وتنادى
فوتهما . ومن قبلهما كانت وفاة سعد الدولة ير نقش ووفاة قزل أمير آخر
وكان قد قتل من قبل ناصر الدين قتلغ ابه البازدارى فتقاربت منايهم .
وتبدلت نقودهم بنسايهم . وصاروا أسماراً . وعادوا اخباراً . ولما اخترم جاولى
انحلت تلك المعاهد . واختلت تلك القواعد . وتفرق ذلك الجمع . وتشوش
ذلك الوضع . وعاد كل طائر الى وكرة . وكل صاح الى سكره . وآمن
السلطان من أمه . وأقبل اليه من قبله . وعاد الامير تثار الى السلطان ابوزابه
متوسطاً . ولتمكينه مشترطاً . وكان ذلك برأي الامير الحاجب الكبير نخر الدين
عبد الرحمن بن طغايرك وعملت سعادة السلطان عمله . وقدر الله له ما لم يجر
بخاطره أمه

قال : وحيث أجرينا ذكر زنكي بن آق سنقر وقتله بالشام في التاريخ

الذى توفى فيه جاولى جانداز بزنجان فانما ذكر جملة من أموره الى ان قضى
الله عليه بمقدوره

ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده

قال : كان جباراً عسوفاً . بنكباء النكبات عسوفاً . نمرى الخلق .
أسدى الخلق . لا يشكر العنْف . ولا يعرف العرف . قد استولى على الشام
من سنة ٥٢٢ الى ان قتل في سنة ٥٤١ وهو مرهوب اسطوه . مجنون لجفوه .
مادعات . حتف عداة ورعاة . اكنا ختم الله له في آخر عمره بالسعادة
وبالشهادة . ووفقه لاجهاد الذى هو افضل اركان العبادة . وهو الذى فتح الرها
عنوة . واحتل بها من السعادة ذروة . وذلك يوم السبت السادس والعشرين
من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فتسني بفتح الرها للمسلمين . جوس بلاد
جوسلين . وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زنكي نور الدين وصارت
عقود الفرنج من ذلك الحين تنفسخ . وأمورها تنفسخ . ومعاقبها تفرع .
وعقائلاها تفرع . ثم ان زنكي بعد فتح الرها نزل على حصن البيرة وهى على
القرات . وهو مشحون بالفرنج العتاة . فجاء الخبر بان نائبه بالموصل وهو نصير
الدين جفر قتل . فترك الحصار وارتحل .

﴿ ذکر مقتل جعفر نائب زنگی بالموصل ﴾

قال : كان مع زنكي ملكان . من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدهما يسمى الب أرسلان وهو في معتقل من معاقل سنجار . والآخر يسمى فرُّخشاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل . وكان هذا الملك مسلماً الى الأمير ديبس بن صدقة فانتزعه منه زنكي في حرب . وأنزل من اكرامه في منزل رحب . وكانت الخاتون السكمانية زوجة زنكي تربيته وتربيته . وتجري به في حلبة تجريبه وتجريبه . حتى بلغ وأدرك . وساكن فطنته تحرك . وفهدته المرأة غير مرة وأنهدته . وعاهدته على الوفاق وعلى الوفاء عهدته . وتأسدت الشبل وضاق به عرينه . وشمخ عرينه . وكان نصير الدين جفر نائب زنكي بالموصل للدماء سفكاكا . وبالنفوس فتاكا . يأخذ البرىء بالسقيم . ويلحق الولود بالعتيم . وقيل انه لما أحكم سور الموصل . واحترز بالحفظة منه على المخرج والمدخل . وأعجبه كمال احكامه . وملاك أحكامه . ناداه مجنون نداء عاقل وقال (هل تقدر أن تبني على الموصل سوراً يسد طريق القضاء (النازل) فدار المنجون بتصديق ما قال المجنون فانه لما أحس من الملك نحس الملك صار يقبض عنانه . ويبسط فيه لسانه . ويقول (إن عقل والا عقلته وان نقل طبعه والا نقلته) فسمع الملك ما راعه . وأسرد في نفسه وما أذاعه . فقدر ودبر . وفكر ومكر . وجمع اليه من حوله . وقال لهم فسكتوا قوله . واتفقوا على انه اذا جاء الى سلام خاتون أو سلامه . أحيط به من خلفه ومن قدماه . فاذا أصابوا منه المقتل . ملكوا الموصل .

فركب نصير الدين بكرة على عادته . وهو يزعم ان ادارة الفلك بارادته .
واخترق المدينة ووصل الى الدار التي فيها الملك للتسليم فسلكت حشاشته
حاشية الملك . وقطعت سلك حياته في طريق الدهليز المنسلك . ومنزقوه
بسيوفهم ومنزعه . وضربوه بسكاكينهم وبضعوه . ونادوا بشعار الملك
واركبوه . وذلك في أواخر سنة ٥٣٩ وتسوش البلد وخاف أهله العاقبة .
وحذروا من زنكي سطواته المعاقبة . فخرج القاضي تاج الدين يحيى بن عبد
الله الشهرزورى وجاء الى الملك وهناه . وسهل له الصعب مما جناه . وقال
له « نحن قدامك . وقد صرنا ممالكك وخدامك . فسر في المدينة واسلكها .
وادخل القلعة واملكها » فركن الى قوله . وسكن بحوله . واحدق به الجند
كلهم في خدمته . وصوبوا له سداد غزوته . حتى صعد الى القلعة فأجلسوه
في المركز . وأحاطوا به إحاطة الدائرة بالمركز . والتقطوا ممالكه من حواليه
وأفردوه واحتاطوا عليه . ولم ير له بعد ذلك أثر . ولم يسمع له خبر . ولا شك
انه بعد ما احتيل عليه اغتيل . وبعد ما استنزل أزيل

وولى زنكي الموصل بعد جفر زين الدين على بن بكتكين المعروف بعلى
كوجاك فنظم السلك ونهج المسلك . وتلافى واستدرك . ووصل زنكي بعد
ذلك الى الموصل فاستصفي أموال جفر واستخرج ذخائره . واستنظف أوله
وأخره . وصادر أهله وأقاربه . وأحل بنوابه نوابه . وسلبهم القوة والقوت .
ونوع عليهم جورهم المقوت . ثم عطف زنكي على الملك الآخر الب ارسلان
فاستخرجه من معقله . وعنى بتفاصيل امره وجماله . وضرب له نوبية ونوبا .
ورتب له في حالتي جلوسه وركوبه رتبا . واغرى بتولى اكرامه وتوخييه .
وغرضه خفاء ما جرى من هلاك اخيه . وقصد حصار قلعة جمهر وصاحبها

عن الدين على بن مالك بن سالم بن مالك ونازلها . وقابلها وقتلتها . وأحاط بسورها
 المعصوم احاطة السوار بالمعصم . وربض على ربضها في مجثم الخيم . ولج في
 الحصار وهو مستظير بالانصار . مستنصر بالاستظهار . ومتكثر بالاستعداد
 معتد بالاستكثار . مغرور بالدهر . مسرور بالقهر . يظن ان القضاء بحكمه .
 وان القدر خصم خصمه . وأهل الحصن قد اشفوا منه على الدامغ الدامر .
 وقد بلوا من وبل وباله بالهامل الهامر . فأتاهم الفرج من حيث لم يحتسبوا .
 ووافاهم الفرج من حيث لم يكتسبوا

وذلك ان زنكيا كان اذا نام ينام حول سريره عدة من خدامه .
 يشفقون عليه في حالتي يقظته ومناমে . يذودون عنه ذود الآساد في ملاحمه
 ويزورونه زور اخیال في احلامه . وهم من الصباح الروق . في حسن الصباح
 لدى الشروق . وهو يحبهم ويحبونهم . ولكنه مع الوفاء منهم يحفونهم . وهم ابنا
 النحول القروم . من الترك والارمن والروم . وكان من دأبه انه اذا نقم على
 كبير ارداد وقصاد . واستبقى ولده عنده وخصاد . واذا استحسن غلاما
 استدام مروديته بالخصى والسئل . وفاجأه ووجأه بقطع النسل . فهم على
 انهم من ذوى الاختصاص . ينتهزون فيه فرصة الاقتصاص . فنام تلك الليلة
 اليهم مستنجا . والوثوق بهم مستديما . وهو صريع الراح . نزيف الاقداح
 فغلبه نعاسه وملكه رقاده . وحوله ممالكه مرزده ومرآده . فانتبه وهم قد
 شرعوا في اللعب . وأخذوا في الشرب والطرب . فزبرهم وزجرهم . ومنعه
 السكر من الكلام حين أبصرهم . خرك رأسه يتوعدهم . وهينم بلسانه
 يهددهم . ولم يدرك تحريكه للرأس سبب قطعه . وان نزوله على القلعة بالنازلة
 خاتمة قلعه . فتولى كبيرهم الامر والباقون ساكتون . وتحرك ورفقاؤه

ساكنون . وكان اسمه يرتقش نخف اليه . وبرك عليه . وفرشه على فراشه
وغشيه في غشاشه . وذبحه في نومه . ولم يغب عنه ذب قومه . وخرج ومعه
خاتمه . وهو لا يرتاب به لانه خاص زنى وخادمه . وركب فرص النوبة
موها انه في مهم . وقد ندب لكشف . لم . وأهل القلعة في أضيق شدة
وأشد ضيق . وكلهم لباس المطيف بهم غير مطيق . حتى أنهم الخادم فتحدث
بما احدث . فأشاعوا قتل زنى من القلعة . وارتاع الناس لما هالهم من
الروعة . وركبوا ولبسوا السلاح . وركبوا تلك الليلة لامرهم الى الصباح .
وزحف بعضهم الى خيمة جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور فرمى بالنشاب
وحصل من امره في الاضطراب . فقصده من حماء من الامراء .
وشاركة في تصويب الاراء . واتفقوا على ان يبادر نور الدين محمود بن
زنى الى الشام . للحوطة على ثغور لاسلام . فسار معه أولياؤه . وكبراء
الشام وأمرائه . وكبيرهم صلاح الدين محمد الينبسانى وسار معه أسد الدين
شيركوه . وانحازت اليه الاعيان والوجوه . فملك حلب . وبلغ المراد وغلب .
وافتنض الفتوحات الابكار . واستخلص من الكفار الديار

وأما الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور فانه لما بعد عنه
من كان يحذره . وعرف الامر ممن كان ينكره . ضم العسكر واستمال
الملك اب ارسلان وأطمعه في المملكة . وحثه على الحركة . وكاتب زين الدين
على كوجك بالموصل على ان يستدعى سيف الدين غازيا اكبر أولاد زنى
وكان لا يفارق خدمة السلطان مسعود بأمر والده . امنابه من غوائل القصد
ومكايده . فكتبوا اليه بالواقعة . وأشاروا عليه بالمسارعة . فاتفق وصول
الخبر اليه بشهرزور . وقد انفصل عن السلطان بدستور . فأغذ السير

واستعجل الخبر وسبق الى الموصل قبل وصول الجماعة . ولما عرف جمال الدين بوصوله سبق أيضا الى الموصل وبقى الملك منفردا فاستوحش . وتشور في رأيه وتشوش . وركب صوب الجزيرة مفارقا . والى حلبة النجاة مسابقا فسيروا وراءه . من وثق بتوفير أمانته أمانه . وخيلوا له ان قد عاد انقوم غلمانه . وان غازيا اذا كنت معه اخذ البلاد باسمك . وجعل الممالك برسلك . وما زالوا يحدثونه بالخطر والحتل . الى قلت القتل . فانه عاد معهم ودخل الموصل في استقبال ونشار . واعظام واكبار . حتى دخل الدار . وخال الاستقرار . فما اجلسوه . حتى اختلسوه . وما رسموه . حتى رسموه . وكتبوا أمره . وختموا عمره . وجرى بين جمال الدين الوزير وبين زين الدين على كوجاك وسيف الدين غازي التماقد . على التماقد . والتماقد . على التساعد . وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولى . وكان باسترعاء ما أولاد الله من نعمه أولى . وانه عاش بندها الجود . وعشا الى ناديه الوفود . وعادت به الموصل قبلة الاقبال . وكعبة الآمال . فانارت مطالع سموده . وسارت في الآفاق صنائع جوده . وعمر الحرمين الشريفين وشمل بالبرأهالها . وجمع بالامن شملها .



- ذكر حال جمال الدين الجواد أبي جعفر محمد بن علي -

هو ابن أبي منصور

قال رحمه الله : كان والده من أصفهان الكامل على وهو حاجب الوزير
شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبو منصور فهاد في عهد السلطان
ملكشاه بن الب أرسلان وابنه الكامل نجيب . أديب اميب . وزادت أيامه
في السموة . وأيامه في النمو . حتى تنافس في استخدام الملوك والوزراء
واستضاءت برأيه في الحوادث الآراء . وكان قد زوج بنته لبعض أولاد
أخوال العم العزيز فاشتمل لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين أبي
جعفر محمد وخرجه في الأدب . ودرجه في الرتب . فأول مراتبه في ديوان
العرض السلطاني الممودي محلياً . فبرز في تلك الحلبة سابقاً ومجلياً . وغلب
في تحليته ذكر الألباج . ففجته الأتراك بالألباج . واستقام في نجابته على
المنهج . واتفق انه لما تولى زنيكي بن آق سنقر الشام تزوج بامرأة الأمير
الاسفهلار كند غدى وولدها خاصبك بن كند غدى من أمراء الدولة
وأبناء المملكة . وهو يسير معها فرتبته الوزير جمال الدين خاصبك وزيراً
فسار في الصحبة وكان مقبل الوجاهة . مقبول الفكاهة . شهي المشاشة . بهي
البشاشة . فتوفرت مني زنيكي على منادمته . وقصر صباحه ومساءه على مساهمته .
وعول عليه في آخر عمره في إشراف ديوانه . وزاد المال وزان الحال بتمكينه
ومكانه . فلم يظهر من جمال الدين في زمان زنيكي جود . ولا عرف له . ووجود

فانه كان يقتنع بأقواته . وترجية أوقاته . ويرفع جميع ما يحصل له في خزانه
 زني استبقاء جالعه . واستلاء به على اشيائه . فمكسبه زني من اصحاب
 ديوانه . ففهم من استضر باسائه ومنهم من نشفع باحسنه . ولما قتل زني
 صار للدولة الاتباكية . لاذا . وللبيت لاقتنري معاذ . واستوزره لاميير
 غازي بن زني وآزره على كوجك على وزارته . وحلف له على مظاهرته
 ومضافته . فأجرى بحر السماح . ونادى على الفلاح . فصاحت بافضاله
 الفاظ النصاح . وأتوا اليه من كل فيج عميق . وقصد من كل بلد سحيق .
 وقصده المظاء . ومدحه الشعراء . وممن وفد اليه ومدحه أبو الفوارس
 سعد بن محمد بن الصفي المعروف بخيص بيص . قال : وأنشدني نفسه من
 قصيدة أولها

يال العوارم والرياح الذئبل نصرًا ومن أنجدت ما ليخذل
 لو شئت ما ومشية بمشية جاد الزمان وبالعلي لم يخل
 أنا فارس اليومين يوم مقالة ووغى أصول بصاري وبتهوى
 ومنها يعصف بناء لسور المدينة وعمارة قبر

وتقر عين محمد محمد محي دريسني علمه والمنزل
 مرقده وحافظ دينه ومعين أمته بوجود مسبل
 خرق سباط قميصه ورداء بعباب زخار وهضبة يذبل

قال : وكنت أنا في ذلك العهد ببغداد متفقا واتفق حضوري بالموصل
 في ذي القعدة سنة ٥٤٢ هـ فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جمعتين .
 وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسئلتين . ومما مدحته به من قصيدة أولها
 وذلك من أول نظمي

أظنهم وقد عزوا ارتحالا شوأعنا أجالا لا جالا
سروا والصبح ببيض الحواشي فلما حال عهد الوصال حالا
أخلاني وهل في الناس خل به أخل من الأشجان بالا
أشرف صدري من حسودي ولم أذق العدى داء عضالا
فلا أدركت من أدبي مراما ولا صادفت من حسبي منالا
ولا وخذت إليكم بي جمال ولا واليت . ولا لانا الجمالا
وقائلة أنى الدنيا كريم سواد فقلت لا وأبى المللا

قال : ولم يقنع بما جاد به الوفود . حتى زم الى البلاد ركائب الجود .
فجعل لكل بلدة من بلاد الاسلام . ووهبه راتباً . وأصبح جوده في الآفاق
الى المقيمين سائراً . لاطالبن طالبا .

✽ ماد الحديث الى ذكر ما جرى للسلطان مسعود ✽

✽ ابن محمد بن ملكشاد بعد . وت جاولى في سنة ٥٤١ ✽

قال رحمه الله : ولما توفى جاولى جاندار طمع الامير الحاجب الكبير
نفر الدين عبد الرحمن بن طغايرك في توألى بلاد ارانية وأرمينية وعرف انه
لا يتمشى له ذلك . مع تسلط خاصبك بن بلنكرى فتوسل في استمالة الامير
بوزابه صاحب فارس الى السلطان ليتم له مراده بتوسطه وأرسل الي الامير
الحاجب تار وهو عند الامير بوزابه ان هذا أوان قدومه . وزمان هجومه .

فقدم المعسكر السلطاني في عسكر ضخم . و تقدم نخم . واتصل به الامير عباس صاحب الرى في عدة وعديد . وبأس شديد . واتفق هؤلاء الثلاثة ابن طغايرك وبوزابه وعباس على تدبير الدولة وتقرير قوانينها . وترتيب دواوينها . وكف عادية المتسلطين عنها . وتوفير حظوظهم بالاستقلال بها . فاحوجت السلطان الضرورة الى النزول على حكمهم . ورأى السلامة في ساءهم . واقسم على رضاهم ورضى بقسمهم . فاول ما فعلوا انهم عزلوا وزيره . ونقلوا الى الوزير الذى ولوه تدبيره .

— — — — —

— ذكر وزارة تاج الدين ابن دارست الناصى —

— — — — —

قال : كان ابن دارست وزير بوزابه صاحب فارس فربسه في وزارة السلطان ايصدر الامور على مراده . ويورد على وفق ايراده . وكان هذا الوزير رفيع القدر . وسيع الصدر . محبا للخير . بغضا للشر . فافعل امرا ينقم عليه . ولا احوال حال يتوجه لاجابا الالائمة عليه . ونائبه امين الدين ابو الحسن الكازروني ذو الدين المتين . والحلم الرزين . والاستهتار باعمال الشر . والاشتهار بافعال الخير . وتولى ديوان المرض والد الوزير عضد الدين وهو جميل بمحل لمذهبه . مذهب مذهب لمنصبه . واقروا ولاية آذربيجان وارانية جميعها على بن طغايرك عبد الرحمن . وقرروا ابعاد خاصبك بن بلنكرى عن السلطان . فسار في خدمة ابن طغايرك اميرا . وصحبه في ضمائر الخساء ولم يخلص في صحبته ضميرا .

وتقرر ان يكون احد الثلاثة بالنوبة ملازم الخدمة السلطان حتى يسلم لهم جانبه .
وتؤمن نوابه . وانفصل الامير بوزابه الى بلاد فارس ورحل السلطان الى
بغداد ومعه الامير عباس صاحب الري في شركة مانعة . وهيئة رائعة

قال : ولما قدموا ببغداد في خريف هذه السنة خرجت مع الفقهاء لتلقيهم
والناس مشتغلون على تخوفهم منهم وتوقيهم . فلما حلوا ببغداد نزلوا دورها
وسكنوا للتخريب معمرها . والهبوا الكروب . وأرهبوا القلوب . وكانت
هذه عادتهم اذا وصلوا . وعاديتهم اذا نزلوا . فتمكن الاتراك لا يتركون
ممكننا من الجهل . وعذرهم ان الظلم من العدل . واسكن الوزير نزل في دار
الوزارة بالاجرة . متوخيابث المسكرمة . وأمر بتجديد عمارة المدرسة التاجية
التي بناها خاله الوزير تاج الملك أبو الغنائم بن درست ببغداد وأوطنها شيخنا
شرف الدين يوسف الدمشقي فاحيي دريسها بدروسه . واشرق فقها بنجوم
العلم وشموسه . ورتب الوزير في داره مجالس للختامات . وحضور أئمة الفرق
وفقهاءها للمناظرات . ولم يعارض السلطان في شيء من أومره وأمره .
وابتسمت الدولة بأسفاره وسفوره . لكنه مع تقاصر مدته أمر ولا أحلى .
ولا شغل ولا أخلى . ولا عزل ولا ولى . كل ذلك طلباً للسلامة . واستملاء
للماء الاستقامة . وعلماً بوخم العقبة . وألم المعاقبة . فلا جرم توفرت الدواهي
على حبه . وفرت العوادي من حربه وحزبه

قال : وفي هذه السنة قدم الامير العالم قطب الدين أبو منصور المظفر
بن اردشير العبادي الواعظ فاعجز بالفصاحة وأعجب . وشرق بأنوار البلاغة
وغرب . وأنا اذكر وقد حضرت مجلسه وقد وضع له منبر على شاطئ
دجلة والسلطان مطال عليه من أعلى مكان والامير عباس صاحب الري جالس

في شفاعته بدجلة بحيث يسمعه . والعباد يفتن الناس بما يديه من سحره
ويبدعه . وحضرت مدة مقامي ببغداد جميع مجالسه أكتبها من لفظه .
وأقبل عليه الامام المقتدى وقبله . ورفعوه وبجله . وأمره بالجلوس في جامع
القصر في موضع يقرب من منظرته . ليجلس حيث لا يراه وهو بحضرته .
وانبثت بدائيه وبدائعه . واشرقت بنجح مطالبه مطالعه .

— — — — —

ذكر ما جرى من الحوادث التي انحلت بها تلك العقود

بـ واختلت تلك العقود

— — — — —

قال رحمه الله : وصل الخبر بقتل الامير عبد الرحمن بن طغيارك بأرانية
وكان من قدر الله سبحانه انه استصحب معه خاصبك بلنكرى اييمده عن
الخدمة السلطانية غير مكترث به وكان مع خاصبك امر من السلطان سراً في
الفتك به ان خلت عرصة . أو أمكنت فرصة . فركب ابن طغيارك يوماً
لتجهيز العساكر الى غزاة الكرج ووقف منفرداً في ذلك المرج . وهو
يسير أميراً أميراً . ولا يمكن من المقام كبيراً ولا صغيراً . وابن بلنكرى
واقف لا يريم . وهو ابرق ما يشبهه من عارض الغمديشيم . ومعه الامير
زنكي الجاندار فقتلهم وأقدم وضرب رأس ابن طغيارك بسوط حديد شدخه
وفشخه . واستصرخ بأعوانه فعدم مصرخه . وضرب بعد ذلك بالسيوف .
وتفرقت عنه جموع تلك الصفوف . وتغلب ابن بلنكرى على أرانية فأحسن

الى الذين ساعدوه . وعقد حيي الحب لهم حين عاقدوه . وامتد الى أردبيل
محاصرا وبها الامير آق ارسلان وأخرجه منها بالامان . ثم اشتغل بحصار مراغة
لينال . منها الماراغ . وحصرها طويلا ولم يجد فيها المساع
ولما نهي الى السلطان بهمداد خبر قتل ابن طغايرك أخضر الامير عباسا
في داره ليخاوبه ويستشيرده فلما خلا به أمر بضرب رقبتة . ورمى جثته .
وذلك بكرة خميس من ذى القعدة سنة ٥٤١ فركب عسكر عباس يقدمهم
الامير آق سنقر الفيروز كوهي وشقوا مدينة بغداد وساروا . ونهض الاوباش
لنهب دار الوزير وثاروا . فأركب السلطان جماعة منعوا من الوصول الي
داره . وبقي موقرا . ومفرا على حرمة وقراره ثم أذن له في الانصراف الى فارس
مصحوبا بالصيانة . مصونا بالصحبة . مرتب الاحوال حالي الرتبة . فجاء اليه وودع
ودما . ورعى له السلطان حق مارعي وتلا (وأن ليس الانسان الا ماسي)

... ..

مؤذر وزارة شمس الدين بن النقيب الامام الدرزي

... ..

قال : وحفظ السلطان حرمة الوزير تاج الدين فلم يتعم شمس الدين
الوزير بوزارته . حتى انصرف الوزير بجاهه وماله وحرمة . وحشمة
ونعمته . ولم ير وزير للساجقية صرف ولم ينكب في نفسه أو في ماله سواه
ولانه كان يرجو منه استمالة الامير بوزابه وتحصيل رضاه . فانه لم يشك في
حركته . والابتلاء بمركته . فضمن له تاج الدين بن دارست ان يكفيه أمره

ويكف شره . وكان هذا من دهائه لينجو من الدهية . ويستفيد الاحكام
 اقواعده الواهية . فرحل فرحاً لسلامة . ظاعناً من وطنه الى دار المقامة .
 فاستقل بالوزارة حينئذ شمس الدين أبو النجيب وكان من قبل يخدم ابن
 بلنكري فلما سار اقام يخدم الامير الحاجب تار . مستديماً لود مخدومه
 الانتظار . فرغب السلطان فيه لاجل اختصاصه بخاصبك ولم يكن فيه من
 أدوات الوزارة الا كونه للقوام الدر كزني نسيبا . خازن من منصبه نصيبا .
 وكان بزمانه شيبها . وفي مكانه نيبها . لا ثقاً بالقوم . . وافقاً للسوم . يطلب
 مرافقتهم في مرافقتهم . والتخلق بخلائقهم . والسلطان لاد بالملاهي . متناه
 في المناهي . لا يسأل عما يفعل ولا يفعل ما يسأل . ولا يقبل ما يقال
 ولا يقول ما يقبل . وعن السلطان ان يحرك ساكن الموصل ببدء
 عزمه اليها . و اظهار عوجه عليها فبادر متولوها بحول . وتحرف
 وهدايا وخيول . فقبلها منهم . ورضى عنهم . واقام ببغداد باقي تلك
 الشتوة فلما رحل ضيف الشتاء حل السلطان حبوة مقامه . وامر خبر خروج
 بوزابه صاحب فارس ما احلاده من احلامه . خفقت القلوب والبنود . وفلقت
 الجنوب والجنود . ثم اغذ السلطان مسعود الى همدان سيره ايسبقه اليها .
 قبل اطلاله عليها . فانها مقام . مسكه . ونظام سلكه . وطير الكتب الى خاصبك
 ابن بلنكري وهو على حصار مراغة اي قدم تلك العساكر . ويقدم اقدام
 اللث الحادر

وأما بوزابه فانه لما نعى اليه عباس وعبد الرحمن قامت قيامته . ونامت
 غماته . وكدر عيشه . وكثر طيشه . وجاش جاشه وجيشه . ونهد بالملكين
 محمد وملكشاه ابني محمود واقبل بها كالنيرين . من جهة هما في ملكين . فلما

قرب من اصفهان تلقاه صدر الدين ابن الخجندی وفتح له ابوابها . وحمل على الاصحاب له اُصحابها . فدخل دار مملكتها . ومقر سلطنتها . وأجلس المملکین علی السریر لآب ارسلانی . والتخت الخسروانی . ثم خرج بهما على سمت همدان وهو لا يشك انه اذ بلغ غاب . وذا بسل ساب . فوصل الى مرج قراتکین وهي من همدان على مرحلة واتصل به ابن عباس صاحب الري فلما عرف السلطان مسعود قربه . حزب حزبه . وقوى قلبه . وطير الى ابن بلنکري کتبه . وضيق في التأخير عذره ووسع عتبه . فوصل وقد حم اللقاء . وحق البلاء . فقوى السلطان وتسلطت قوته . واحتبى بالشدة واشتدت حبوته . ولما تقارب الفريقان . باتا ليلتهما يعميان . وجرهما يعب . وجرهما يشب . وريحهما تهب . فلما بدا الصباح خلف من العجاج الليل ليل . وانجر على المجرة من مجرى البحرين ذيل . وطما بما سل من الجفون سميل . وطلع في كل أفق من لمع اليماني سميل . والتقى الصفان . وتلاطم البحران . وصال العديد على العديد . وصال الحديد في الحديد . وكادت الكسرة تصح على مسعود . وبقي قلبه ثابتاً بين طارد ومطرود . وبوزابه قد تهور وتهجم وحمل على القاب ليقابه بجملته . ويميز تفصيله بجملته . فكتب به الفرس فقرس . واختلسه القدر فقدر عليه واختلس . وحمل الى السلطان أسيراً . فخاطبته وعاتبه كثيراً . فلم ينبس ببنت شفة وأراد السلطان الابقاء عليه لشهامته . فأبى ابن بلنکري الافش هامة . فأمر السلطان بالاضراب عن رقبته . وضرب رقبته . وأمر بحمل رأسه الي العراق . وأن يطاف به في جميع الآفاق . وانجلي الغبار عن ابن عباس قتيلاً . وانهزم عسكر فارس والمملكان موليان لا يوليان . وموليان لا يليات . وجلس مسعود للثناء وخص خاصبك بالامطاع .

والاصطفا . وعظمه على الامراء . وأمره على المظالم . وذلك في سنة ٥٤٢ هـ

— — — — —

ذكر ماجرى باصفهان من الفتنة بعد مصرع بوزابه

— — — — —

قال رحمه الله : كان نجم الدين رشيد الغياثي والي اصفهان من قبل السلطان وهو متعصب على الشافعية فلما تم من صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندی الى بوزابه المهمل . بادر بالارسال الى اصفهان الايقاع بمن خرج على السلطان وعلم ابن الخجندی نخرج منها وزحف العوام الى المدرسة فنهبوها وأحرقوا دار كتبها وتشتمت بنو الخجندی فقصده صدر الدين محمد وأخوه جمال الدين محمود الموصل . وأوردهما جمال الدين الوزير من انعامه واكرامه المهمل المنهمل . ومضى جمال الدين الى الحج . وأقام صدر الدين وبخرا جود الوزير له متلاطم الحج . ثم انصرف عنه مملوء الخقائب . محبوبا بالمواعب . وعمل في جمال الدين ابياتا من جملتها

جئت الى بابك فردا وقد خرجت من أمالك في قافلة

ووصل الى اصفهان فتوفراهاها على خدمته . واقترضوا إقامة حرمة . وأما جمال الدين اخوه فاني لما عدت الى بغداد لقيته وقد عاد من الحج في صدر سنة ٥٤٣ هـ . وكان قد عزم ولدى على العودة الى اصفهان فصحبنا دوجمتنا الطريق ووجدناه نعم الرفيق . ثم تفارقنا وسار هو مع قافلة همدان . وسرنا مع قافلة اصفهان . ثم وصل الخبر بان السلطان رضى عنه وعن أخيه وخلع عليهما . وأما الرئاسة اليها . ثم وصلا . وعلى اضعاف ما كان له من المشمة حصلا .

(٢٦٠ - آل ابيوت)

ذكر بعض الحوادث

قال : في سنة ٥٤١ هـ حج ابن جبير وزير الخليفة المقتنى فرتب صاحب المخزن قوام الدين بن صدقة وزيراً . وكان بيته اثيلاً أثيراً . ورتب في المخزن عوضه زعيم الدين يحيى بن جعفر ورتب بعد ذلك يحيى بن محمد بن هبيرة صاحب الديوان . وفي سنة ٥٤٣ هـ مات قاضي القضاة ببغداد يوم النحر وهو نحر الدين على بن الحسين الزينبي . ورتب بعد ذلك عوضه عماد الدين بن الدامغانى قال : وأما السلطان مسعود فانه ارسل الى ابن أخيه الملك محمد بن محمود بعد قتل بوزابه فاستدعاه . ومنَّ عليه وولَّاه . وزوجه بنته . وعهد اليه في الولاية وولاه عهد . ثم ملَّكه خوزستان ولما امن ابن بلنكري من الجواب عمد الى الامير الحاجب تار وقبضه وأوثقه . وأنفذ الى قلعة سرجهان واعتقله بها ثم خنقه . وصفاله الجوُّ فباض وصفر . وضفا عليه الضوء فاجتلى الظفر قال : وفي شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ وصلت شعبة من أكابر الامراء ومعه الملك محمد الى بغداد محاصرين . وعلى خذلان السلطان مسعود لشقوتهم متناصرين . منهم شمس الدين ايلدكز والامير قيصر وملك العرب على بن دبيس وغيرهم . فحضروها وحصروها . فخرج اهل بغداد لردهم فافرجوا عنهم . حتى اصحروا ففكروا عليهم كربة اردتهم . وما ابقت عليهم بل افنتهم . وكانت بالقرب منهم حفرة الغسالين . وتناير الآجريين . وأتاتين الجصاصين . فأنجا الامن آوى اليها . وقتلوا زهاء خمسمائة نفس وجلَّ رزؤه ببغداد بأعقابها . وأمضاها مادهاها من شغلها . ثم طلبوا من الديوان الميزر

ثلاثين ألف دينار اير حلوا . وفصلوا الامر على المبلغ لينفصاوا . فاستشار الخليفة الوزير وأرباب المناصب في انه هل يبذل لهم الذهب . وهل يحتمل الراحة منهم التعب . فما فيهم الا من عجل بالمذل . للتأني في البذل . فاخرجت العيين . فأشار ابن هبيرة وهو يومئذ صاحب الديوان بضد ما أشاروا . وصار من الراى الى غير ما صاروا . وقال الامام « هؤلاء خرجوا عليك وعلى السلطان . وجاهر وكما بالعصيان . فاجعل بالله الاستجارة . وقدم منه الاستخارة . وأنفق ما عزمتم على بذله لهم . في عسكر يقاومهم ويدفع شرهم . فأنك إن دفعتمهم بالمطاء لم تسلم من عتب السلطان مسعود . وان هزمتمهم باللقاء قلت له انى قلت جنود عصيانك من اهل طاعتك بجنود . وانت لا تحمد على ما تحمل . ولا تشكر على ما تعمل »

فقبل الخليفة رأيه ولم ير خلافة . وجمع حينئذ وجند . وحشروا حشده واستخدم من البطالين ابطالا من المقاتلة المقابلة المبطلين . وفرق المال ومال اليه الفريق . وأنفق فنفق في سوق تفويقه التوفيق . وصار من ذلك اليوم للخليفة جند مهيب . ونار لحسا في أفئدة العدى لهيب . فرد هؤلاء الاردياء بالحد الجديد . والجد الجديد . وقال « انى أرى المشورة الهبيرة أرياً مشورا . وصوب صوابه لري الراى مشكورا » . فجاء به وزر عليه جيب الوزارة . ولم يزل عنده مودود الشارة . مقبول الاشارة . وذلك يوم الاربعاء الرابع أو رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٤٤٥ . فشرع في نصر أمر الشرع . رحيب الصدر والباع والذرع . وأكرم التفضلا . وفضل الكرماء . وعاش في وزارتي المقتنى والمستنجد ست عشرة سنة وشهرين . قرير العيين . أيد اليدين

وكان به عمش . وبوزير السلطان طرش . وأمر الدين والدولة بهما مننظام .
وشبب الخلافة والسلطنة بكفائتهما ملتئم .

ذكر وصول السلطان سنجر بن ملكشاه الى الري

في أواخر شعبان سنة ٥٤٤ هـ

.....

قال رحمه الله : لما عرف سنجر ما تم بالعراق من اغتيال النفوس .
وافتنطاف الرؤس . واستيلاء خاصبك على خواص الاولياء . وانقضاء السلطان
في ممد الاغتيال . وخسده بالاطاف خدع الاطفال . قال « لابد من
الادراك والاستدراك . والامساك والاستمسك . وتهذيب المستعلى .
وتعذيب المستولى . واخفاء الشر الالبح . واطفاء الشرر الالبح » فنهض على
كبر سنه ووصل الى الري في صميم الشتاء وقرها في قره فأجفل مسعود من
همذان راحلا على سمت بغداد فثنى عنانه شرف الدين الموفق كردبازو وقال
له « أنت اسنجر مقام الولد . والاولاد يبر الآباء فازوا . وما أسعدهم اذا
حصلوا رضاهم وحازوا » فسار الى الري معه . وأبى ابن بلنكري أن يتبعه .
واقام هو والوزير الاصم بهمدان فلما بصر سنجر بمسعود قدومه وأكرمه .
وقر عينا به وقر به . وتحدث معه بما تحببه . ورضى عنه وماعقبه . ونسى كل
ما ذكره . وادبر عن كل ما دفعه . وشفع السلطان في خاصبك فأجابه . وذاكر
له فعله فاستصابه . فما أمر بمعروف ولا نهى عن نكر . ولا أبدل شكوى
بشكر . ولا كشف ظلامة . ولا كف قلامة . لكنه ودع ابن أخيه وعاد .

واغذ الى خراسان التأويب والاساد . ورجع السلطان واستصحب خاصه .
والوزير الاصم . معه الى بغداد . واقام تلك الشتوة بها في رفاة وفراغ . وصباح
صباح ومساء . مساع . وكان مع سنجر كبراء امرائه مثل المؤيد يرتش
هريوه والملك على البحتري وسنقر العزيزي وغيرهم من عظماء عسكره
وخواص مشر

ذكر حوادث في تلك السنين

قال رحمه الله : توفي السادس من شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ نزل ملك
الامان بجمع عظيم من الفرنج على دمشق وحاصرها واشرف المسلمون فيها
على اليأس ثم منعها الله تعالى ورحلوا عنها بعد اربعة ايام خائبين هائبين .
خاسئين خاسرين . وفي اوائل جمادي الاولى من سنة ٥٤٤ هـ توفي الامير
غازي بن زنكي صاحب الموصل وتولى اخوه قطب الدين . وودود . وجمال
الدين الجواد وزير على حاله وزين الدين على كوجك متولى العسكر
ورجاله . وتوفي الحافظ متولى مصر في خامس جمادي الاولى من هذه
السنة . وتولى بعده ولده الظافر . وفي موسم سنة ٥٤٥ هـ وقعت زعب ومن
تابعها من العرب على قافلة الحج عند قفولها من مكة الى المدينة فاهلكت
الناس . واحلت بهم البؤس والبأس . وعظم مصاب المسلمين في الآفاق .
ونجا من الآلاف آحاد باخر الارماق . وفي الحادي والعشرين من صفر
سنة ٥٤٤ هـ كسر نور الدين محمود بن زنكي على تب من الشام ابرنس نظامية

وقتلوه وحز رأسه . وشذب تلك النصره الاسلام قواعده وآساسه . وفي سنة ٥٤٥ هـ أسر التركمان جوسلين وسلموه الى نور الدين ونزل الملك . . . محمود ابن قلاج ارسلان على تل باشر وهي مع جوسلين ونزل نور الدين بعد أسر جوسلين على قلعة عزاز وفتحها بالامان . وفي يوم الخميس الخامس والمشرين . من شهر ربيع الاول سنة ٥٤٦ هـ تسلم الامير حسان المنبجي تل باسر بالامان . وفي سنة ٥٤٦ هـ اغار عز الدين على بن مالك صاحب قلعة جعفر على اطراف الرقة فتنزعو اليه وأدركوه وقتلوه . وجلس مكانه في القلعة شهاب الدين مالك ولد عز الدين .



ذكر ما تقدم من الملك ملكشاه بن محمود

وفاته السلطان مسعود

.....

قال : اغار في ربيع الاول سنة ٥٤٥ هـ ملكشاه بن محمود على اصفهان وساق بعض مواشيها . وصار يغادياها بالاخافة ويماشيها . وكان فيها نجم الدين رشيد واليها . فانهض السلطان اليها شرف الدين كردبازو وضم اليه جماعة من الامراء . فلما وصلوا الى اصفهان راسلوا الملك ملكشاد وقبضوا له ما استحسنه . وتحركوا اليه بما سكنه . وتحمل له رشيد بمال حمله وسيره اليه ورحله . ونزلت السكينة وسكنت النازلة . وأسبل الامن وأمنت السابلة . وشتى السلطان مسعود سنة ٥٤٥ هـ ببغداد غائضا مع ادياته في لذاته قانصاً من العيش فرصاته . ثم رحل عنها رحييل مودع فلم يعد بعدها الى

المراق وترافق السلطان وخائبك ولم يتفارقا . وتوافدا على الترافد وتوافدا
وكان خائبك فرحا باختصاصه . ومنذ كان ماخلى صاحبه من حبه
واخلاصه . فوصلا الى همدان وانقضت سنة ٥٤٦ هـ صافية عن القذى . كافية
للأذى . ماضية مع الغنى . مضية السناء . ولم يلما ان سنة سبع بسنها كالسبع
عضوض . وان كل مأبرمه اليوم الزمان غداً منقوض . وان الحياة محتومة
وان الوفاة محتومة . وان عمران العمر مهدوم . وان سر القضاء مكتوم .
فلم يزل مسمود مسموداً حتى عاجله القدر . وما أجله الاجل . وأصابته علة
الغثيان والقيء فما سلمت حتى أسلمت نشرد الى الطي . وشمس به الى النى .
وجهد في آخر جمادى الآخرة ذوبه . ونجد ضرامه وأقلع صوبه . وكان
مسمود ضخم لدسية . جم العزيمة . لكنه يصطنع الاراذل . ويرفع
الاسافل . وكان كثير الاتكال . على استمرار الاقبال . قليل الاحتفال .
بتكايد الرجال . دائم الاغضاء عن ذميم النعمال . لا يفسر لمدو سخية . ولا
يقبل في ولي نية . واتفق قبل وفاته ان اخاه سليمان شاد كان بقلمه قزوين
معتقلا . وكان عليه بالحوط . مثلاً . فواطأ . مستحفظاً . وفق الخادم على
الخروج بعد موت أخيه لطالب السلطنة . واتصاله بذوى الأيدي المتكئة .
وكان الملك المكشاه بن محمود . قد اتصل بعمه مسمود اليه لاجيا . ولآلائه
راجيا . وقد أجمل اليه . واشتمل عليه . وهو حاضر حين حضره الحسين .
ونارت وغاصت المين والمين . ولا بد ان يقطع بين المتواصلين البين .
ودفن بهمدان في مدرسة بناها جمال الدين اقبال الخادم الجاندار

ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود .

...

قال : لما توفي عمه اجتمع المسكر على نصبه . وعقد حبي الاعتقاد
 حبه . واجلسوا على السير واطاعه الامراء واثمروا بطاعته . وتمنوا بيومه
 وسعدوا بطاعته . وتفرد ابن بلنكرى على عادته ومساعدة سمادته . بالامر
 والنهي والحل والمقد . والقصر والمد . والقبول والرد . والميل الى جمع المال .
 وجباية الاعمال . والحاق ذوي الاثراء بذوي الاقلال . واشتغل ملكشاه
 بالانهماك في القصف . والانهتك بالمزف . وفوض الامور كلها الى ابن
 بلنكرى . وكان من فلك ملكها في اوج المشتري . واعتاق بنججه . ووثق
 بنصحه . وما درى انه يخسر من ربحه . ويظلم بيومه بطلوع صبحه . فان
 ابن بلنكرى طرب فبضر . وخطر بضيره ان يضر الخضر . وجمع الامراء
 وكبيرهم احسن الجاندار وقال لهم « هذا سلطان لا يفلح . والملك لا يصلح .
 فانه غر ذو غرور . وغمر جاهل بالامور . قد شغلته الخمر عن الامر .
 واغناه الحشف عن التمر . وانا ارى من الصواب ان نخليه . ونستدعي اخاه
 محمداً ونوايه » فلم الامراء ان خاصبك كالباحث عن حقه بظلفه . والجالب
 النكر الى عرفه . وكانوا قد كرهوا استيلاءه . وسئوا استعلاءه . فوافقوه
 على الرأي الرائب . وعدوه من المواهب . وقالوا لعل الملك اذا تولد حازم
 جازم . وعاقل بمصالحه عالم . انتهى له من هذا العادي . وشفي بسداد غليل
 الملك الصادي . فتالوا الخاصبك « عجل هذا الامر قبل ان يظلم به فئاس

من نجيح . طلبه . « فقبض ابن بلنكري . ملكشاد في دار الحسن الجاندار وهو في ضيافته . فقرراد بآفته . واعتقله بمرج همدان وكان قد أنفذ الى الملك . محمد بن محمود جمال الدين ايلقشت بن قايمار الحراني . ونفذ ابن بلنكري لاستجلافه الامير . مشيد الدين بن شاهملك ومعه . وزيره السكاهل ابو شجاع الزنجاني المعروف بالتمجيلي خنود في الرسالة . وحسنوا لاسلطان محمد ضد ما أراد ابن بلنكري من الحالة . وقرروا معه قتله يوم الوصول . وقالوا له لا تقبل غير هذا الرأي اتحظى بالقبول . وعادوا وقالوا لابن بلنكري « انا قد حلفناه واستوثقنا منه بالايمان . وأكدنا اقسام القسم بحيث يكون حنثه ارتداداً عن الايمان » فوثق بامانتهم وأمن للوثوق بهم وأرسل واسترسل . وعجل واستعجل . وأمام ملكشاد فانه تخلص من اعتقاله . وخرج نجمة من بيت وباله . وكانهم توانوا في حفظه . ووكالود الى حفظه . وكما أغفلوا الاحسان اليه . أحسنوا بالغفلة عنه . ولم يكن لهم عندئذ في حماهم على الانتقام منه . وصرخوا بهربه . ولم يعرضوا بطلبه . ولم يلبث في سلطنته الا شهرين أو ثلاثة ثم تقلبت به الاحوال الى ان استقر بخوزستان ملكا . وفي سلك ساولك نهج السلامة . متسلكا



✽ ذكر جلموس السلطان غياث الدنيا والدين ✽

بنو أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن الملك شاه

(في أواخر سنة ٥٤٧)

.....

قال : وقدم السلطان محمد عمندان في عدة يسيرة . وعمدة غير
كثيرة . فتلقاه خاصبك بقلائه مستبشراً . وبوفائه مستظهِراً . وبصفاء
ودده . موثقاً . وبصفاته مجده . مؤمناً . وإلى دينه راكناً . وإلى يمينه
سائداً . وحمل إليه ما تجمل به من آلات الملك وأدواته . وخييات المال
ومدخراته . وخيمه وسرادقائه . وحليل المزاب . والعروض والسياب . فملقت
بالنموس نفائس أعلاجه . وسكن المسكين إلى وفاء السلطان ووفائه . وخرج
له من قشره . وأرج منه بشره . واتي به السلطان بوجه له باشر . ولسان
لحمه ناشر . اسكن ضميره للشر مضمّر . وفكره للفتك به مفكر . ثم انه في
اليوم الثالث من قدومه جلس في أعلى القصر واستدعى ابن بلنكري لمسارته
في التفاوض ومفاوضته في السر . فجاء ومعه الامير زنكي الجاندار والامير
كشطان المعروف بشملة . فلما حصلوا على سلم القصر عرف شملة العمالة .
ورأى أمارات لا توافق المراد . فعاد وجذب ذيل ابن بلنكري ليعود فساعد .
ونزل وقد رهب . فركب وهرب . وأما ابن بلنكري وزنكي فلهما صمدا
فأمر فخر رأس ابن بلنكري ورمى بجثته إلى الميدان . وضربت أيضاً رقبة زنكي
الجاندار وكان كبير الشأن . وارتاعت القلوب وارتابت النفوس . وذرفت
العيون وأطرقت الرؤوس

ومما يعتبر به المستبصر ويستبصر به المعتبر ان خاصبك خلف أموالا
لا تأكلها النيران . ولا تحويها الحسبان . ومن جملة ما وجد له الف ثوب وسبع
مائة ثوب أطلس عتاني فكيف غيره . من الألوان . وطالب له كفن في ذلك
اليوم فلم يوجد . وبقي على حاله ولم يحدد . وما ألقى عليه رداء . ولم يبدل له
فداء . حتى جبي له من سوق العسكر الكفن والقطن . وتهايا من تولى أمره
حسبة لله الغسل والدفن . فيا بعدا للدنيا ما كدر صفاءها . وأغدر وفاءها .
تخيف من آمنها . وتزعج من سكنها . وتقتل من أحيائها . ولا ترعى من رعاها .
وأما السلطان محمد فانه ظن بعد قتله أن الموانع قد ارتفعت . والمنافع
قد اتسعت . وأن الأمراء النافرين منه بسببه يجتمعون . وعلى نصرة يجمعون
والى جنبه يفرعون . وكان وزيره في خوزستان الوزير جلال الدين بن
القوام أبى القسم الدركزنى وقد أبقاه على وزارته . وجرى ما جرى بمشورته
وأشارته . فأشار عليه بأن يسير رأس خاصبك الى الاميرين الكبيرين شمس
الدين اتابك ايلدكز ونصرة الدين خاصبك بن أقى سنقر صاحب مراغة .
وظن انه يعجبهما اتلافه . ولا يسهما عصيان السلطان وخلانه . فلما وصل
اليهما الرأس هاتهما حالته . وأعيتهما فى هذه العشرة قائمه . وقالوا « لقد أقدم
على فتاك عظيم بعظيم . ولقد ألام الكريم بظفر ائيم . أما كان استوثق .
بالمين . أما استمسك من وعده بالحبل المتين . وذا كان هذا الملك الاكرم
ابن الملوك الاكرمين مجترأ على مثل هذه الجرائم . ومستصغرا لأمثال هذه
العظام . فقد غر العزاء . وخاب الرجاء . وجل المصاب وعظم البلاء » فقالا
عنه . ونالا بالاولم منه . وأرسلا اليه « انك أخطأت . وزعمت انك أصبت .
وما شق قلب اليك . وان وثقتنا فانك بالمين التى حلفت بها له تخلف . ولمش

الوعد الذي أخلفته معه تخلف « فليس لنا بك المم . ولا لك معنا كلام

— — — — —

ذكر ما جرى للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وبعثه

على سيرير السلطنة

.. ..

قال رحمه الله : كان لما خرج من مجلسه بقزوين . ووجد التمسكين
والتمسكين . خرج به مظفر الدين الب ارغون بن يرتقش البازدر الى زنجان .
وكتب فيه الاميرين شمس الدين يلدكز ونصرة لدين صاحب مراغة وهما
في امره . مترويان فلما نفرا من محمد وتذما وتذمر سارا بمساكرهما الى
زنجان طالبين خدمة السلطان سليمان وحملاه الى همدان . وجعل السلطان
محمد في شردمة يسيرة الى نصفها . فاستقر سليمان على سيرير الملك وكان
معه ياتسكين خوارزمشاه وأخوه يوسف وأختها زوجة السلطان سليمان وهي
لامره . متولية . وعليه مستولية . وكان سليمان وزيرا شريفا خيرا . ذ سكر
وقع صريعا . ونام سبوعا . كلما رفع رأسه لاذ بالمقار . ثم لاث خمارا خمار .
وكان يقلى لانه لا ياتي . ويشق عليهم انهم لا يسعدون به وهو يشقي .
وكذلك وزيره نخر الدين أبو طاهر بن الوزير المعين أبي نصر أحمد بن
الفضل بن محمود القاشاني لا يصحو ساعة . ولا يتحو عنه شناعة . وهو أشبه
بسلطانه . وكلاهما اليق بزمانه . فضجر الامراء الاكابر من المقام . وشرعوا في
الانفصال والانفصام . وعاد شمس الدين يلدكز الى آذربيجان لقصد ارانية
واتزاعها من يد روادى ابن عم ابن المنكرى . وعزم نصرة الدين

آق سنقر على العود الى ولايته ثم ان الامراء الباقين بعد رواج
شمس الدين ايلدكز قرروا مع نصرة الدين . وانتقلوا الى مرج قراتكين
وخلوا السلطان مع خواصه بقصر همذان واجتمعت اراؤهم على قبض الوزير
وأرادوا اتباع ذلك بقبض خوارزمشاهيالتكين . والسلطان سليمان كان
حينئذ قد نكح زوجة أخيه بنت ملك السكرج ودخل بها وهو في عرس
وانس فجاءت اليه أخت خوارزمشاه زوجته وقالت له « ان لا تأخذ لنفسك
أخذت نفسك . وطال حبسك . ومضى غداً يومك . ورجع في التطبيق
عليك أمساك » فهرب ليلاً معها ومع أخويها وترك خاتون الأبخازية وقد بنى
عليها وأصبح لامراء وقد فقدوه . ونشده و ما وجدوه . فتوات المسافر
الى ولاياتها . وغابت تلك الاسود الى غاباتها

مذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن مكشاه

مغالى مقر ملكه بهمدان بعد غيبة سليمان

قال : لما وصل السلطان محمد الى أصفهان . منجازاً عن عمه سليمان .
كاتب الجواب . وراقب الاجانب . واتصل به الامير ايناج صاحب الرى
فقويت يده وعرف ان المسافر الغريبة لا تقيم مع عمه . وانهم اذا انفصلوا
عنه كان عزمه ملياً بهزمه . فوصلته البشرى بان عمه عام فى بحر الابل ساجاً
وساح امراض القلابة بالافلات ماسجاً . فسر بما وعى . وسار وسمى .

وتلقاه أمراء الدولة مهينين . ونجدة جده . تهينين . وماد الى قصره . ومادة
نصره . وذلك في سنة ٥٤٨ هـ

في ذكر الامم الممثلة لامر الله بعد موت السلطان

في مسمود محمد بن المكشاه

— ❦ —

قال رحمه الله كانت السدة الشريفة الاممية قد منيت بجور الامام .
ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن العاجم . وكان أهون ما عندهم خلاف
الخليفة وعناده . وتمرد عليه بأن يحصل مرادهم لامراده ولم يزل بغداد
مظلمة . مشحونة منهم بالشحن الظلمة . ولهم من الديوان العزيز مطالب
لا يفي بها خواصه . ومغارم تلحقه منهم يتسمر منها خلاصه . والحرم من
جناياتهم خائف . والشرف لمهالهم عائف . وشريعة الشريعة مكدره . والدماء
والفروج مستباحة مهدره . والخليفة يغضى ويعضب . ويعتب ولا يعتب
ويقدر عليه ولا يقدر . ويُعذر به وهو على العهد لا يفدر . فلما توفي السلطان
مسمود قال « لاصبر على الضيم . بعد اليوم . ولا قول مع هول هؤلاء
الفوم » وأزرد وزيره عون الدين بن هبيرة وأمانه . وثبت جنانه . وكان
مسمود البلالى الخادم والى بغداد فقامت عليه قيامة . وتعذرت عليه الإقامة .
فرحل الى الحلة . ومضى متحذلا في تدبير الامور المضطحة . وأقام يحشد
ويحشر . ويطوي وينشر . وكان بالحلة السار الكردى من
اكابر امراء السلطان فلم يكثر بالخادم واسترسل اليه . وقصده

إسليم عليه . فاخذته الحادى وقتله وغرقه فى الفرات . وجمع المساكر وأقطع تلك الولايات . وفرق على فريقه الأقطاعات . فسار إليه ابن هبيرة وهزمه . وكسره وحلق البلالى بهمدان . مستصرخا . ونداءا قد جمعه . منفسخا . وملك الخليفة المراق من أقصى الكوفة الى حلوان . ومن حد تكريت الى عبادان . واقطع واسط واعمالها . والبصرة وانهارها . وماعانها . وولاياتها . والحلة والكوفة ونهر الملك ونهر عيسى ودجيل والرافد . وطريق خراسان الى نواحى حلوان . واقطع الوزير عون الدين ابن هبيرة جميع ما كان لوزير السطان وأرباب مناصبه فى جميع هذه البلاد . وأمانته على الاستعداد واضاف الاعداء بتضميف الاء مداد . ونامته بتاج الملك فلما الجيوش

وكان الامام لما استخاف استخاف على انه لا يشتري مملوكا تركبا . وكان يقتنى مدة خلافته إما ارمينيا أو روميا . ولم يكن له من الاتراك الا ترشك . ملكه قبل الامة فولاه الامارة على الامراء . واختص من مماليكه الروم والارمن عدة من النجباء . سماهم الخيامية . وولاهم الرتب العالية . وأحكم اسوار بغداد وحفر خندقها ورتب الولاة فى الولايات وبث العميون وأصحاب الأخبار . وبعث الجواسيس الى جميع الامصار . واشتغل السلاطين بعضهم ببعض فى تلك السنين . وأعطى الله الخليفة التأييد والتسكين . وكان الخليفة قد سير قطب الدين المبادى فى سنة ٥٤٦ أو ٥٤٧ رسولا الى محمد بن محمود بنخوزستان فتوفى هناك . وختمت به النصاحة الوعظية واطلمت مطالع العلم المضئية

ولما عاد السطان بعد هرب عمه سليمان الى همدان راسل الخليفة وخاطبه فى الخطبة له فما اجابه . وتجنى عليه بقتل ابن بانكرى وعابه . وآسره

من ملك بغداد وخيب رجاءه . فحينئذ اجتمع عند السلطان الامراء الذين
حات اقطاعهم ببغداد وقلوا « ارزاقنا قد اُفطمت . واعراقنا قد قُلعت .
ودورنا قد انزات وولاتنا عزات . ولا بد من مداواة هذا الداء قبل اعضاله .
وتداركه قبل استفحاله » وكان السلطان محمد يرجع الى عقل ودين . وحلم
ركين . ورأى رزين . فقال « لاتعجلوا فان مخالفة الخليفة شؤماً . وموالية
محمود ومماديه مذموم . وأنا استفتيح ان استفتح ساطني بماداته . ونية
مناواته » فقالوا له « نحن نتمضى ونقضى هذا الشغل . ونخفف عنك هذا
الثقل . ونلقى بجمعنا الجوع . ونخصد بسيوفنا الزرع » فقال لهم « كان رأيي
ما ذكرته . وعرفتكم ما أنكرته . والآن فافعلوا ما رأيتموه . واعملوا ما نويتوه »
فودعوه وركبوا . وجاء اليهم من وافقهم وذهبوا . وتجمعوا في جحافل حافلة .
وعساكر في ذلال السوابغ رافلة . وساقوا بين ايديهم التركان بيوتهم
ومواشيهم . واهاليهم وحواشيهم . وكان حصن تكريت قد بقي في يده مسعود
البلالى وبه نائبه سبه وحصره الخليفة مراراً فتمنع ولم يفتح مقاتله المتصعبة .
وفي هذه القلعة مكان من السلجقية معتقلان وهما ملكشاد بن سلجق بن
محمد بن ملكشاد وارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاد فقالوا لمسعود
البلالى « احضر لنا الملك ارسلان بن طغرل ابن عم السلطان . امثق بحضوره
جموع الاجناد وحشود التركان » فاقطع عليهم بدره . ورفع جتره . ثم
وصلوا الى نواحي العراق

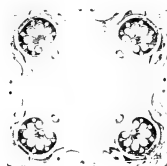
ولما عرف الامام ذلك أمر فاصحرت أسد الخوادر من عريستها .
وتبدت خيش الوشيح من خيسها . وبرز في مظلمته . كأنه البدر في هالته .
ونور النبوة يشرق من جبينه . والقضيب النبوى يوزق بالنصر في يمينه .

والبردة الموروثة فوق ردائه . والقدر بالقدر على أعدائه . ما بي ندائه .
فسار في موكبه الشريف وعلى مقدمته وزيرد عون الدين بن هبيرة في أسود
استلأمت من الدروع بأهب أسود . وفي سحائب قساطل من المناسل
والصواهل بوارق ورواعد . وفي الميمنة والميسرة امراء ومقدمون من
عظاء العسكر كناصر الدين منكوبرس وأمير واسط مظفر الدين قتلغ برس
وكلاهما من المسترشدية . وحامياً الحوزة المتقنية . ونخر الدين قويدان ومنكابه
العباسي وبهاء الدين صندل والامراء المصطفون المصطنعون . والحماة الكماة
المدرعون المتنعون . وخيم الخليفة على مرحلتين من بغداد في موضع يعرف
بـجـمـزاً وأقام دون شهر ينتظر منهم البداية . ويستبعد من غوايتهم الهداية
ولما تراجم المجران . وتراجم الجران . تجراً العدى بغيرهم وغيرهم على
الاقتحام . وحسروا عن أقدام الاقدام . وقالوا لوان للقوم بناطاقة . ماتحموا
من توسيع مدة الإقامة اضاعة . فقد عزت الاقوات وعدم العلف . ووجد
التلف . وجهلوا ان الامام متبع حكم الشرع . في قتال أهل البغي عند صياهم
بالدفع . فركبوا وما رقبوا . وبرزوا وجلبوا . فركب امير المؤمنين في
هاجريه وأنصاره . ووقف في القلب منهم بين اسماعه وأنصاره . وقدم وزيرد
ابن هبيرة امامه . وسير معه اعلامه . وأمر الامراء ان يكونوا معه قدامه .
فاقرت ليالي الرايات السود بوجود رافعيها البيض . واشرقت ايامن الايام
الامامية بنور المستفيض . وشرع برق الحديد الالامع على حواشي بوارق
البوارق في الوميض . واواثك قد ساقوا دواب التركان وماشيتها وأغنامها .
وقدموها بين يدي صفوفها قدامها . وكانت آلافا كثيرة الاعداد . كثيفة
السواد . ومن ورائها الوقاة الكماة . ذوو الحمية الحماة . وقد اخذت هذه

المواشي طول الارض وعرضها . ومنعت بتراضها تقويض صفوفها ونقضها
 فنزل الامير نضر الدين قويدان قائد الجنود وقبل الارض للخليفة وطلب
 بلاد الحلة . واقتدى به ناصر الدين منكوبرس في طلب البصرة . فانهم بها
 نالوها . فتأهبوا للقاء . وتلها على الميحاء . وحمل الوزير ومن معه فلم يجدوا
 في تلك النقاد الآساد طريقاً . وصادفوا في ذلك القضاء الواسع للانعام
 المحشورة اليه مضيقاً . وكان ترشك مملوك الخليفة للمخالفين مخالفاً . وفي
 الميمنة واقفاً . ختمت ميمنتهم على ميسرة الخليفة وفيها . هاهل ابن أبي
 عسكر والاككراد فهالمت نسجها . وحلحلت برجها . وعادت صفوة
 صفوف الاكراد اكداراً . وأجفلوا كالظلمان هزيمة وفراراً . ودخل ترشك
 بين اطناب السراقد الشريفة فطمعن برمح ظهير الدين بن الفقيه المرتب
 في الخزن فقتله وركضت ميمنتهم خلف المنهزمين فلم يرجوا . ومروا
 وراءهم مرجوا . وأما الميمنة الميمنة الامامية فلها حمت وفيها ناصر الدين
 منكوبرس ونضر الدين قويدان ونفذت الى القوم وقوضت ماقابله من البنيان
 المرصوص . وحكمت بنصر الحق المنصوص عليه على الباطل المنقوص . فلم
 ير غير رأس سائر . ورأس طائر . وورح يتشظى . وصارم يتلظى . وتبدد شمل
 آمال الاعادى وتفرقوا عباديد . وأخلفهم الشيطان ما كان مناعم من مواعيد
 وطاروا على خيولهم كأنما استعارت من قوائها قوادم . وتركوا بتلك المغاني
 من اغنام التركمان مناعم . وخبت البشرية الى بغداد بالنصر . بمقب ارجاف
 الاجلاف المنهزمين بالكسر

ووقف بعد الهزيمة مسمود البالى فى قلبه ثابتاً قلبه . راجياً ان يشوب
 اليه حظه . فهب اليه ابن هبيرة فهبره . وبرى اجزاء صفه وجزّ وبرده . وانتهز

الفرصة الأمير سنقر الهمداني فانفرد بالملك ارسلان بن طغرل وسار به
وأخفى مسيره في مضائق كل وادي ومساربه . حتى وصل به الى شمس
الدين ايلدكز زوج أمه وكانما أنزل به الغنى بعد عدمه . وأما الخليفة فانه
سجد لله شكراً . وانشرح بالنصر صدراً . ودخل الى بغداد منصور الاواء .
مصحوباً باملاك السماء . ولما تمت على أولئك القوم في أمليهم الخيبة . تمايلت منهم من
جانب أمير المؤمنين الهيبه . ونكصوا على أعقابهم عشرين بذيل الخجل . عابرين
على سبيل الوجل . فلما رجوا الى السلطان محمد بن محمود ندمهم . وعاتبهم على
الملك الذي ندم منهم . وقال « كسرتما . وسكمتما . وتلفتم نفوسكم . وأهلكتم الزكمان
وعرضتم للنسبي الذراري منهم والنسوان . ثم أخرجتم الملك ارسلان وغفلتم
عن حفظه . وهو الآن عند ايلدكز وستبصرون ما يفضى اليه الامر . ولا
بد ان يتوجه الي من جانبه الشر . وقد صار الخليفة خصباً فلا يخلص بعد هذا
ورد دولتنا معه من الشوب . ولا يقبل على قبول التوبة ولا يرضى صواباً
ارضاء هذا العيوب » وكان كما حسب فان الخليفة لم يغفر للسلاجقية بعدها
ذنبا . ولا فرغ لهم من جهته قلباً . وكانت الوقعة ببجمر في أواخر سنة ٥٩٩ هـ



مؤذ كر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد .

مؤوفبول الخليفة له وتجهيز جيش معه وذلك فى سنة ٥٥٠ هـ .

— — — — —

قال رحمه الله : كان سليمان قد تخلى عن الملك وأخلى سريره . ووافق
ادباره تديره . يدور فى البلاد ويلى بالدوائر . ويجد مع المنجد ويفور مع
الغائر . لا يستقر به قرار . ولا تؤويه دار . ولا يجيره جار . فلم ير لأمسه وأمنه
حاميا غير حمى أمير المؤمنين . فقصده ان يعلق من عصمته حبل المتين . قال
وكنيت حينئذ ببغداد فوصل خبر بان سليمان قد دنا ودان فقام ابووفور
القبول وفوده . وأكرموا وروده . ولو وفوه حق السلطنة لملقاه الوزير ومعه
قاضى التضاة والنقيمان . وأجلاء الخدم كما جرت عادة السلطان . لكنهم
اقتصروا فى تأقيقه على موكب شريف يقدمه عز الدين محمد
ابن الوزير ومعه مخلص الدين ابن الكيا الحرانى وخادمان ووقف
الموقف خارج البلد حتى قرب ثم لقيه ابن الوزير وخاطبه بكل
ماطربه وأعجبه . وقال « أمير المؤمنين صلوات الله عليه يسلم عليك
ويهدي تحية اليك » وترجم ابن الكيا الحرانى له هذا السلام بالفارسية .
فنزل سليمان عن فرسه وقبل الارض ثم ركب ودخل البلد وخرق الاسواق
من باب سور الحلبة . الى أن جاوز فرضة لرحبة . وحين وصل الى باب النوبى
أنزلوه وألزموه بتقبيل العتبة وقد أكرموا . وهناك حبر اذا وصل الرسل
ومقدمو الحاج نزلوا عنده ولثموا وعظموا . وماقبل تلك العتبة قبل سليمان

سلطان سلجقي . ولا ملك ديلمى . وكان منهم شقى وسعيد
ثم أركبوه وخرقوا به السوق حتى عبروا به باب سور السلطان وأنزلوه
بدار السلطنة ووظفوا له الرواتب ورتبوا له الوظائف وشرفوه وسوروه
وطوقوه وخطبوا له على المنابر فى الجمع والجموع . وخصوصاً بالمعروف والصنائع
النصائح . لكنهم لم ينعتوه إلا بالمعظم ولم يسموه بالسلطنة ولم يسموه . وكانوا
يقتصرون به على المعظم وذلك غاية أن يعظموه . لكنه كان فى قد عقلة من
غفلته . وعى لهجة من غى جهلته . وفى كسرة من سكرته . وفى ذلة من لذته .
فما زال مدة مقامه مستحلاً لمحارم شهواته . مستحلياً مذاق اللغو فى لهواته .
مترنماً بنغماته . متبعها بخرافاته . والخليفة مع ذلك فى ولائه معتقد والوائه عاقد .
مقيقظ لتدبير مصالحه وهو عنها راقد . وقد أوعز الى عساكره بالتأهب
للمسير فى خدمته . واعادته الى عادته فى سلطنته . واستوزر له شرف الدين
الخراساني وكان رجلاً كبيراً يرجع الى سودد وكرم محمداً . وكان قد وصل الى
بغداد فى عهد السلطان سنجر رسولاً وأعاد البردة والقضيب النبويين معه الى
دار الخلافة وكانا قد أخذوا فى النوبة المسترشدية

وأقام شرف الدين هذا فى الظل الامامى وهو مخصوص بالاحترام فرأى
المقتضى أن يجعله وزير سليمان . وسيره الى آذربيجان . وجهز معه عساكر وافية
العدد . وافرة العدد . فمضوا به الى أرومية ثقة بآتابك أيلدكز فما رفع بهم رأساً .
ولا قرأهم ايناساً . ووصل السلطان محمد بن محمود وجرى المصافى . ووقع بين
الفریقین الانتصاف . ثم انهزم سليمان مولياً . وعن عسكر الخليفة متخلياً فعدت
العساكر الى بغداد عاصمة لظفر . نادمة على السفر . ورجع سليمان عائداً الى
بغداد فى طريق الدربند القربالى فصبحه زين الدين على كوجك من الموصل .

وقبضه في المضيق وحمله الى قلعة الموصل . واعتقله وأراحه من التعب . وابعاه
ما كان يؤثره من القلوب . وكان ذلك في شعبان سنة ٥٥١

.....

ذكر اتصال الملك جفري شاه بن محمود بأخيه السلطان محمد

.....

قال رحمه الله : كان الملك جفري شاه مع آتابك اياز في آذربيجان .
فشغل خواطر الاميرين ايلدكز وارسلان آبه صاحب آذربيجان عند اتصالهما
بالسلطان سليمان . بعد انهزام محمد الى اصفهان . فلما عاد محمد الى السلطنة سير
شرف الدين كردبازو لاصلاحهم والصلاح بينهم . فوصل والحرب قائمة على
ساقها . اخذة من الارواح باطواقها . فأصلح ذات البين . وعاد قرير العين
وقد تسلم جفري شاه . وملاً بحمده ومدحه القلوب والافواه . وجمع شمل
السلطان بأخيه وعاد آتابك اياز الى ولايته . وكانت رعيته آمنين في كنف عنايته .
واقسم شمس الدين ايلدكز ونصرة الدين ارسلان آبه بلاد آذربيجان وأفرجا
عن أردبيل للامير آغوش . وأعادوا من رسوم العدل النقوش . واجتمع
السلطان محمد بأخيه جفري . والاخوة تحملن على الشفقة والملاحة به يفرى .
قال : وكنت في ذلك العهد سنة ٥٤٩ بهمدان وقد عدت من الحج
صحبة جمال الدين محمود بن عبد اللطيف الخجندی فشاهدت السلطان قد أنس
بأخيه وسر به . وامتزج به في مطعمه ومشربه . ولطفه بعطفه . وعطف عليه
بلطفه . ثم امر باعتقاله ووكّل به الامير عز الدين ستمار بن قايمار الحرّامى

يرصده ليلا ونهارا . ويرعاه سرا وجهارا . وما زال الامر على ذلك حتى
فارقنا المسكر . فما أدري اين أقبل به القضاء بعد ما أدبر . ومن حين نقل
ما سمع له خبر . ولا رثي له شر . فكأنما سل طين السلاطين من جفن الجنا ،
وجبات جبلتهم على الاغفال والانعفاء . فالرحم عندهم . مقلوعة . والرحمة
منوعة . والمزة في خدمتهم بالذل مشفوعة . والاغترار بهم غرر . وصنوعهم
كدر . يقعون ويحشون . ويهرعون وينكثون

— ذكر حوادث جرت في تلك السنين —

قال : في سنة ٥٤٨ هـ استولى الغز على السلطان سنجر وكانت حادثة هائلة
وسندكر أيام سنجر عند وفاته . وفي هذه السنة استولى الفرنج على عسقلان
وفي هذه السنة قتل العادل ابن السلار سلطان مصر قتله ابن امرأته .
وفي هذه السنة توفي ابن منير الشاعر بحلب في جمادى الآخرة . وتوفي
ابن القيسراني الشاعر بدمشق في الحادي والعشرين من شعبان . وتوفي ابو
الفتوح بن الصلاح الفيلسوف البغدادي بدمشق في الخامس والعشرين منه
وفي سنة ٥٤٩ هـ توفي تمر تاش صاحب ماردن في أول المحرم . وفتح نور الدين
محمود بن زنكي دمشق يوم الاحد ثالث صفر سنة ٥٤٩ هـ . وقتل الظاهر بتولي
مصر ليلة الخميس لانسلاخ صفر

قال : وفي هذه السنة توفيت حليمة السلطان محمد بن محمود بنت السلطان

مسمود مجلس المعزاء . وامترى در البكاء . وكنت حاضرًا في زمرة العلماء .
 ووصل الى خدمته آتاك اليك اليك في عساكر آذربيجان والامير شير بن آق
 سنقر بعسكر أخيه وأقاما عنده على همدان ثم استأذنا في العود وعادوا .
 وزادهم السلطان حرمة وقوة فزادوا . ووصل رسول ملك كرمان فاکرم .
 وأحضر حملا فقدم . وسير جمال الدين ابن الجندی مع الرسول رسولاً الى
 كرمان . ليخطب بنت الملك للسلطان .

قال : فعدت معه الى اصفهان فسامني السفر معه في تلك السفارة .
 فرأيت الربح فيه عين الخسارة . فتأخرت وتقدم . وحججت فأقدم .
 وأقت فظعن . وأسبغت فاحزن . فأتني عنده مسيره الى كرمان سرت
 على طريق خوزستان الى بغداد وجئت الى عسكر مكرم في شوال
 سنة ٥٢٩هـ والملك ملكشاه بن محمود ماله بها . وقد أمنت به مما لكانها
 ومسالها . ولقيت رئيس الدين محمد بن القاضي أبي بكر الارجاني وهو في
 نيابة القضاء . ووفور الحرمة في العلماء . فذكر لي ان والده توفي سنة ٥٢٥هـ
 وأعطاني مسودات من أشعار والده . فتنزهت في رياض فوائده . ثم
 ارتحلت الى بغداد بعد وصول الخبر بنصرة الخليفة في حرب بجزا وظفروه .
 وكنت مع والدي فخرته البشري على سفره .

قال : وشقي السلطان محمد بن محمود في هذه السنة بساود واستعجز
 جلال الدين بن القوام وزيره . واستقصر تدبيره . واستقصى من فارس تاج
 الدين الدارستي ليستوزره فوصل تاج الدين الى اصفهان وأقام مدة فبرده أمره
 وحمد جرده . واستبطأ السلطان سيره . واستوزر غيره .

ذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدر كزني

.....

قال : قيل للسلطان انه وزير عمك . وظهير عزمالك . وقد سبقت له خدم
وثبت له في القدم قدم . فنصبه في المنصب . ورتبه في أعلى الرتب . واستند
وتصدر . وأورد وأصدر . وخاطب الامراء الذين استأثروا بالبلاد ان ينزل
كل منهم عن شيء مما في يده ليكثر الخواص السلطانية . واستضاف بلاداً
عامرة الى النواحي الديوانية . فتوفر الاستظهار وظهر التوفير . وأثر الرجاء
ورجي التشير . وقال للسلطان قد اتسقت الاحوال . واتسعت الاموال .
وقد فرغ البال لشغل بغداد فاسترجع حقاك المغصوب . ولا تترك نجاحك
المطلوب . فانها دار ملكك . ومقر أهلك وجيدك . وأنت اذا مضيت
بنفسك فما يقف قدامك أحد ولا يكون معك لاحد يد فلما خضر الربيع
مأثته . ووفر فائده . وأحسن عائده . عاد السلطان الي همدان وذلك في
سنة ٥٥٠ ورحل على سمت بغداد ورحل عدة مراحل . ونزل في قصدها
منازل . ثم بدا له فعاد لان الامراء الذين سبقت منهم المواعدة على المعاودة
اخذوا العمدات . ولم يطاوعه العسكر على مفارقة البيوت والاقطاعات . عند
ادراك الغلات . فانصرف راجعاً وتوجه الى آذربيجان . وتم المصاف الذي
نصر فيه على عمه سليمان . ثم عاد الى مقر ملكه وفي قلبه من أمر بغداد هم شاغل .
في صميم روحه واغل . وعلم ان الجند لا يفارق بلاده في الصيف . فانه لا يجمع بين
حر بغداد وحر الصيف . فواعدهم الى الخريف . وأمهم من الغرر الخفيف .
واشغل بالاستعداد والاستعداد . والاجتهاد في الاحتشاد . وتجهيز السكتب

الى مجهزى الكتائب . وتبريز المضارب وتميز الطلائع والمقائب . فارتحل لما
انقضى المصيف . واقبل الخريف .

— — — — —

« ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمده »

« أمير المؤمنين المقتنى لامر الله من حسن الصبر المعقب »

« حميد الظفر والنصر »

— — — — —

قال رحمه الله وصل الخبر الى بغداد في ذى القعدة سنة ٥٥١هـ بأن
السلطان محمد قد قرب في عسكر هائل . وعمرهم صائل . وهو
بمنزل « قصر قضاة » فصدق هتمام الخليفة بالاحتراز والاحتراس .
واجدد لباس الجدد للباس . وبالع في تحصيل العدد . وتحصين البلد .
وأدار بالمنجنيات سورا على السور . وملا أبراجه بالحجارة المساعير .
وخرج الوزير ابن هبيرة وخيم تحت التاج الشريف عند المشنة على شاطئ
دجلة بحيث يطل الخليفة من المشنة على خيمة وزيره . ويقرب الاستمرار في
دقيق الامر وجليله وقليله وكثيره . وفتح باب الكرم المرتجى المرتج . وثبت
قلب الاسلام الخافق المرتج . وأعد العدد الخاصة والخرجية . واستخدم
المنجنقية والجرخية . وكان من حزم الخليفة انه منذ توفى السلطان مسعود
ونفى مسعود الخادم البالى من بغداد أعز باعداد الذخائر وادخار العدد
والاستظهار بشغل صناع السلاح وكانت حجارة المنجنيق معوزة . فأحضر
منها في السنن ألوفاً صارت محرزة . وأمر ببناء المراكب المقاتلة والسنن

فرعن في دجلة راسيات كالرعن . وعبر محمد شاه دجلة الى الجانب الغربي من
 أعلى بغداد على بعد منها بمجموعه . وراع كل قلب بصدوعه . وكان قد واعد زين
 الدين على كوجك فوصل بمسكر الموصل يوم الميعاد في وفور من العدد
 والاعداد . وأطلوا من الجانب الغربي على بغداد وكدروا المشارب . ووفروا
 المصائب . ثم بكرروا وأشرفوا . وبالغوا في العتو وأسرفوا . ووقفوا بأزاء
 التاج الشريف وشرعوا في السبع . جارين على سوء الطبع . ونبتت من
 معاجس قسيهم غروب النبع . وجرحوا من النظارة جماعة أحسنوا بهم
 الظنون . وأمنوا منهم المنون . وقابلوا الفرض بالرفض . وقاتلوا الله تعالى
 بقتال خليفته في الارض . ونزلوا على بعد من بغداد حتى تألفت الوفهم .
 والتف لثيفهم . وسيروا الى الحلة والكوفة وواسط والبصرة ولادة ومقطعين .
 وشحناً ومتصرفين . وفي كل يوم يسير الخليفة في دجلة مرآكب . مملوءة
 بمقارب . فيها المجانيق الخفاف . والعرادات اللطاف . والرماة الكمامة . والجرخية
 الكفافة . فيحاذون المعسكر المحمدي في دجلة ويرمونهم . ويشوونهم ويصونهم
 حتى رأى السلطان محمد التنقل الى حوالى سور بغداد فجاء ونزل على الصرة بدار
 يرتقى الزكوى وعبر أمراء الكبار الى الجانب الشرقي مثل آتابك أياز وعز الدين
 ستماز . ومن مجرى مجراهما من ذوى الاعتزاز وبقي على كوجك بالمسكر الموصل
 في الجانب الغربي والسلطان معه وهو يعبر في دجلة الى دار السلطنة في جانب
 بغداد كل وقت ويعود . والبيض قد هجرتها العمود . والمقول قد انحلت منها
 العمود . وتبرز خيل بغداد في كل يوم منها من يأتى سور السلطان والظفرية
 ويقفون خلف الباشورة المبنية . للحملة على من يكون منهم في الجاليشية فهم
 يخرجون . ويخرجون ويخرجون . فيأمر لهم الخليفة بالاعطاء . على قدر البلاء .

وكان لكل جراحة على مقدارها عطاء . ولكل عمل مبرور جزاء . فتوفرت
دواعى العوام على التهافت فى نار الحرب تهافت الفراش فى النار . لانوز عند
العود بالدين والدينار . فقامت الحرب على بغداد بالمساء والصباح . والفسد
والروح . وطالت مدة الحصار . ولم يؤثر فى الاسعار . وما عجز غير اللحم . ولا عجز
الملح . والامل يقترب النجح . وخسران الخصم دليل الربح . وكانوا قد نصبوا
من الجانب الذى من دجلة على مسناة دار العميد وبقرى القمريه منجنبيين
عظيمين وهما بنصب منجنيق اخر على الخان لذى بناد سريخك مقابل التاج .
ولو تم ذلك لأعضل داء الازعاج . فعين الخليفة ايملا رجالا أتوا بانيانه من
القواعد . وكان لوقوعه سحرا رجفات كأصوات الرواعد . وكانت السفن
المتردة فى دجلة برماة الجروح والنشاب والقوارير المحرقة . والنفاطات
المزقة . قد آذتهم وأذنتهم بعجزهم . وعزت بازهاقهم . فأزهقت روح
عزمهم . وما كانت لهم مراكب الا عدة يسيرة يسخرون ملاحياها . ويخسرون
مالسكياها . ثم لا يشقون بالركوب معهم فيها خاروا وخاروا . وتشاوروا
واستشاروا . فقال لهم بدر بن المظفر بن حماد صاحب الغراف . وكان قد
جاهر الخليفة بالخلاف . أنا كفيكم بسفن مقاتلة . وأغنيكم بمراكب حاملة
وجوارى منشئات . وزوارق وشفارات . من بلد واسط والبطائح . من
الدانى والنازح . خموده وشكروه ومضى وأقاموا ينتظرونه حتى وصل
بالسفن الخفاف والثقال . والملاحين والرجال . فامتنع عليهم عبورها فى
البلد اليهم ورتب الخليفة الرجال فى المراكب للقائهم . واحرقها بالنار واداءها .
ولما شق عليهم ذلك ردوها الى نهر عيسى بعد ان مدوها الى الفرات .
وأخرجوها فوق بغداد فى الصراة . وتكاملت مدة شهرين فى ذلك . ثم

بدأوا بعقد جسر على دجلة فوق دار السلطان من تلك الزواريق . واتسمت طريقهم في العبور بالتغريب والتشريق . وضائقوا في الحصر من الجانبين . وشددوا في منع الميرة وقطع الاقوات بجذع الانوف وقطع اليدين . ووصل اليهم من الحلة امراء بنى أسد ورجالها . وفتكاها وأبطلوها . وقالوا هذه بغداد من جانب دجلة ما عليها سور . وتوانيك في هجمها قصور وفتور . فسلموا اليها المراكب لهجمها . وما اسهل علينا ان نقتحمها . واذن لهم السلطان في الزحف فركبوا المراكب مستلثمين معلمين . وعبروا الى المدينة على الموت مقدمين . ولما وصلوا الى قرب السور خرجوا من السفن شاكين . فخرج اليهم من الباب من ممالك الخليفة من طاردهم وجالدهم . وهم مع ذلك يبعدون من الشاطئ . ويوسعون الى الموت خطوة المصيب غير الخاطئ . ثم كثر عليهم رجال بغداد كثرة حصاوا منها تحت العسر . وفي قبض الاسر . وتظاهروا الى السفن فغرق أكثرها . وانخسف بهم موقرها . وقبض الامير حسن المضطرب وأخوه ماضى وعدة وافرة من معروف بنى اسد . وعدم كثير ممن غرق أو قتل أو فقد . وأمر الخليفة تلك اليلة بصلب حسن وأخيه على دقل زورق . واصبح الباقيون على السور ما بين مصلوب مشنق . ومقتول معلق . ففتح الله لخليفته من المهابة لاوليائه . والمهانة لاعدائه . كل باب معلق . وسقط في أيديهم . بعد ما بسط من تعديهم . ولما طال الحصار . وتمادى الانتصار . خاف الخليفة الغلاء . ففتح الاهراء . وقتصر الاجناد في الاعطيات . على تفريق التمور فيهم . والغلات . وأخذوها واحتاجوا الى اثمنها في النفقات . فرموها في الاسواق وباعوها بالدينار . فحمد بذلك استعمار نار الاسعار . وما زاد سعر في الاقوات

ولا غلام طعموم في وقت من الاوقات

وفي صفر سنة ٥٥٢ وصات قافلة الحج فوجدوا دار الخليفة محصورة .
والهمم من الخارجين على خلاف تعظيمها مقصورة . ونزلوا في المعسكر
السلطاني ثم تفرقوا الى بلادهم . ورحلوا طالي اغورهم وانجاهم . ومن كان
من بغداد تحيل في الدخول الى منزله . والوصول الى منزله . وبغداد
حيث خلق من التجار يريدون بل يؤثرون مرافقة الحاج . ويقولون متى
أخذوا البلد نهبوا بضائعنا . وستخرجوا ودائعنا . فخصروا التاج واكثر
الضجاج . وحاولوا من ضيقهم الافراج . فقال لهم الوزير « مير المؤمنين
يقول لكم انتم في حرم احسانى . وفي ضمان امانى . ولكم بنى اسوة وهذه
النوبة . مالكم بانوبة . واموالكم في البلد مضمونة . وبأسباب الرعاية مضمونة .
واذا خرجتم وضعتموها على طرق الطورق . وتعرضت لكم دون السز عوائد
الحدثان في البوائق . فاصبروا فان الصبر محمود الموقب . والله لنا كفيل بفعل
ناب النوائب . فضجوا حتى تضجروا . وزجروا فما انزجروا . فوكلوا الى اراهم
الفائلة . وآراهم الحائلة . فاستبقوا الباب . وما استبقوا الاباب . فخرجوا واخرزوا
تلك البضائع في الدار السلطانية . ولم يقدموا مع تلك الفتن على السفرة
الهمدانية . فما مضت عليهم الا ايام قلائل . حتى غالتهم غوائل . فنهبوا وسلبوا
واصبحوا فقراء . وهذه سنة الله في الاغنياء . اذ كانوا اغنياء . وسندكر سبب
ذلك ان شاء الله . قال واما العسكر النازل فان السلطان رأى رسالة الخليفة
بالاستعطاف والاستعطاء . والاستغفار والاستغفاء . وكان في صحبته من العلماء
صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الحنبدى وشمس الدين احمد شاذى الغزنوي
فأرسل كلا منهما على حدة فلم يتمكنوا من الوصول . وقيل لامطمع في نجاح

السؤال بالرسول . فانكم لو اردتم الاجال . اقدمتم الارسال . والآن ان
استرجعتم . ورجعتم ورأى الورى منكم الندم على ما فاعتم . فهناك نسمع
الرسائل . ونقبل الوسائل . فننظ التوم من قبول الرسالة وشرعوا في
الشر وعادوا الى العدوان ولجوا في المصيان والطاين . وتخريب العمران .
وانخرقت . مهايتهم عند أهل بغداد . فطلبوا بكل نوع عليهم الاستجواذ . فصاروا
يكبسونهم في الضياع . ويغافسونهم^(١) بالقراع . ويقطعون الطرق على علاقتهم .
ويوجدون السبل الي تكثير مخافتهم . وكانت الاكلاك واصلة من الموصل
اليهم بالميرة . والاقوات الكثيرة . فتلقوها في دجلة فأخذوها . وعبروها
عليهم وعجزوا ان ينقذوها . وامتنع أهل الموصل بعد ذلك عن تسيير
الاكلاك فما أخذوها . وكان وزير الخليفة منذ وصل محمد للمحاصرة
واصل مكتبة آتابك شمس الدين ايلدكز وحشه على الحركة مع أحد
الملكين ملكشاه أو ارسلان شاد الى همدان فوصاهم الخبر بأن ملكشاه
هجم على البلاد . واستولى على الطراف والتلاد . واقطع الاقطاعات
وحوي الغلات . ورفع الارتفاعات . فقت ذلك في عضد العسكر واتضع
ثباتهم بهذا الخبر . وحمي أيضاً عليهم الحر . واشتعل البر والبحر . فاجتمع
عند السلطان الحواجكية والامراء . والامائل والكبراء . وكان الوزير شمس
الدين ابو النجيب الاصم الدرزيني والمستوفى رضى الدين أبو سعد الخوافي
ونائب الاستيناء كمال الدين ابو الريان ومن الامراء آتابك أياز وعز الدين
ستماز وشرف الدين كردباز وومسمود البلالى وظاهرهم على الراى زين الدين
علي كوجاك الموصلى وقالوا نهرب باجمعنا الى الجانب الشرقى ونصدقهم القتال .

(١) نأفسه أي فاجأه وأخذ على غرة له محيط للغير وذابادي

ونديم عليهم النزال . فان تيسر الفتح . فقد سفر النجح . وان تعذر وتعمس تفرقنا
على مواعدة المعاودة من قابل . وحصلنا من ادراك الطوائل على طائل . ثم
عمدوا الى الجسر الذى لهم فاحكموه . وتجاسروا على الحكم الذى اعتمدوه .
واصبح العسكر فى يوم الاربعاء من شهر ربيع الاول وقد أخذ عدته . ولبس
شكته . وركب خيله . وسحب من السوابغ على السوابق ذيله . وشرعوا فى
المبور على الجسر من دحين . وعلى العصور بالمنية مفتحين . واتفق فى ذاك اليوم
هبوب ريح عاصف . وتموج بحر من الهواء قاصف . وتلاطمت الامواج .
وتزاحمت الافواج . وثقل الجسر وانقطع . وهم العسكر ان يرجع . فلم يجد
طريقاً للرجوع . وخاف من على الجسر من الوقوع . فمدوا ايديهم الى
الدبابيس . فاضطربوا وضطربوا الى التنكيس والتعكيس . ولم يشعروا من وراءهم
بالامر . ولم يطلعوا على انكسار الجسر وانخرعوا لما هالهم . وحسبوا ان خطبا
غالهم . فهاهنا وما فهموا . وهموا بما وهموا . وركب السلطان عند اشتباه
الخطب . واتجاه الخبط . وشط نازلا ونزل الى الشط . فقبل لزين الدين
على كوجك ان السلطان قد ركب . وان العسكر قد اضطرب . وانه قد
عبر الى الدار . وحصل على الاستشعار . فركب أيضاً فى العسكر الموصلى
على سبيل الاستظهار . ولما شاهد أهل بغداد اختلافهم واختلالهم .
واختلاطهم واختباطهم . فتحوا أبواب البلد . وهتفوا بآرباب الجلد . ونادوا
بشعار أمير المؤمنين ونصره . وزحف العالم فى برد وبحره . وجذفت السفن
الخفاف بمن خف من الرجال . وهجم الحقب على الباطل بالابطال . والقوم
مشغولون بانفسهم . حائرون لما عراهم من تمكسهم . ومن حصل منهم فى
الجانب الشرقى . لا طريق له الى الجانب الغربى . فتعجم البغداديون على الدار

السلطانية وأجلوهم عنها . وأبعدوهم منها . ودخلوها ونهبوا ما فيها من الاموال المودعة . والاثقال المجمعة . وعاثوا في بضائع التجار وودائع السفر . ولما لم يبق في الدار شيء قلمت أبوابها . وقطعت اسبابها . وانصرف القوم هائمين . خائسين سادمين . نادمين . وشغلوا عن أثقالهم . وثقلوا بأشغالهم . ووقفوا على صهوات الخيل . الى دخول الليل . ثم سروا وأدجلوا . وعرجوا الى تلك المسالك ولم يعرجوا . وساروا بالجانب الغربي من عساكر همدان وأذربيجان مع عسكر الموصل للضرورة . ودفعوا الى ما لم يتقدروا ولم يخطر لهم من الاخطار المقدورة . وأصبحت بغداد وقد أتاها الله بالفرج . وقرن بهاءه بالبهج . وأحكم حكم نصرها من الطافه بالحجج . وأنجى أهلها في سفينة السكينة من طوفان الفتن المتلاطمة الحجج . وغيض الماء وقضى الامر . ونصر الحق وحق النصر . وكف المقتفي عن اقتفاء المنكفين . وستر على المستترين منهم في المحال والمخفين . وانتشرت عساكر أمير المؤمنين في البلاد . واستبشرت بالنصر المعتاد . وعرفت الاعاجم انه لا مطمع بعدها في بغداد . قال : وكنت حينئذ ببغداد . وجبرت قصائد في هناء الامام واستخدمني الوزير عون الدين تلك السنة في النيابة عنه بواسطة فنقلني من المدرسة الى العمل . وعطاني عن الاشتغال بالعلم وظن انه حلاني بشغله من العطل .



❦ ذكر وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن ❦

❦ داود بن ميكائيل بن سلجق وشرح نبذ من ❦

(أحواله من ابتداء عمره الى خاتمة أمره)

.....

قال رحمه الله : توفي سنجر يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٥٥٢ بعد خلاصه من أيدي الغز وكان مولده بظاهر سنجار يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ٤٧١ وولاه أخود برصقيارق بلاد خراسان سنة ٤٩٠

.....

❦ ذكر السبب في ذلك ❦

.....

قال : كانت بلاد خراسان في أيام ملكشاه ساكنة الممالك . آمنة المسالك . مشحونة الاطراف بالشحن . مسكونة الاكناف بالسكن . ووطنه الديار بالابرار . داره المواطن بالمبار ونظام الملك بنظام الملك مستتب . مستدف . ونائله لذوى الفضل مستكف ولذوى الجهل مستكف . وما بخراسان رؤسان . وما تسلط بها سلطانان . فلما استشهد النظام . وأباح حي ملك . ملكشاه الحمام . انفسخت تلك العقود . وانتسخت تلك العهود . واستشرى الشر . واستضرى الضر . واستولى كل صغير على كبير . وكل مأور على أمير . وكان

للسلطان ملكشاه أخ يقال له ارسلان ارغون وكان مقطعاً بمبلغ سبعة آلاف
 دينار في نواحي همدان وساوہ فقييل له الي كم تلزم مرارة العطلة والقناعة .
 وتهجر حلية الملك والحلاوة . وحرکوا ساكنه . وبعثوه على شغل أخلى عنه
 مساكنه . فنزل عن قراء القرار . وركب مطا المطار . واشتد بطل الطالب .
 وشد لبب الخبب . وجاء الي نيسابور فما تمكن منها . ودفعه أهلها عنها .
 فصعد مرو مرو . وقال أمليکها ولا غرو . فانقاد لامره الامير قودن
 شحنتها . وجعات تحت مكنته أمكنتها . فقوى ارسلان ارغون بقودن . فانه
 وجد الجواد وعدم الكودن . واستولي على بلخ وترمد وصفت له خراسان .
 وحيزت بلدانه البلدان . وكتب الي ابن أخيه السلطان برکیارق « انى قدمليکت
 موضع جفري بك داود جدی . بجدی وجدی . وقد رضيت به رضا
 قانع . وأنا فيما سواه غير طامع ولا منازع . وأنا باذل لما تطالبون . وحامل
 لما فيه ترغبون » فرأى برکیارق انه بالمراق فى شغل شاغل . وهم زئد غير
 زائل . فأمسك عنه . وأظهر انه قبل منه . ثم بداله وآثر قتاله وكان عنده
 عمه الآخر بورى برس بن الب ارسلان فأنهضه لقتال أخيه وضم اليه مسعود
 ابن ماجر وأمير آخر التونتاش . واجتمعت عليه عساكر خراسان فطار من
 النشاط وطاش . وحث العزم البطاش . فأما مسعود فان التونتاش توهم منه
 بما قيل له . فقتل به وبولده . وصار الامر كله فى يده . ووزر للملك بورى
 برس عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك فوضع ورفع . وفرق وجمع .
 وخرق ورقع . وضيق وأوسع . وصاف بورى برس أخاه ارسلان ارغون
 وصدمه . وحط عليه وحطمه . وهز طوده وهزمه . فعاد ارسلان ارغون
 الي بلخ مكسوراً مخسوراً . وأقام بورى برس بمكانه منصوراً مسروراً . ثم

أرسل ارغون إلى الأطراف والأوساط وحشد وحشر ونهض إلى
 مرو وفرض مروتها . وحط ذروتها . وفتحها عنوة وهدم سورها . وقتل
 جمهورها . وبرز بوري برس من هرة القصد لقائه . وحفظ البلاد من
 بلائه . فزحف العسكر إلى العسكر . وطن لذباب في المغفر . وضبح الثعالب
 في لبة الغضنفر . وجنى ثمر النصر من ورق حديد الأخضر . وطارت فراخ
 الجماب إلى أوكار المقل . وأدمت لوحظ السهام من الحدود . ووضع القبل
 وبرز البوار لبوري برس وكسر . وأدرك وأسر . وحمل إلى أخيه ارسلان
 ارغون فأرق له ولولا رفيق . فاعتقله في ترمذ ثم خنقه . وأخذ وزيره عماد الملك
 ابن نظام الملك وصادره على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله . ولم يترك سوءاً لأعماله
 لا جرم أخذ الله وأقدر عليه قدره . وساط على صفوه كدره . فانه عاد إلى
 مرو ووطن انه ملك . وان خصمه هلك . فقال له منجبه « أرى عليك قطعاً .
 وأنت لا تملك لما قدر دفناً . ولحزم تحركك وتحركك إلى أن تؤمن بالخافة .
 ولا تخشى الآفة » فاحتجب عن أصحابه . واغلق رتاج أبوابه . ولم يدع إلا
 مملوكاً صغيراً كان به يأنس فانتظره . وانكر تأخره . فلما حضر عاتبه كيف
 ابطأ . وعاقبه حيث اخطأ . فضربه الغلام بسكين معه وصرعه . فقتل
 موضعه . فلما قيل للمملوك لم فعلت ما فعلته . وعلام قتله . قال « أردت أن
 أريح الخلق من ظلمه . وكان هذا بقضاء الله وسابقاً في علمه » وقتل ارسلان
 ارغون في سنة ٤٩٠ وسنة ٢٦ سنة

وكان السلطان بركيارق لما عرف استيلاء عمه على خراسان قلدها أخاه
 أبا الخارث سنجر . ورتب معه العسكر . فوصل الخبر بقتل عمه فكفى قتاله .
 واستصوب انفاذ أخيه وأرساله . وسار ومعه سنجر فلما وصل إلى دامغان

وصله الخبر ان اصحاب عمه قد اجلسوا مكانه ولدا صغيرا له . فلما علموا بتقدم
سنجر نهضوا بالصبي وهو ابن سبع سنين وطلبوا من السلطان بركيارق لما
عرفوا قربهم منهم له الامان . وظهروا له الاذعان . واحضروه عنده فآكروا .
واحترمه وقدمه . وكانت وصول الصبي في خمسة عشر الف فارس وقد
استصغروه . ونهبوا خزائنه وافقروه . واقطعه السلطان بركيارق في نواحي
الري وهمدان . ودخل بركيارق الى خراسان . وبلغ الى ترمذ واستولى على
جميع بلاد خراسان ونفذ في سمرقند امره . وولاهما اخان سليمان تكين ثم محمود
تكين بعده . ثم اقرها على هارون تكين وحده . واطاعه ابراهيم صاحب
غزنة . واعطاه الله في البسيطة المكنة . وبقي سنجر معه لا متوليا متخليا .
ولا موليا متخليا . بل عليه اسم الولاية . وعقد الراى والراية . حتى سمع
السلطان بركيارق عن العراق بما تم من التتوق . وما وهى به من
عقد الوثوق .

ومضى مؤيد الملك بن نظام الملك الى جنزة . ابعث السلطان محمد بن ملكشاه
على طاب المملكة . وحثه على الحركة . فسار محمد الى الري وبركيارق بها . فلما
وصل محمد اليها فارقها . واخذت معه زبيدة خاتون خبستها السلطان محمد وخنقها .
ومضى بركيارق الى بغداد على طريق خوزستان وواسط واتصل به سيف
الدولة صدقة بن منصور . وعاد الى بلده بوفر ووفور . وجباء وجبور . وعاد
اليه كوهرائين وكربوقا نخرج على طريق شهر زور واجتمع عليه من التركمان
خلق كثير وحارب اخاه محمدا بموضع يقال له كور شنبه فانهزم . وانفل حده
وانثلم . وسار في خمسين فارسا الى اسفرائين ثم تم الى نيسابور . واستنجد
الامراء واستجده الامور . وقبض على وجوه البلد وامائله . واخنى على اعيانه

وأفاضله . ومات نخر الاسلام أبو القاسم بن الامام أبي المعالي الجويني في اعتقاله . وكان السلطان سنجر حينئذ بباغ مع رجاله . ومعه الامير كندكز وأرغش وكان قد استولى على معظم بلاد خراسان رجل يقل له حبشي بن التوتاق . وقد ش العسا بالعصيان والشقاق . وهو مقيم بالدمغان . وتحت استيلائه أكثر بلاد خراسان وطبرستان . وجرجان . ومعه قلمة كردكوه . وقد تطرق منه المكره . فنهض سنجر في أرغش وكندكز الى قتاله . وهو في عشرين ألفاً من رجاله . ومعه خمسة آلاف فارس من الباطنية أصحاب اسمعيل الكلاكي صاحب طبرستان . وقويت قلوب السنجرية بوصول السلطان بركيارق فاقدموا اقدام الايوث . واستهلوا استهلال النيوث . وصدمو الاطواد بالاطواد . وأنكحوا الهام بنات الاغناد . وكانت الكرة عليهم ثم صارت لهم . واستحلوا قتالهم وقتلهم . ووقع حبشي في الهزيمة الى بعض القرى فاخذ وأثنى . وحمل الى الاميرين أرغش وكندكز فاعتقلاه . وبذل عن نفسه مائة ألف دينار فلم يقبلاه وقتلاه .

وعاد السلطان بركيارق الى العراق واتصل به جاوي سقاو وایتكين النظامي واصبهبد صباوه ثم جاء الامير اياز في خمسة آلاف فارس مدرع مقينع . وقصد همدان وهو في خمسة عشر ألفاً وأخوه السلطان محمد بها في سبعة آلاف فاصطدما والتقيا . واحتدما واصطليا . وتجت لوقعة عن هزيمة السلطان محمد . وأفلت منها بجمع مشرد . وأسر مؤيد الملك وقتله بركيارق بيده تشفيا منه بقتله . لما سبق اليه من سيئات فعله . وانتزع السلطان محمد الى جرجان واتصل الخبر باخيه سنجر فانغم له واهتم . وساء مآتم . وأنفذ اليه مالا كثيراً من نيسابور . ثم سار لالقياد ولقيه بجرجان وصحبه الى بغداد .

وجعلوا دار الخلافة المعاد والمعاد . وجلس الامام المستظهر لهما . وأفيضت الخلع عليهما . وعقد الخليفة لهما الالواء بيده . واستقام كلاهما من الملك على جده . ورحل سنجر على سمت خراسان عائداً . وتأهب محمد لقتال بركيارق عامداً . وتصافا بقرب رودراور ثم افترقا من غير قتال . واتفقا بعد ذلك على صلاح وإصلاح حال . ثم انفسخ بينهما عقد السلم . وجرى كلاهما من قصد أخيه على الرسم . ووقعت بينهما بالرى وقعة أخرى . واتصلت بين المسكرين رسل المنايا تترى . وحوصر السلطان محمد باصفهان فراسله الملك مودود بن اسمعيل ابن ياقوتى بن ميكائيل يعمد بالاتصال به . واسعافه في تصرفه بمطالبه . فخرج السلطان محمد من الحصار ومضى صوب أراية واخترم مودود قبل اجتماعه به . وقوى محمد بمسكده . فسار بركيارق لحربه والتميا على باب خووى فى جمادى الآخرة سنة ٤٩٦ . وانهمزم محمد الى بلد آنى . ثم توسط بين الاخوين الاقاصى والاداني . وقسم الملك بينهما قسمين واستقر ان يكون للسلطان محمد ماوراء النهر الابيض المعروف باسفندروذ مع الموصل والشام . وعاد الملك بهذه القسمة الى النظام . وخطب لبركيارق ببغداد واصفهان وجميع العراق . وسائر الاقطار والآفاق . فلما سكن الى قدرته حركة القدر . ودنا من ورد عمره الصدر . وتوفى ببدر وجرذ فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨ :



✽ عود الى حديث سنجر ✽

قال واستمر أمره بخراسان وقويت سلطنته . وتسلطت قوته . فتقدر
قدر خان صاحب ماوراء النهر . انه ان عبر الى بلاد خراسان ملكها بيد
القيصر . وطمع في سنجر اصغر سنه . ودار تسويل هذا السؤال في ظنه .
وكان الامير كندكز يكاظه . وعلى التأخر يعاتبه . فعبث النهر في مائة الف
يضيقون القضاء الواسع . ويحققون القضاء الواقع . وهو اقصد سنجر مصمم
واللقائه مقدر . فانفق ان قدر خان خرج عن عسكره متجرداً . وبخواصه
متفرداً . وبعد عن مخيمه في ثلثمائة فارس متصيدين . فعرف سنجر الفرصة فيه
فأدركها وانتزها . واعتد انفراد غنيمة فملكها واحرزها . وأنقض اليه
يرغش اسفهمسار عسكره في عدة منخبة فتصيده من منصيده . ووقع
في يده وقد سقط في يده . وسهل على سنجر من أمره ما عده عسيراً .
وحمل قدر خان وأحضر بين يديه أسيراً . ثم ضرب عنقه وتفرق
جمعه . وانطفأ شمعهم . وعاد الساطان سنجر الى مقرر . وطلع فيلقه
بفلقه . وذلك في حياة أخيه بركيارق قبيل أيام وفاته . وساعده السعد
من جميع جهاته

ثم استمرت سعادته وسعدت أموره . وأثارت مطالعته وطلع نوره .
وقصده بهرام شاه من أولاد الساطان محمود بن سبكتكين اليه لاجياً .
ولانجاده راجياً . واشقيقته المستقر على سرير ملك غزنة مشاققاً مداجياً .
فرعى وفادته . ورأى افادته . وآثر ايثاره في اجارته واجابته . واختار اختباره

في اغاثته واعالته . فجعل غزنة مغزاه وبلغ الخبر الي الساطان محمد فلم يحمله
وكتب اليه ان « هذا بيت كبير فلا تقصده » فرد نصيح الاخ . واستعد
لاصراخ المستصرخ . وذلك في سنة ٥١٠ هـ وخرج صاحب غزنة وجر ذيو له .
وأجري سيوله . وصف خيوله . وزف فيوله . وجاء سنجر والجر على
رأسه خافق . والنصر ليمينه مصافق . وكان لصاحب غزنة خمسون فيلا قد
صفها بين يدي صفوفه . وألقها قدام لوفه . وعليها الكمامة الحماة . وذووالحمة
الرماة . وكادت تصح على سنجر الكسرة فان الخيول نفرت من النيول .
حين أقيمت كالسيول . فترجل الامير أبو الفضل صاحب سجستان . وهورفي
الاقدام . ودخل بين قوائم الفيل الاعظم فشق بخنجره بطنه فصاح الفيل
وولى ظهره . واتبعت الفيلة اثره . فانهزم العسكر الغزنوي . وانتصر الحرب
السنجري . واحتوي على أموال غزنة وخزائنها . وحصل على ظواهرها
وبواطنها . وكان ملك آل محمود من اول عهد بكر الميفتض . وختا لميفتض
حتى اتى سنجر وكسر سكره . وهتك ستره

فلما استصفى أموال غزنة وفرغ خزائنها المملوءة . ونفص كنوزها
المحشوة . نصب بهرام شاد على سريرها وأمره . وقد خربها بتعميرها وشغل
ذمته بما يؤديه اليه كل سنة من قرار . وهو مائتان وخمسون الف دينار .
وكتب الى أخيه الساطان محمد ببشرى الفتح . ويسرى النجح . فوجه لذلك
وكان في مرضه الذي شغله . وسقمه الذي نهكه وانحله . وتوفى بعد ذلك
بسنة وقوى سنجر . واجتمع عليه العسكر . وقصد بعد ذلك بسنتين سمرقند .
واجنى جناها الجند . وذلك بعد تطويل حصره . وتضييق عصره . وكان صاحبها
احمد خان . الكبير الشأن . الاثير الساطان . وهو الذي كان له اثني عشر الف

مماوك تركي وكان لا يترك غزواته ولا يتوغل في بلادهم . مسيرة شهرين . ويأتي
خافر اليد قرير العين . ثم أصابته علة الفالج . وأعي طبه على المعالج . وبقي
سنجر ستة أشهر يحاصره . ويضايقه ويصايرده . الى أن أخرج اليه احمد خان .
في محفة يحملها الغلمان . فاجلس بين يديه ساعة . وهو لا يجد للكلام استطاعة .
ولما به سائل . وشدقه مائل . ثم حمل الى دار الحرم للقرباة التي بينه وبين
تركان خاتون زوجة سنجر . وولى نصر خان مكانه . وأحيى به سلطانه

ثم غدر صاحب غزنة الملك بهر شاه بهمد سنجر ونكل عن ضمانه .
فعمزم على التوجه الى غزنة ثانيا . ولأعنة جيوشه وجنوده اليها ثانيا . ونهض
اليها ولما بلغ الى بست عسر عليه الوصول . وحالت الحول . وتمذرت
الاعوافات . وكان التبن اعز من التبر . والشدة جاوزت حد الصبر . فما اكثرت
بذلك وتهور وأقدم فبهر بهر امشاد رعبة . وابعدته الى لهاوور قربة . ووصل
سنجر الى غزنة مغيرا . وللكأس الدوائر عليها مديرا . وسلبت أموال وأرماق
ونهب محال واسواق . ولما انحسر الشتاء ورتب أمور غزنة عاد الى خراسان ولما توفي
اخوه السلطان محمد بالعراق في سنة ٥١١ هـ وتولى ابنه محمود السلطنة وحدثت تلك
الحوادث احتاج سنجر الى الامام بالعراق فجرت الواقعة التي قدمنا ذكرها .
واوضحنا عرفها ونكرها . وما عاد سنجر الا وقد خطب له بالعراقيين وبالشام
والموصل وديار بكر وديار ربيعة والحرمين . وضربت الدنانير باسمه في
الخافقين . ويلقب بالسلطان الاعظم معز الدنيا والدين . وولى ابن اخيه محمود بن
محمد عهده بالعراق ونعمته بمغيث الدنيا والدين . وقد ذكر وصول سنجر الى
العراق في أيام محمود نوبتين . وفي عهد طغرل وفي عهد مسعود دفعتين .
لكنه في زمان مسعود لم يتجاوز الري

﴿ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان ﴾

— — — — —

قال رحمه الله : كان من كتابه المخصوصين به في صغره العبد أبو الفتح ابن أبي الليث وصل معه الى بغداد في ثامن شوال سنة ٤٨٩ ومع سنجر آتاكه كج كلاًه وذلك في عهد أخيه بركيارق وابتداء خلافة الامام المستظهر واستوزر عند مضيئه الى خراسان نخر الملك المظفر بن نظام الملك وكان مبر المبرة . سري الاسرة . منصور الصلبة . مصحوب النصره . ورزق التأييد والتمكين . ومشى الامور عشر سنين . وقتل يوم عاشوراء من سنة ٥٠٠ واستوزر بعده ولده صدر الدين محمد بن نخر الملك فلكي المهيم . وشفي الملم . ونظم المنشور . وضم المنشور . وقتل بلخ غداة الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٥١١

— — — — —

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قال : كان لسلطان سنجر مملوك يقال له قايماز قد استحسنه واستخفه واشتهر بحبه واستخاضه . وقد أصبح به حباً . وشغفه حباً . وتسحب على السلطان بدلاله وادلاله . وما صار يباي اعماله باشتغال باله به بشغل باله . وكان هذا المملوك يعرف بكج كلاًه . اى مائل القلنسوة . وكان الوزير ابدأ ينهاه . ويرده الى نهاه . وقال له يوما « ان عقلات والا دبرت في تسويتك وقومت ميل قلنسياتك » فقال له غير مكترث بوعيده . وقابل تهديده

بتهديده «اما ان تسوى قلنسوتى واما ان أسوى عمامتك» فاتفق ان السلطان كان فى ضيافة الوزير واصطبح واغتبق عنده ثلث ايام . فلما كان فى اليوم الثالث والسلطان فى سورة راحه . وسكر اصطباحه . وقد ذهب ذهنه . وضعت قوة تمييزه . وعينه فى عين المملوك ويده فى يده وقد ملكه بغزته وتعميزه . فغافله ونزع خاتمه . وسأره امره وكاتمه . وقام ومضى وهو حاقط والوزير فى حجرته راقط . وقال « استأذنوا لى عليه فقد جئت من عند السلطان بهم اليه » ولج حتى ولج . وكل من كان حاضر ابدخوله خرج . فلما استخلى المجلس . واصنى الوزير له واستأنس . حز رأسه وعاتمه من يده ودخل على السلطان ووضع بين يديه فصحا سنجر وها له ماجرى من اجترائه واجتراحه . وأخافه ماتم من اقتحامه واتقاه . واستدعى الامير قاجا . وهو أوضح اصحابه فى الرأس منهاجا . وقال له سرا « انظر الى ما صنع هذا المؤجر بوزيرى . وقد نغص على سرورى وسريرى . فاخرجه من عندى على وجهه سحبا . وقطعه اربا اربا » فقال له « هذا امر فظيع . وصنع شنيع . وحفظ الناموس يوجب ان لا يعرف احد من رعية بلدانك . ان مثل هذا الامر يتم فى سلطانك . بغير استئذناك . فاظهر انه جرى باذنك . وصن جاهك واحذر من وهنك . واركب الآن الى دارك . وارجع الى قرارك » فقبل النصيحة وكنم الفضيحة . ثم أمر بعد مدة بقتل ذلك المملوك اسوأ قتلة . ومثل به أقبح مثله

واستوزر بعده ابن أخى نظام الملك وهو شهاب الاسلام . عبد الدوام . ابن الفقيه عبدالله بن على بن اسحاق وكان ذا فضل وافضال . وقبول واقبال . وبأس ونوال . متبحرا فى علم الشرع . متكلم فى الاصل والفرع . وصارت

للفقهاء في زمانه سوق . وظهرت بهم حقائق وحقوق . ولم يزل مقصدا
للفضلاء ومفضلا على التصاد . سديد الامر آمرا بالسداد . وتخلي الملك
بحاله . وتجلي بسنائه . الى ان توفي بسرّخس يوم الخميس السابع عشر من
المحرم سنة ٥١٥

وتولى الوزارة بعده أبو طاهر سعد بن علي ابن عيسى القمي وكان
وجيه القدر . نبه الذكر . وكانت وفاته يوم الاربعاء الخامس والعشرين من
المحرم سنة ٥١٦

وتقلد الوزارة بعده الكاشغري وصرف عنها في صفر سنة ٥١٨ وتقلد
الوزارة بعده معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود
وقد تقدم ذكر فضله . وشكر نبه . ولقد كان أعجب الاجواد . وأجود
الامجاد . وهو الذي حسب أيام عمره . ورد كل مظلمة جرت علي ذكره .
واستدعاه السلطان سنجر لافتقار ملكه اليه وعول في وزارته عليه . وفكت
به الباطنية يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر سنة ٥٢١

وقلد الوزارة بعده نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي
وكان أوزر الفضلاء . وأفضل الوزراء . ولم يزل للافاضل جاماً . وللاراذل
قاهماً . وقصده أهل الفضل . وآوأم بالاحسان الوافر الى وارف الظل .
وخدمه العلماء بتصنيفاتهم . وخصوه بمضافاتهم . وصنف له عمر بن سهلان
كتاب البصائر النصرية . وهو الكتاب الذي لم يصنف مثله في فنه . ولم
يسبق الى احسانه فيه وحسنه . قال : وأنشدني باصفهان شيخنا جمال الدين
عبد الرحيم بن الاخوة الشيباني البغدادي من مدائحه فيه عند سفره الى
خراسان . واجتدائه منه الاحسان . قوله . من قصيدة مدحه بها بنيسابور

ليلة عيد الفطر سنة ٥٢٥

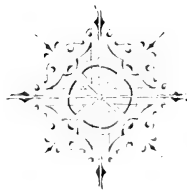
خَلَّ الظُّلَامَ لَا يَدِي الضُّمَرِ الْقَوْدِ
الْأَيْلِ وَالنَّاجِيَاتِ الضُّمَرُ أَخْلَقَ بِي
وَمِنْهَا

وَلَقَوَاضٍ مَنِّي هَبَّةٌ وَسَمَتْ
قَرَعُ الظُّبَى بِالظُّبَى أَشْهَى لِسَامِعَتِي
وَالْأَعْجَبَانِ وَأَحْوَالُ الْوَرَى عَجِبُ
وَمُنْتَشِينَ عَلَى الْأَكْوَارِ رَنَحُهُمْ
إِذَا اطْمَأَنَّتْ بِهِمْ أَرْضٌ تَبَّتْ بِهِمْ
شَاوُوا بِرُوقِ الْغَنِيِّ وَأَشْنَفَ أَنْسَبُهُمْ
حَتَّى أَطْبَأَهُمْ وَقَدْ كَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ

لَيْنَ السَّجَايَا وَفِي أَثْنَاءِهَا شَرَسَ
وَالْمَرْءَ وَالسَّيْفَ مَا لَمْ يَبْدِأْ أَثَرًا
فَذَاكَ وَالْأَفْقَ مَغْبَرُ هَيَادٍ بِهِ
كَمَا يَرَانُكَ وَالْمُهَيَّجَاءَ كَالْحَلَّةِ
إِذَا عَنَى صَهْوَةَ الْقُرْطَاسِ ضَاكِمَةً آثَارُكَ الْبَيْضَ فِي آثَارِهِ السُّودِ
فَدُمَ بِمَا يَكْمُدُ الْأَعْدَاءُ مَغْتَبِطًا
يَفْضِي بِكَ السَّعْدُ مِنْ عِيدٍ إِلَى عِيدٍ

قال: وصرف عن الوزارة في سنة ٥٢٦ عند وصول سنجر إلى العراق
بعد وفاة ابن أخيه السلطان محمود بن محمد وترتيب السلطنة لأخيه طغرل بن
محمد مكانه. وكان القوام أبو القاسم الدرگزني مستوليًا على الدولة وسأل

السلطان سنجر أن تكون وزارته باسمه . وتجري رسومها برسمه . ويكون هو بالمرأق لشغل طغرل مدبراً . وعلى توفر ماله وجامه متوفراً . ويستنيب في الحضرة السنجرية من يكفل بامورها ويكفي . ويكلف بمصالحها ويشفي . فاجيب سؤاله وأصاب سؤاله . وعزل العالم وولي جهوله . وصرف ذلك الفاضل بهذا الناقص . وراج المغشوش بكساد الخالص . وتقلد نيابة الوزارة عن الدرگزني ظهير الدين عبد العزيز الحامدي . وكان عبد العزيز هذا يسكن اليه سنجر لاماته وديانته . وهو الممول عليه في خزائنه . وهو يناظر الوزراء في قرب مكانه ومكانته . وانما فوض اليه الدرگزني نيابته لانه علم ان الامر بغيره لا يتمشى . وان ثوب الملك بدون طرازه لا يتوشى . ولما صلب الدرگزني وضربت رقبتة بالعراق . تقلد الوزارة السنجرية ناصر الدين طاهر بن نخر الملك بن نظام الملك في جمادى الاولى سنة ٥٢٨ . واستمرت وزارته الى آخر العهد . وكان في تقويم مائاود واصلاح ما فسد باذلا للجهد . وتوفي بعد مجيء الغز في ذي الحجة سنة ٥٤٨



— ذكر جماعة من خواص سنجر وممالكهم احبهم ثم سلام —

ووضعهم بعد ان اعلام

.....

قال رحمه الله : كان من عادة سنجر ان يشتري غلاما اختاره ثم يعمشه ويشهر بحبه . ويسمى بقربه . ويذل له ماله وروحه . ويجعل معه غبوقه وصبوحة . ويملكه حكمه . ويوليه سلطانه . فاذا نسخ الليل نهاره . وسيج البنفسج جلناره . سلامه وقلاه . وتخلي عنه وخلاه . وانتهى في مقتله الى ان لا يرضى بهجره بعد وصله . ورأى الراحة منه في قتله . ومن جملة أولئك مملوك كان اصير في اسمه سنقر . فعمشه سنجر قبل رؤيته فاشتراه بالف ومائتي دينار ركنية . بعد تشريف المالكه وعطية سنية . وحكي عن ظهير الدين عبد العزيز خازنه انه قال استدعاني سنجر يوما وقال اني امرك بما هو اوفق خدمتك . واوثق لخدمتك . فانض فيه بثباتك . وأت فيه الممكن يوانك . فأجبت بالسمع والطاعة . وبذل الوسع والاستطاعة . فقال « هذا مملوكي سنقر الخاص قرة عيني وثمره فؤادي . وريحانة روحي ونتيجة مرادي . وهذه خزائتي تحت ختمك . ومالي بحكمك . وحول غزنة وخوارزم قد وصات فاقبضها . وبذل الممالك قد عرضت فاستعرضها . وهذه خدمتي التي امرك بها في حقها لا ترفضها وافترضها . ولا تستأذني في شيء ولا تستأمر . وقدم هذا المهم واستخر الله فيه ولا تستأخر . اريد ان تضرب له سراق كسرا دقي . وتجري له سوابق كسوابقي . وتشتري له ألف مملوك

يتشون في ركابه . ويمشون الى جنبه . وتحل اقطاع من رأيت حل اقطاعه
وتعتمده عليه . وتأخذ بلد من شئت وتفوضه اليه . وتجعل له خزنة كخزائني
بالمال مملوءة . وباجناس الصياغات الذهبية والنضية مجلوة . وتجعل له ديوانا
مجملا بامثال الكتاب . وافاضل النواب . بحيث يكون بعد اسبوعين
صاحب عشرة آلاف فارس . قال فاستمهلته ثلاثة أشهر فما أهمل . وأمر
بترك الريث واستمجل . فما زلت به حتى فسح لي في مهلة شهر ونصف
وشرعت في الامر وأنفقت على ما قدره في عشرين يوما سبعمائة الف دينار
ركنية . وذلك سوى ما نقلته اليه من الخزنة من الآلات الخسروية . والسياب
المعدنية . وذلك سوى الاقطاعات . والولايات . والتقريرات . ثم أخبرته ولم
يمض الشهر بانه قد استمر الامر فركب السلطان سنجر فرأى العساكر صفوفا .
والخيل صفونا . حول سرادق سنقر الخاص فرأى رواء ظاهر . وهباء باهرا .
قال : فماتقني وشكرني . ونوّه بي وذكرني . وفوض الي امر خزانته .
وأمرني بتحصيل مطالبه . ووصى كلا منا بصاحبه . قال : فلم يمض سنتان حتى
اشتعلت نار خده في الدخان فشنف . وأنف . وعاف وعزف . وسنقر يزيد
في التسحب عليه والتبسط . ويستديم مع عادة التسلي عنه عادية التسلط .
وزاد في غيظ الامراء . واستحقار العطاء . واستصغار الكبراء . وهو
لا يبالي بسنجر اذا توعدده . ولا يلتفت اليه اذا تهدهده . فاستدعى السلطان
يوما جميع أمرائه الي حجرة مفردة . مفردين . ومن جميع أصحابهم سوى
سلاحى واحد مجردين . وقال لهم واذا دخل سنقر الخاص اليكم ضعوا فيه
بأجلكم السكاكين فبادروا الي ماأمروا به وامتلوا . ووثبوا اليه ومثلوا . وعاد
ذاك الضيا : ديجورا . وذلك الهباء هباء . منشورا

قال : و منهم قائماز كج كلاله قاتل وزيره . و قد آل تعظيمه الى تصغيره .
 و من جملة من حباه بحبه . و اختصه بقربه . الامير المقرب الاجل اختيار الدين
 جوهر التاجي و كان مملوك أمه . و من خواص خدمه . و كانت توفيت أم سنجر
 في شوال سنة ٥١٧ هـ فانتقل هذا الخادم الى خدمة سريره . ثم غاب حبه على
 ضميره . فغاب بذلك على تديره . و رقاد الى ذروة لم يتسنه . و لم يتسنه .
 و أسماه الى رتبة لم تر فيها عين مثله . و بلغ عسكره ثلاثين ألفاً ثم مل السلطان
 طول مدته . و دبر في أخلاق جدته . و ضاق مجال احتياله . ففسد الباطنية
 لاغتياله . و نفي الى جوهر تعرض جوهره لان يصير عرضاً . و علم ان غرض
 السلطان ان يصير اسمهم الخلف غرضاً . فاختفى التي عاهها . و أسرها في نفسه
 و كتبها . فقال السلطان له يوما (يا جوهر اني أخشى عليك هؤلاء الملاحين
 فتحرز منهم و تحفظ . و تحزم لامرك و تيقظ) فقال له (لو أمنتني من
 نفسك ما خفت أحداً . و ما أردت في دفع غائلة القوم مسداً) فاحتمل
 السلطان قتاله . و رأى احتماله . و ركب جوهر ضحوة من داره . و خرج
 خروج القمر من سراره . و في ركابه الف سيف مسلول . فلما نزل في
 دهليز دار السلطان و كلمته حوالية . و حماه من ورائه و بين يديه . فنفذ
 اليه نفر من الباطنية . و ضربوه بالسكاكين و أزاروه قادم المنية . و لما
 ارتفع الصباح قال سنجر وهو في دار حره (هذا جوهر قد قتل) فعلم ان
 ذلك باذنه عمل

قال : و كان عاقلا متأبياً . أريباً متهدياً . و من نكته المستحسنة ان السلطان
 كان امره ببناء قبة عالية في مروي يكون فيها ضريحه . و ينضد عليها صفيحه .
 فوصل الى مروي و رأها غير منروغ منها فقتل (يا جوهر متى تتم هذه القبة)

فقال (لا أتبعها الله) فابكى الجماعة بما ذكره . واطف . موقع قوله عند
السلطان وعذره

﴿ ذكر علو همة السلطان سنجر وكرهه ﴾

من واسهام أصحابه وأمرائه من نعمه

قال : كان حليما حيا . مليا . بالعرف وفيما . كبير النفس اريخيا . مسديا
للاهور . مسديا للمعروف . مفرقا بالاقلام ما جمعه بالسبوف . ذكر عنه
انه اصطبج خمسة أيام متواليات ذهب بها في الجود كل . مذهب . وأتى على
معظم ما في الخزائن من عرض وذهب . فبلغ ما أعطاه من العين سبعمائة الف
نقد دينار أحر . وجاء ما وهبه من الخيل والخلع أكثر . وعوتب على اسرافه
فقال « ما رأيتموني افتتح أقلما يشتمل على اضعاف ما وهبته من المال . واهبه
بكلمة واحدة لمن أراه قبل السؤال . فهذا بالاضافة الى ذلك الكثير قليل .
وما للملاء التي في نهج هذه السيل سبيل . »

ذكر عن ظهير الدين عبد العزيز صاحب خزانته انه قال أحببت أن
يشاهد السلطان سنجر ما شتمت عليه خزانته . انظر كفاية متواليها وأمانته .
فقلت له أخدمك بالف ثوب أطلس حتى تبصره . وتستعرض صامته وناطقه
فسكت وظننت انه رضى بما ذكرته . فجئت الى الخزانة وأبرزت ما فيها واطهرته .
وكان فيها ما لم يجتمع قط في خزانة سلطان قبله من طرائف يزد وجودها .
وجواهر تجل عمودها . وصرر اكياس قد ملأت الفضة نقودها . واعلاق

لا يعرف لها قيمة . وصناديق لآلئ كلها يتيمة . فلما انفضته وأبرزته .
وانفقت كل جنس ونوعته وميزته . جئت وقلت له « اما تبصر مالك . وتشاهد
حالك . وتشكر الله الذي خصك به وانالك » فقال « يقبح بمثلي ان يقال عنه
انه مال الى المال . او نظر اليه او اخطره بالبال ففرق ما جعلته لي من الثياب
الطلس على الامراء . واعرض عليهم ما في الخزانة من تلك الاشياء . وقل
لهم يقول لكم سنجر قد ادخرت هذا لكم . وجمته لافرقه في قمع عدوكم
وجمع شملكم » قال : ففعلت ذلك فقرحوا واشتبشروا . وحمدوا وشكروا .
وكان سنجر لا يدخل خزائنه ولا يعيرها نظره . ولا يوجد بخاظره منها خطرة .
وكان اكبره يحسن الظن بزواجه . ويسلم حكم القلم الى كتابه . مفضلا على
اصحابه . ويقول « ان الدنيا فانية فندعهم يرتعون معنا . ويسمعهم من النعم ما
وسعنا » وكانت جواهره في طبول مختومة بختمه . مخفوفة باسمه . فاذا اراد
منها شيئا استحضرها . وفرض خواتيم اقتفالحا وأخذ منها . ثم أعادها بختمها الى
حالكها .

— — — — —

ذكر سبب اختلال ملكه واختلال سلسله

— — — — —

قال : لما امتدت مدة حياته وأمدت بالطول مادة عمره . تسلط
الامراء على سلطان أمره . وتسحبوا على قدره . وحقر الصغير حق الكبير .
وتأخر الكبير لتقديم الصغير . واستخف الوقور ووقر الخفيف . وصرف
القوى وصرف الضعيف . ووقع التجاهد بينهم والتحاقد . وارتفع واختل

التساعد والتماقد . وكان أكابر الدولة في ذلك العهد سنقر العزيزي ويرنقش هريوه وقزل واضرابهم وأقدم منهم قاج وعلى الجتري وقد اختلفت آراؤهم وآراهم وركب كل منهم امرأته . وعضل الاضرر باضراره . فأول خطأ أصاب سنجر كسر الكافر الخطائي له وامسكته . ورد صفوه ملكه الى كدره

ذكر السبب في ذلك وانكسار سنجر في حربه مع الخطائية

قال : كانت خيول قراق في نواحي سمرقند وقد وفرت اموالهم وانتشرت مواشيهم . وانتشئت غواشيهم وحواشيهم . وخيفت مضرتهم . وخشيت ممرتهم . فأشار الامراء على السلطان سنجر بأن يتوجه لدفعهم . ويتنبه لردعهم . والقوم مستمرون على الصلاح لو خلوا . مستقرون . الفلاح على ما اليه دلوا . فمضوا اليهم وضائقوهم في مراعيهم . وقايضوهم عن محاسنهم بمساويهم . وأسرفوا في سرقة نساءهم وذرائعهم . فأنفذوا الى السلطان سنجر وبذلوا له الخدمة بخمسة آلاف رجل وخمسة آلاف فرس وخمسين ألف رأس غنم . ليمسكوا منه باقوى ذمم . وأوفى عصم . وإياهم نو على أهاليهم ونساءهم وذرائعهم . فلما لم يقبل خدمتهم . ولم تحصل عصمتهم . حملتهم الحمية على الاحتماء بالتحمل . وآل بكبارهم الترحم والحنو على صغارهم الى الترحل . ودخلوا الى بلاد الترك قاصدين حضرة اوزخان صاحب خطا وختن ونعما . ولم يكن في الكنفار الخطائية أوسع منه . ملكا . وأنظم سلكا . وأوفر عددا . وأكثر عددا . وكان أمره

ينفذ الى حدود الصين فلما واصلت القراقية اليهم اقبلتهم . وشوقتهم الى الممالك
 وشوقتهم . وأطعمت الكفر في الايمان . واستصرخت على أهل المدل باهل
 المدوان . وقالوا له « ان الممالك بخراسان وما وراء النهر مشمرة . وان السمادة
 من سلاطينها متمرة . وان سنجر قد تخالف عسكره . وكسف معروفه منكره »
 فوسع الخطائي خطي وسعه . ودبت عقارب كتابه للسب الدين واسعه .
 وأقبل في سبعمائة الف مقاتل ووصل في قطع من ايل الكفر المعتكر . ووقع
 من سيل البؤس المنحدر . والسلطان سنجر في سبعين الف فارس . لكن التوفيق
 عليه ساخط . والتأييد من حربه ساقط . فشبه المشركون وحملوا بكراديسهم .
 واستشهد المسلمون وحملوا الى فراديسهم . وبقي سنجر في عدد قليل . ومدد
 كليل . فقال له الامير ابو الفضل صاحب سجستان « قد أهدقت بنا العساكر
 ودارت علينا الدوائر . فأنج بنفسك لاقف مكانك تحت الجتر » فوقف ووقع
 في الاسر . واسرت خاتون زوجة السلطان وبقيت في الاسر . الى أن فديت
 بخمسمائة الف دينار .

واسر الامير قماج وبلى بكل عسف . وافي كل عنف . حتى فدي بمائة
 الف دينار واما الامير ابو الفضل فانه علم الكافر استيلاء اولاده على بلاده .
 والاحتواء على طرفه وتلاذه فحقق اقتراحه . واطلق سراحه . وقال « مثل هذا
 البطل الهمام . والشجاع المقدم . يجب الابقاء عليه . والاحسان اليه » وهذه الواقعة
 كانت في سنة ٥٣٢

قال : واستولى هذا الخطائي على بلاد ما وراء النهر . وحصل المسلمون معه
 تحت القهر . واستشهد على يده الامام حسام الدين بن البرهان بن مازة رضى
 الله عنه ببخارا . واقد كان في علم الشرع لا يبارى ولا يجارى . وهلك اوزخان

وتوات اخته بعده . وتولى تخته ونحته . واستمرت مملكة الخطائية في ما وراء
النهر . الى هذا العصر . والولاة مسلمون . من قبل ولاية الكفر . قال الفتح بن
علي بن محمد البنداري الاصفهاني مختصر الكتاب : وتمادت مدتهم في تلك
البلاد . واستيلاءهم بها على العباد . الى أن قبض الله تعالي استئصالهم على يد
السلطان السعيد علاء الدنيا والدين محمد خوارزم شاه بن السلطان تكش بن
ايل ارسلان بن التمز بن محمد فانه جرد عزيمته اقطع شافقتهم وقلع ارومتهم
واعنتى بشن الغارات عليهم . وتولى الركضات اليهم . حتى اخرجهم من بلاد
ما وراء النهر . وصب عليهم سياط القسر والقهر . ثم توغل ديارهم . وجاس بلادهم
حتى قلعهم اجمعين . ولم يبق من الخطائية نافخ ضربة في الارضين . وذلك بعد
سنة ٦٠٠

ثم اخذ في قهر جنس آخر من كفار الترك وهم التتارية وممالكهم تنتهي
الى آخر بلاد الصين . فلم يزل عليهم ظافر الجند . منصور الجدد . متوغلا مسيرة
خمسة اشهر من خوارزم الى بلادهم . باس طاييد السي والنهب في ذرايرهم
ونسائهم . وطرافهم وتلادهم . الى ان اجتمعوا واحتشدوا وخرجوا فاحجم عنهم
السلطان فأخذوا بجميع بلاد ما وراء النهر . ثم دخلوا الى بلاد خراسان فخرّبوا
ارباعها . وأخذوا قلاعها وسبوا نساءها . وقتلوا رجالها . واتهبوا ذخائرها واهلها .
وانحاز السلطان عنهم الى بلاد الجبل فتبعوا اثره الى حدود اصفهان . واخذوا
الري وقزوين وهمدان . وقتلوا جميع من كان في هذه البلاد . وما تاخها من
الانوار والانجاد . وكان ابتداء دخولهم الى بلاد خراسان في اوائل سنة ٦١٧ .
وجرى منهم على المسلمين من القتل والاسر والقهر ما لم يعهد مثله ولم يرد ذكره
ابد الدهر . وطالت مدتهم في بلاد الاسلام واقاموا فيها على وتيرة واحدة

لا يفيقون من سفك الدماء وشن الغارات ثلاث سنين الى ان خرجوا من طريق
 آذربيجان مخربين للبلاد . سافسكين دماء اليباد . وتوغلوا منها الى بلاد اللان .
 ومنها الى ارض قنجاك ثم عادوا من تلك الطريق الى بلادهم . والله تعالى يكفي
 المسلمين شر معادهم . ولا يمكن استيفاء شرح معرتهم . وذكر ما جرى
 على الاسلام من مضرته . الا في مجلدات طوال لكننا الممنا بذكرها
 ههنا على اجمال . والحمد لله على كل حال .
 عاد الحديث

.....

(ذكر انماش سنجر بعد ان عثر وانتقشه وانجباره)

بعد ان شيك وانكسر

...

قال : وكان عند اتجاه سنجر لجهاد الكافر وقتاله . انتهز خوارزمشاه
 آتيز بن محمد بن نوشتكين فرصة اشتغاله . فر الى مرو ودخلها عنوة وقتل
 وجوه أهلها . وحرق بالخور مجاوري حزنها وسهاها . وجلس على سرير سنجر
 ومد الطغراء ووقع ونهى وأمر ونقل من الحزاة السنجرية صناديق جواهره
 ولما عاد السلطان عن وجهته عرف خوارزمشاه ان القدر غير مظهره فرجع
 الى خوارزم . واستولب ذلك العزم . ووصل سنجر الى دار ملسكه فاستجد
 الجد وجمع الجنود ونهد الى خوارزم ووصل الى قلعة هزارسف فحصرها .
 ورمى بالحجر حجرها . وكان له خندق عريض عميق فجعله همه . وكان الماء
 قد طام به فطمه . وقسم السور على أمراءه فحسروا اثمه . وحققوا انشاده .

وفتحت القلعة عنوة . وأضحت لما يرام فتحة من القلاع أسوة . وذلك بعد
 ان قتل عليا وفيها ألوف . وجدعت أنوف . وتصرفت نوب ونابت صروف
 ثم وقع الصالح . واسفر بعد تلك الظلمة الصبح . ورد خوارزمشاه على سنجر
 صناديق جواهره التي أخذها من الخزانة بمر و بختها . وحقق سلامة نفسه
 بحق سلمها . وركب ووقف باز . سنجر من شرقي جيحون . وقد سير
 في البر والبحر عسكره المجرور وفلكه المشحون . ونزل بحيث يرى وقبيل
 الارض . وتقبل الغرض . وعاد سنجر الى خراسان وهو عنه راض
 والقدر بنصره قاض . ولم يزل أمره يمشي . ويرد ملكه بالحسن يتوشى .
 الى أن أراد الله شت الشمال . وبت الجبال . فسلب الغز . وساط
 الغز . وتحملت عقود الدولة . وتفعلت حدود الصولة . وانقضى الدهر .
 وقضى الامر

— — — — —

— ذكر نوبة الغز وذلك في سنة ٥٢٨ هـ —

— — — — —

قال رحمه الله : الغز من التركان طائفة . للضيم عاتفة . وكانت في اهتمام
 الامير قاج . وهي تحمل اليه ما عليها من الخراج . وأميرها قرقود وطوطي
 بك يخدمان الحضرة . ويحضران الخدمة . وما زالت شوافعهم . مقبولة .
 وذرائعهم . موصولة . حتى تجنى عليهم الامير قاج ذنباً تنسلوا منه فلم يقبل .
 وتحياوا في تحايل عند سخطه فلم يتحلل . وأرضوه بكل طريق . طريف فلم
 (٣٣ - آل ساجوق)

يرض وضيق عليهم . من واسع البسيطة الطول والمرض . واضطربه الى
 مضرتة . ودفعهم الى الشر لدفع معرتة . فلو حشود وناوشود . وهارشود
 وهارشود . ولم يتركوا في جلالده جلدًا . وفتلوا له في تلك الواقعة ولداً .
 فازدادت ضراوته . وثار ثاره . والتهب ناره . وأبرق وأرعد . وأرغى وأزبد
 وغض غضبه من حلمه . وسد جهله سبيل علمه . وحضر صاحب القوم في
 اصلاحه . واتهموا في البذل الى غاية قتراحه . وبذلوا له احضار قتلة ولده .
 وايقاعهم في يده . فابى لاقتابهم وقتالهم . وقامهم واستعصاهم . وماج قاج
 في بحره الزاخر . وصرف الى قصد اعنة العساكر . فركبو اليه
 وأكربوه . والتهبوا به وألهبوه . وهزمود وهشمود . جاء الى سنجر وهو
 قلق حنق . وكأنه بالغليظ مختنق . وقال له « قد اختل الملك . وانحل
 السلك . فان قدمت عنهم اقاموك . وان لم ترمهم ولم ترمهم راءوك وراءوك .
 فانهض اليهم بجنودك . ورد نحوهم بسعودك » فلم ير أحد من أولئك
 الامراء اشارة أحد لذلك الامر . وما شاوروا بالشر . وقالوا السنجر « ان
 هذا قاجا قد شاخ . وباخ . وخشى وخاب . وأخطأ الصواب . فان انجدته
 خذلت . وان هويت هواده لذت وعدات » فأنف قاج وشنف وعنف
 ولم يزل بسنجر حتى صغى صغود . ونحنا نحود . وأمر أمراءه بالتأهب . وأضرى
 ضربه بالتأهب . وسار في جمع كالحضم زاخر . وسواد كليل المحب بلا آخر .
 فلما عرف الغزاهم غزوا . والى الشر غزوا . وصلوا وتوصلوا . وقالوا نخدم
 السلطان بخمسين الف رأس . من جمال وأفراس . وبمائى الف دينار ركنية .
 وبمائى الف رأس غنم تركية . ونحضر قتلة ولد قاج . ونلتزم كل سنة
 بخرج وغراج . وخشموا ولانوا . وخضموا واستكانوا . فأغلق سنجر باب

القبول في وجوه هؤلاء الوجود . وأني ان يعاملهم بغير المكره . فتوهلوا
وتوجلوا . وتعلموا واستقتلوا . ولجأوا الى أرض لايسلك اليها الا في واد
لايسع عرضه أكثر من مائة فارس وأعدوا في الطرقات الطوقان . على رسم
قتال التركان . ونشروا المصاحف يطلبون أمان أهل الايمان . ثم اشندوا
وشدوا . وأعدوا واستمدوا . وجعلوا الخراكهات كالأسوار محدقة . ونيران
النصال من ورائها لالحق محرقة . وصبروا حتى لايسهم المسكر . وفي فلبه
سنجر . وامتلا الوادي بسيل الخيل . واجتأب النهار لباس الليل . وكانت في
المقدمة أمراء خاروا وخاموا . وهوا بما وهوا وهاموا . واغتمم الفزاضا فهم .
وركبوا أكتافهم . يقتلون ويأسرون . ويصدون ويكسرون . وعز المخاص
من المضيق . وفرشت جثث القتلى على الطريق . وقتلوا الأمير قساجا وولده
وأثوا على المسكر وأفنوا عدده وعدده . وخلصوا الى السلطان سنجر وه وفي
خف من خواصه . وجواده قد بخل بخلاصه . فأحسقوا به احداق
الاهداق بالحدقة . وحصل في وسط تلك الحلقة المحدقة . وبقي كالركن
في الدائرة . ووقع في الايدي الجائرة . ونزل أميرهم وقبل الأرض وأمسك
بعناده عنانه . وأطلق بدعائه لسانه . وقال « ان قومك فتحوا بالاذية . ولم
يحسنوا رعاية الرعية . ونحن خولك حواك . نقول بقبولك ونسمع قولك »
وأفردوه عن أصحابه . وعوضوه عن عز جهاحه بذل أصحابه . ومكث معهم
ثلاث سنين كالأسير . وقد ارضوه من طعامه وشرابه باليسير . لكنهم يجلسونه
على السرير . ويقفون مائتين بخدمته سوي قرغود وطوطى بك الأمير
وانتشروا في البلاد انتشار الجراد . ودب دبابهم بالفساد . وأذهبوا لأوال
والنفوس . وأعدوا النعم وأوجدوا البؤس . وخربوا مدينة نيسابور وقتلوا

أهلها تحت المذاب . وسفكوا دماء العلماء والأئمة في المحراب . وكانوا
يستمصون سنجر معهم . وهو لا يقدر أن يردعهم . وربما خشن عليهم في
القول ونهاهم ونهرهم . وسبهم وسبهم . وهم لا يجيبونه إذا نجههم بالمكر وه وأسهم
ولما ليس الباقون من عسكر سنجر من خلاصه . ورأوا مضيقاً عليه
في قنص اقتناصه . فرقوا وتفرقوا . وخفقوا وأخفقوا . فهرب منهم في
آخر عمره ووقع إلى ترمذ . وأرهف حد العزم وشجذ . فأصابه سهم الأجل
ونفذ . فاحضر عسكره سليمان شاه بن أخيه محمد اينولى مكانه . ويجد سلطانة
فلم يفلح ولم ينجح . ولم يصلح ولم يصلح . فبعد إلى الري ومنها إلى بغداد . ولم
يجد امره للنفوذ الناذ . واجمع العسكر على الاتفاق في تولية محمود خان بن
اخت سنجر وقام بنيسابور متمكناً . حسناً في هيئته محسناً . وذلك في أيام
السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه . فكتب له العهد من همدان
وولاه . ثم استولى الأمير المؤيد آى به بنيسابور وأخذ محمود خان
وأقدمه . وتولى الأمور وبقي العزيز وبلغ وسائر البلاد ضالين عن نهج
الرشاد . مابدين للجور جائرين على العباد



— ذكر الحوادث بالعراق بعد انفصال السلطان محمد بن محمود —

مؤرخ عن بغداد بعد حصارها في سنة ٥٥٢ هـ

... ..

قال رحمه الله : قد سبق شرح الحصار . وما قوى الله به أمير المؤمنين المقتدى من الانتصاب والانتصار . وكان من أقوى الأسباب في دفعهم ان الخليفة راسل آتاك شمس الدين ايلدكز ان ينهض بعسكره الى همدان حتي اذا عرف السلطان محمد ان سريره قد فرع . وان سروره قد رفع . ارتحل عن بغداد فصار آتاك ايلدكز بالسلطان ملكشاه بن محمود الى همدان ودخلها واستولى على ذخائر الملك بها ونقايها . واجلس ملكشاه على السرير . وقام بين يديه بالتدبير . فلما عرفت المساكر المنازلة لبغداد ان منازلها بهم مدن نزلت . وان ولايتها في ولاياتها عززت . تشوشت خواطرها . واستوحشت ضمائرها . وتفق عن بغداد تغلاتهم ونفلاتهم . وقدر انفصاتهم وانفصالهم وعادوا الى همدان ولما احس ملكشاه بقرب اخيه محمد نصرف ونحرف . وقفاه آتاك ايلدكز وما توقف . وكان قد استوزر المظفر بن سيدي من زنجان وكان كبير لاصل . كثير الفضل . وله نظم رائق . ونثر فائق . فمن ذلك قوله في شمس الدين أبي النجيب وزير السلطان محمد

أبا النجيب وما في الحق مغضبة أنت مثلي فاين العلم والحسب
وأنت أنت وهذا "لوفر منتقل" الى سواك وهذا الامر منقلب

وقوله

إني وتيجان أسلافي وتلك انت أليّة برقة لا تترى فيها

لأحظ الملك الطأغي بصواته
 ينهى الوزارة قوم يكثرون بها
 فادتها مكرها والقوم في فلق
 وعفتها طائعا والدولة اضطربت
 وزد نفسى الى التقوى تيقنها
 وأسأل الحتم بالحسنى ذا نعلت
 شزرا وأعرض عن غشيانه تها
 وقد تصاعر قدرى فى تولها
 يروغون تموا فى مراقها
 من بعد من هو بعد الله يحمها
 أنبقى هو من اجدى مراقها
 نفسى الى الله ولاها ومولها

قال : وبقي السلطان بعد ذلك سقيم لامل قسيم الامل . عديم الشبه فى سيرته لكنه شبهه العدم . متوجع الجضم متعوج الرسم . معضوض النشاط . مقبوض الانبساط . وكان فى عصره اكابر الدولة من الفحول . وذوى الهمم والعقول . غز الدين ستماز وناصر الدين آتش وأمين الدين أبو عبد الله أمير الدولة ومن الخدمة شرف الدين كردبازو ونجم الدين رشيد وهؤلاء مازالوا اكابر فى الدول . مقدمين ذوسين العبيد والجيوش والخيول . يلازمونه فى السفر والحضر . ويثبتون معه فى سبيل السلامة . ووادع أخاه ملكشاه وعقد له على خوزستان فما تمكن منها منهاجه . ولا تم بها ابتهاجه . لاستيلاء الامير ايذغدى ابن كيشطغان المعروف بشمله عليها وتغلبه وتبطل أمره بتطلبه . فبقى فى البلاد دثرا حائرا . صابر بالبلاء والى الضيق صائرا . وأما السلطان محمد فانه مع تكسره . وامتزاج صحة مزاجه بسقمه . ووقوف رصد المنون على قمعه . رغب فى التزوج بابنة ملك كرمان فخطبها معها هو فيه من خطبه . وبذل وحمل . واتحف واحتفل . ووردت الخاتون الكرمانية فزينت لقدمها القصور ووفر لحضورها الجبور وهم اذا

بهذهان واستقبلها السلطان لمرضه في الخفة . وأحاطها في كنفه . وتركها
لا يقدر منها على متعة . ولا يطيق الامام من روضها برتمة . فما اقتضت
بأفضاضها قدرته . ولا افترت بافتراءها مسرته . بل عجز عن البناء عليها .
وقصرت يد صحبته عن الامتداد اليها . وبقيت في جنبه خيمة . وفي حياته
متألمة . وعرضت للوزير شمس الدين أبي النجيب هيضة غربت بها شمس
وفاضت نفسه . وغاض بغيضه رومه . ونقطع غده ونسي بيومه أمسه .
واقدر كان أقوم قومه سيرة . ومثل أمثاله وتيرة . وكان بالتواضع حاليا .
ومن التكبر خاليا . وقد السلطان وزارته ضياء الدين بن محمد الدين بن علجة
الاصفهانى فنقله الى الوزارة من منصب الطغراء . وزف عروس تلك المرتبة
منه امثال الاكفاء . واقدر كان في السيادة عريقا . وبالرئاسة ابيقا . لكنه
جاءته الوزارة وهو مشارف الوجل . ومشار الاجل . فما قرب من الوسادة
حتى قبر ووسد . وما قام خطه بقدره حتى قالومه القدر واقعد . فحزن السلطان
موته . وحزبه فوته . وكان قد طالت له صحبته . وأدالت منه لذته صحته .
وهو يمدد بالوزارة ويعرضها المطل . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل .
ومكث السلطان بعد ذلك لاحيا فيرجى ولا ميتا فيسجى ثم انه توفي
يوم السبت لانسلاخ ذى القعدة سنة ٥٥٤ وكثر عليه الترحم . وزاد بمصابه
النالم . فانه كان أوفر الساجقية حاما . وأوفرهم علما وأحبههم للعامل . وأحبههم
للفضل واختلاف من بعده الامراء فاجتمعت أرائهم على استدعاء الامير
ايناج صاحب الرى . ونشروا من الامر المستور بمالاته ما كان في الطي .
ثم تعارضت أرائهم وتناقضت أهواؤهم فنههم من مال الى ملكشاه أخى
المتوفى . ومنهم من رأى الارسل الى الملك ارسلان لمكان تابلت اليد كنز

زوج امه . ومنهم من أشار بتليك سليمان عمه . وكان الامير ايناج يومئذ
أكثر جندا . وأكثف جمعا وأرهف حدا . ومال الى سليمان وقال هو
أسلم جانباً وأوطأ . وأثبت عن الاذية رأيا وابطأ . والخليفة كان قد ولاد
ووالى اليه الجميل وأولاد . فاذا أجلسناه قام الخليفة بتربيته . ورضى بتوايته
قال وكان سليمان بالموصل في عثقال على كوجك فاتفق الامير ايناج
وناصر الدين آقش وشرف الدين كردبازو على ارسال الامير مظفر الدين الب
ارغون صاحب قزوين الى الموصل للوصول به . وكوب صاحبها في طلبه .
وكان زين الدين على كوجك أطلقه عند علمه بوفاة السلطان محمد وجهد بعد
التوثقة منه بالايمن . فقدم واستقر بهمدان على سرير الملك ودخل في
طاعته سرقة الترك وانتظم أمره . واضطره جرد . ووافقه خائفود . ووفاد
مخالفود . وأصبح بالامير ايناج حل الدولة وعقد ما . ويده حباها . وبأيده
وصاها . وصار مظفر الدين الب ارغون بن يرتقش صاحب قزوين . الامير
الحاجب الامين . وقلد وزارته شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز
النيسابورى وكان وزير ايناج فنذت في الاقاليم اقلامه . ومضت بالاحكام
احكامه . وأعاد الى وجهه الوزارة ماءها الذهب . وأوضح في انارة افاقها
المذاهب . ولم أرى انه ايس في الاكابر اعظم من اتابك شمس الدين
ايلدكز وان الملك ارسلان بن طغرل معه . وانه ربما قصد سليمان ليدفعه
سير اليه بولاية ارانية منشورا . ونظم وضم ما كان هناك منشورا . منشورا
وجمل ولاية العهد للملك ارسلان بعد سليمان . وتذلل الصعب وهان .
وحسبوا ان السلطان بعد غموضه يابه . ولكأسه يريق . ومن سكره يفيق
فبقى على الشرب مكباً . وللمب محباً . وللعقل هاجراً . ولالحم زاجراً . فلا

جرم حالت حاله وساء ماله . وسندكر ذلك بعد ذكر بعض الموادث في
أيامه . واصل افتتاحه بافتتاحه

— — — — —

ذكر وفاة الامام المقتدى لامر الله وجلوس ولده الامام

المستنجد بالله أبي المظفر يوسف امير المؤمنين

— — — — —

قال رحمه الله : كان الامام المقتدى لامر الله بعد الحصر آثر ان يخرج الى
البلاد ايرها . ويثري ببركة حركته ثراها . فاحضر طرفا الاخضره وما نظر
كنفا الانضره . وكان في اقامته عسكره طال ثم قصر سفره الاخباز والاغنام
والحوائج والعلائق تفرق على عدد الناس والدواب . وعساكره مجرون من
جراياتهم . ونفاقاتهم واعطياتهم على المبار والمحاب فما ينفق لاحد فرس الا
اخذه عليه . ولا يلتبس صاحب معونة ولا منوثة الا يحل بها اليه . واجناده
يتمنون ان تطول اسفاره . ايدوم اصبغ سمادتهم بعطاياه اسفاره . ووصل
الى واسط في أواخر صفر سنة ٥٥٤ وانا نائب الوزير ابن هبيرة بها
وخرجت في اصحابي للالتقى . وكنت من زحمة اللقاء على غاية التوق . فبصرت
بوكب الخليفة وقد أقبل في أفواجه كأنه البحر في امواجه . فنزلت وتقدمت
اليه . وقبلت الارض بين يديه . فوقف لاركب اشفاقا على من الزحمة .
وكانت فطرته مجبولة على الرافة والرحمة . وقال له مخلص الدين ابن السكيا
الهراسي هذا الذي يقول في أمير المؤمنين . من قصيدته كأنه يصف هذه الحالة

لما شفعت العزم وهو مؤيد . بالحزم أسفر بالمنى منك السمر
وبرزت مثل الشمس تشرق للورى . وسناك يحجب عنك ناظر من نظر
بظلمة سوداء تحمكى هالة . وجه الامام يضيء فيها كالقمر
وقال الوزير هذا صاحبي وقد وليته . وأصحابته وأوليته . وبيع بخدمة
ونجح . وبذخ بنياني ورجع . فوصى الامام وزيره بنى . وأعجبه سمى
وأسلوبى . وسار على رسله ودخل الى دار الديوان . وجلس ساعة فى
الايوان . ثم قام وجلس الوزير فى الدست وكتب ووقع . وقال واسمع .
والناظر حينئذ فى واسط الامير شمس الدين أبو الفضائل فأتى وهو من
أكابر الخدم الذين لهم المزايا والمزاين . ثم انتقل الخليفة الى سرادقه . والوزير
الى مضاربه . ونزل أرباب الدولة كل منهم على مراتبه

قال : وحضرت بميدان واسط والمقتنى رضى الله عنه حاضرا ومعه
أولاده ولي العهد المستنجد يوسف وأبو على وأبو أحمد وولد المستنجد أبو
محمد وهو المستضى الذى تولى بعده وأبو بكر . ولم يلبث بواسط ثلاثة
أيام حتى عاد الى بغداد سريعا وكان وصوله للانحدار الى الفراف فزاد الماء
زيادة منعت العبور فرجع على نية الرجوع . وعند عودته غرقت بغداد
وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ وذلك لان الماء زاد فى تلك السنة
على خلاف عادته وتهور به شفى القورج وتقور . وغلب وبلغ السور من صوب
الظنرية وتسور . وطاف بتلك النواحي طوفان نوح . وراح شبح كل بناء
بغير روح . وكان ذلك منظرا هائلا . وقدرا نازلا . وطارقا كثرت طرقة
وقتما عسر رتقة . وركب الوزير وأرباب الدولة فصدوه وسدوه . وردعوه
وردوه . واتفق انه نقص وبقيف . وغرق معظم ما من ذلك الماء العظيم

غرف . ولما انصرف الصيف وانكسر الحر وجعل المقتنى الى واسط مرة أخرى وانحدر الى ناحية الغرف وعزل عن ولايتها ظفراً خادماً وولاهها أبا جعفر بن البلدي وقبض على ابن افلح وزير ظفر وعاقبه . ولزمه بما استخرجه من دفائن ابن حماد وطالبه . وكبا به الفرس في بعض تلك الدوقي فوق وتأم . واعتذر بصحته اليه القدر مما تجرم . وذلك في شهر رمضان من السنة

ولم دخت سنة ٥٥٥ خرج الخليفة الى هيت وكان مقطعاً نور لادولة ابن الامير العميد خل عنه الاقطاع . ولزمه شحه المطاع . وأقبل من سفره سافر الاقبال . ظافر الآمال . فما عاد حتى عاده سقم . ولم به ألم . فتوفي في يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ وانتقل الى جوار الرب . طاهر الذيل نقي الجيب . أمين الغيب . برياً من العيب . ولما عرف ولده وولى عهده الامام المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ابن والده قد وقع اليأس عنه أشفق من تمام الامر لاختيه ابى على . وانه للعهد غير ولى . وهجم الدار . وقبض الكبار والصغار . وعقل واعتقل . ونقل وانتقل . وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده . واحتوى على طارفه وتالده . وقبض عدة من الامر ، خيلية مماليك خليفة المقتنى وعندهم . وتخب جماعة من مماليكهم ومهمهم وقدمهم . وأخذ القاضي سديد الدين بن المرخم أخذاً شديداً . وردد العذاب عليه ترديداً . الى ان فاضت نفسه . وغاض به رسمه . وحبس المحاص ابن السكيا الحراني مدة ايام خلافته . وحرره حظ عاطفته ورافته وأقر عضد الدين ابن رئيس لرؤساء على استاذية الدار . ورفع قدره على الاقدار . وأقر عون الدين بن هبيرة على وزارته . وبقي ماء الدولة به على

غزواته . واستولى على دولته مملوكه قايماز . وعز بالاستظهار ومظهر بالاعزاز

— — — — —

✽ ذكر مراسلة الخليفة للسلطان ✽

— — — — —

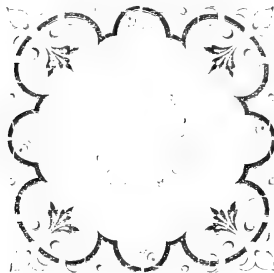
قال : وأرسل الخليفة الي السلطان سليمان . يسأله الطاعة والاذمان .
ويطلب منه ان يخطب له في جميع البلاد . ويقوى رجاءه منه في نيل المراد .
ويذكره باحسان الامام المقتنى اليه . وأفضاله عليه . فبادر السلطان الي التمام
الارض . وأتمثال الفرض . وقبل كتابه وقبله . وكتب الي البلاد ايخطب له .
وظن ان بغداد قد وصلت الي بعثته . وحصلت في قبضته . وانها في انتظاره فتمت
فرتب القاضي نبيه الدين اباهريرة الحمداني رسولا . وكان مقبلا في سمته وسمته
مقبولا . وهو من أعيان المملكة وأماثلها . وعلماء الامة وأفاضلها . ونذب معه
الامير ابن طغبارك ليكون ببغداد والياً . ويعيد ما رخص ونزل من قدم
السلجقية غالياً عالياً . فعزم في عدة . وزعم انه على عدة . وسار القاضي والامير
ومن مهمما مع رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظامي ذو النطق واللسن
والراى الحسن . والعلم والفصاحة . والحلم والخصافة . فاستصحب القاضي والامير
ووصل . على ظن انه بالمراد حصل . فلما قربا قربا . وبالرغائب رغبا . وقيمت
الوظائف . ووضعمت الاطائف . واقاما مدة للتقرب والترقب . ثم قاما للمتطلب
والتغلب . وقالوا انما حضرنا للتعرف والتصرف . لا للتوق والتوقف . فقال لهما
الوزير ما بالكما . وما حالكما وبم ارسالكما . وفيم سؤلكما فقالا ما جئنا
انذهب . وانما جئنا لنعاطب ونخطب . فقبل لهما ما اتما الا سفير الهداء واهداء

وخفيرا ولاية وولا . والتعرض للخطبة تعرض للخطوب . ولا ترغبا في الخطبة
ان رغبتا في الولاء المخطوب . فقال رسولكم بها وعد فقيم اخلاف العدة .
واللاف الجدة . واثارة الثائرة الموجدة للموجدة . فليل لها ما كان لرسولنا ان
يقول ما لم تشربه . وقيم رضانا عن مسلكنا ان شربه وسربه . وغدا يوافقكم
رسولنا على انه لم يقل ما قلتم . ولم يعقد ولم يحل فيما به عقدتم . فافترقوا
الاجتماع في غد والمعاودة لموعده .

فاتفق ان رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظامي في تلك الليلة توفي .
واحمد سراج حياته واطفي . وكنتم سرده تحت التراب واخفى . وكان هذا من
اعجب الغرائب . واغرب العجائب . حتى تحدث الناس بذلك الحادث . وانبهوا
لذكر ما تجدد عليه من المباعث . وقيل انه خير بين ان يقتل صبورا . او يشرب
سما وما فيها حظ مختار . وقيل بل بقضاء من الله جار . واجل موقوف بمقدار .
فلم يجز بعد وفاته تلك المواعدة . معاودة ولا موافاة . ووقعت من الرسولين
منافرة ومنافاة . فاتفق ان القاضي ابا هريرة أحد الرسولين توفي بعد اسبوع
من وفاة سونج . ولم يكن دينه ايضا من القدر بمنج . فرجف الناس وأرجفوا .
وتحدثوا بما عرفوا وبما لم يعرفوا . واستشعر الرفيق الآخر وقال ما في
الاقامة خلاص . وأفلت راحلا وله خصاص . فانه غلب على ظنه انه ان أقام
قضى . ولحق بمن مضى . فتلاشت تلك الرسالة لعدم رسلها . ولروعة مثل
ذلك الحادث لم يرجعوا الى مثابها . ووقعت في انفسهم من بغداد الهيبة . ومن
حصولها الخيبة . فلم يقدم ملك اليها . ولم يقدم سلطان عليها

قال : وفي هذه السنة وهي سنة ٥٥٥ توفي ملكشاد بن محمود بن محمد
وذلك انه لما عرف ملكشاد ان عمه ملك . وان حساب المالك به تفدلك .

وانه يعود خلوته . ولا يخلى عادته . ويريد هواه . ولا يهوى ارادته . نهض
وافر العدد . وفي العدد . وجاء الي جى . بالالى . ووفر حبور اهل اصفهان
بحضوره . وأذعنوا لأوامره اذعنوا بأمره . واستبشروا وأنسوا بشهره .
ونشرو الطيب وطابوا بشهره . وقالوا عاودتنا الاطاف الالهية . وعادت
علمنا الايام الملكشاهية . وأقام وسير الكتب الى الاطراف . بالاستمالة
والاستعطاف . وخطب للمو ولها عن خطب . وغفل عن اسراع الذوى
الى عوده الرطب . وكان مغرورا بالشباب . مشبوب الغرر . مقدر الملامن
آمنا من الاقدار . فلم ينقض عليه شهر حتى شتهر نه قضى ومضى . وان برقه ويومه
مضى . وذلك فى يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الاول من غير مرض
سبق ولا عرض عرض . بل كانت له مغنية قد استهوته واستغوته .
وخلت خلبه وسلمت ابيه . فصار يا كل من يدها ويشرب . ويجىء بجها
ويذهب . وقيل انها بعت موته ثمان بقة . وقيل بل اصابه سكرمة . وانها
قد رغبت حتى سقطته سما . وكان قدرا حتما . قد احاط الله به عاما



ذكر ما آل اليه امر السلطان سليمان . وكيف جفاذ زمانه وخان

وكيف قبض من مجلس ملكه . ونقل الى منزل هاكمه

— — — — —

قال : لما اتسع ملكه . واتسق سلكه . ظن الامراء انه قد لاحف
اللاح . وصالح الصلاح . فلم يرضوا بالاحسان اليه لحسن ظنهم فيه ومازالوا
في تقرير اسبابه وتسبيب قرار مساعدته ومساعدته حتي بدالهم ابداله فان
الامير ايناج عاد الى ريه . والسلطان سليمان انهمك في غيه . وأخل مظفر الدين
صاحب قزوين بموضع الحجابة . وثبت الباقون من الامراء على التمسك بالسلطان
فانه اشتغل باهود ولها عن شغله . وجد حبيل جده بخيله . وقالوا الصواب
ضبطه وربطه . وقبضه لابططه . ومكثوا مدة يتشاورون في خلعه . ويتوأمرون
في وضعه . ويكتبون شمس الدين ايلدكز ليقتدم بابن زوجته الملك ارسلان بن
طغرل وانهم لا يقطعون امر حتى يصل وأحكموا العهد وأبرموا العقد . واتفق
انه حدث بالسلطان سليمان مصرع اصرعة من فرسه . فتضت بضيق نفسه
ونفسه . فمادود لاله وعادود في امه . واعتقلود في قصر من الدار السلطانية
وه كل كل امير به من ثقاته جماعة . واعتقدوا على اضاعته عهدا واعتقدوا العهد
اضاعة . وذلك في شوال سنة ٥٥٥ ثم انهم نقلود الى قلعة همذان وجرعوه
كاسا مسومة . وازارود ميتة مذمومة . وكانت وفاته في ثالث عشر شهر ربيع
الاول سنة ٥٥٦ بعد جلوس ابن اخيه في السلطنة

ذكر جلوس السلطان ركن الدنيا والدين ابي المظفر ارسلان

ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان

السلطان

قال : وصل ارسلان الي همذان بعد اعتقال عمه في ذى القعدة من السنة وجلس على سرير سرورده . واجتباب خبر حبورده . ولعت شمس الدين ايلدكز باتابك الاعظم . فتقدم وأقدم . وأهان وأكرم . وكان السلطان تحت سلطانه . يرتوى من احساء حسانه . ويأكل من خوانه مع اخوانه . فان اولاد آتاك ايلدكز بنو أمه . وصار واسطة عقدهم ورابطة عقدهم بنظمه اليهم وضعه . وسعى سعد آتاك ايلدكز بتقديم التقدم . وجد جده في التوسع والتوسيع . وتواغر له الكبراء وأتمر له الامراء . وتقررت الوزارة على شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز . والحجبة على طغرل تكين اياز وأقاموا بهمذان شهرين ثم توجه السلطان الى اصفهان وجعل ساود مسلكه . واستصحب معه ايلدكز آتاك . ووصل اليه في ساود الامير ايناج بك سنقر صاحب الري فاتبعه بالقيته واتي منه بهجة . وأقام بايضاح محبة خلوصه على حكم طاعته حجة . وصار بينه وبين آتاك ايلدكز صاهرة وتمت بذلك للسلطان معهما مظاهره . وزوجت ابنة ايناج بابن ايلدكز الاكبر وهو نصره الدين بهلوان محمد وهو أخو السلطان لامه . وأقام أهل الدولة بهم . ثم اكرموا ايناج وردوه الى ولايته غير انه باق على عتوه . راق في غلوه . متكررة بتكرار ايلدكز متكرث . متأثر قلبه من تقدمه متأثر

لكنه أبدى الرضا بما بدى . وأظهر انه مع الاولياء . وأسر كونه مع المدى
ووصل السلطان والجماعة واثقين بالمذكور متدين بعمله المشكور .
الى اصفهان ودخل السلطان الى دار السلطنة فاحتل سريرها . وقرَّب بها سامي
العين قريرها . ومدوا باصفهان أيديهم . وأجدوا تلميذهم . وأخذوا البريء
بالسقيم . والسكرم بالثيم . والحديد بالذميم . وساقوا الناس بقلم التوزيع الى
لقم التوزيع . واستثمروا اصول المصادرات بالتقريع . وسدوا الانهار على
البساتين حتى أخذوا اثمان المياه . وشفها الموارد وصدوا عن الصادي ورد
الشفاه . وأقام السلطان كذلك برهة ولما عزم على الرحيل تلوى عليه الامير
عز الدين ستماز وتخلي عنه وتخلف . وتوقى منه وتوقف . وكان قد كاتب
الامير ايناج لمناوأة السلطان . وشق العصا بالمصييان . واستدعاء أخيه الملك
محمد بن طغرل من فارس وأحس السلطان بالتدبير . فوقع في التشويش
والتشوير . فان آتابك ايلدكز وأولاده كانوا بهم مذان . وهم لا يظنون من
أولئك بالايذاء الايذان . فأغذ في السير . واستعمار في القدوم عليهم قادمة
الطير . فلما اتصل بهم أفرخ روعه وأفرق . وأشرف ضوءه وأشرق . وامتد
ايناج من الرى متوجها مسارعا الى لقاء السلطان ومناجزته . قبل اللقاء
آتابك ايلدكز به ومحاجزته . فاتصل بايناج عز الدين ستماز وصاحب قزوين
الب ارغو في جموع حاشدة . وحشود جامعة . والملك محمد ابن طغرل
معهم وقتلهم معه . وقد ضاق القضاء بالمسكر فما وسمه . والسلطان في
عمر مره العرم وجفله الخفل

فزحف الجيشان ورجف الجاشان . وتحرك الجران . وتحرق الجران .
وكان اجتماعهما بنواحي الكرج . وكرب الحرب معوز النرج . وكان

السلطان قد اتهم الوزير بمداخلة . ومكاتبة ايناج . و اجابه . وكانوا حملوا
السلطان على قتله . وحذروه من مكره وختله . فاسمع فيه . قتالا ولا رأي
له امتقالا . بل وكل له في السر جماعة يظهرون انهم في خدمته . ويظاهرون
في حفظ حرمة . وكان في اعتمام نصرة الدين بهلوان فقرر امره على هدايا
يهدىها . وأربعين ألف دينار يؤديها . فأخذوا منه في المال المال . وتركه وادفاه
الليل والقال . فصرفوا المال في مصالح المسكر . وعاد الوزير الى سعدة الازهر
وجده الابر . وقدم الحركة . يوم المعركة . ولما تواقف الجمعان . واجتمع الموقفان
حملت ميمنة ايناج على ميسرة السلطان وكسرتها فوجد السلطان ووجم . وهجم
عليه الهم بما هجم . لكنه ثبت في قلبه . وانحى اليد كز حمل بأولاده
وصحبه . وخفقوا على قلب ايناج فنجوا وقلبه خافق . وهمه لوهمه . مصافح
مصافق . والطرده من ورائه ورأيه في الطراد . وغاب في الغبار واضمرته
دياجي الضمر الجياد . واصابت وجهه الوزير في هذه الواقعة ضربة سيف
أذهبت عينه اليمنى . ولم يدركه بعد ذهاب ذهبه وعين يضاره بذهاب
ناظر عينه اليمنى . وحمل الى همذان في محنة ليتداوى . وشمت به عاداته وعادت
ضوايرها عليه تتعاوى . فولى ايناج مدبرا وأدبر موليا . وخلي رحله ورحل
متخليا . وعاد السلطان الى عادته في السلطنة واتسع ملكه . واتسق سلكه
ودار فلكه . ودر فلكه . وتفرد زوج أمه آتابك ايلد كز بالامر والنهي .
والنشر والطى . والحسم واللكى . والاثبات والنفي . فأدنى وأبعد .
وأشقى وأسعد . وراقب الاضراب . وضرب الرقاب . وحاجي الاعضاء
وعادى الاحباب .

ولما وضعت الحرب أوزارها وجه السلطان الى الري برأياته . ووصل

سراياه الى ايناج لقطع سراياته . فقد موهها وجبوا اعمالها . وجنوا أموالها .
 وجمعوا ذخائرهما . وفرقوا اخيارها . وكان ايناج منهم نجوة . وقد قنع من
 العيش بفجوة . وهو في حدود الدامغان وما زال بها يستعطف . ويستسعف . ويتوصل
 ويتوسل . الى ان صاحت أسبابه واستتب صلحه . ونجحت آرايه وأربي نجهه .
 وقصروا رأيهم على القناعة بالرى . وتموض برشده عن الغنى . وحلت عنه
 جرباذقان وساو . وعادوت مبيشته وعيشته الطلاوة والحلاوة . ورحلوا
 الى قزوين فتحصن صاحبها في قلعة سرجهان . وعان وعانى الامتحان
 والامتهان . فقرقوا العمال . وجمعوا الاموال . وأقاموا الى ان دهم الشتاء
 بشتات الدهاء . ورحل البلاء بنزول البلاء . فانهم لم يقيموا بالمكان ولم
 يتمكنوا من المقام . وفكوا عن البلدة عروة الازدحام . وسار السلطان
 نحو همذان . وآتابك ايلدكز الى آذربيجان . ثم استقرت سلطنة ارسلان
 ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وعدم في عزه ونفاذ أمره الاشهاد . وحكم
 عليه وعلى البلاد جميعها شمس الدين ايلدكز زوجاً . وجرى في اقامته . وس
 سلطانه على رسمه

وكانت الوزارة مستمرة بشهاب الدين الثقة . وله من الناس الكرم .
 وعلوهم . المقة . الى ان توفي باصفهان واستوزر بعده الوزير نخر الدين ابن
 الوزير المعين المختص ولما توفي بهمذان بعد سنين استوزر جلال الدين ابن
 القوام الدرگزني وامتدت وزارته في الايام الارسلانية . ووفى باحكام
 الأحكام السلطانية

﴿ ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ هـ ﴾

﴿ وفاة آتاتك ايلدكز قبله ﴾



قال رحمه الله: كان السلطان قد تزوج بأخت نخر الدين رئيس همذان . فاتفق
 وفاة شمس الدين ايلدكز بن خجوان . وتمكن ابنه محمد المنعوت بهلوان .
 وهو أخو ارسلان من أمه . فأراد الاستبداد دونه بحكمه . وكان ارسلان
 مريضاً فنقل الى دار زوجته بهمذان وتوفي بها . وقيل ان أخاه بهلوان سقاه .
 والجزم في بقاءه ما يقا . وأجلس ولده طغرل الصغير . وشغل به السرير .
 ونفذت أوامره في الممالك . واضحة المسالك . واسعة المبارك . وما زال
 أمره مستقيماً واستقامته مستمرة . وثنايا دولته عن مباسم السعود مفترية .
 الى ان توفي بهلوان في أوائل سنة ٥٨٢ هـ وتولى أخوه مظفر الدين قزل
 ارسلان بن ايلدكز الملك . ونهج المسلك ونسق السلك . وطغرل قدشب
 وأرب فوجد أمره مهجوراً . وعزله محجوباً محجوراً . فأحب الانفراد .
 وأراد الاستبداد . فهرب ايلان وانضم اليه جماعة من الامراء البهلوانية .
 وبعثوه على التوحيد بالعمة السلطانية . وكان سيئ التدبير . يعاقب على التهم
 بالقتل والتدمير . وكانت البهلوانية قد انجدوه . وساعدوه وأسعدوه . وأقام
 قزل ارسلان مراراً فأقعدوه . فاتهمهم يوماً على ظنة أضرمت نار اشتطاطه .
 فقتلهم غيلة على بساطه . فنشرت منه القلوب . وتمكن قزل ارسلان .
 واتضع السلطان . واتهم وزيره عزيز الدين بن رضى الدين يوماً فقتله
 وأخاه صبرا . وزاد في فتكه بخواصه كلما انكسر ولم يلف خيراً . واغتال نخر

الدين رئيس همذان وسهه . وسلط على كل من تقرب منه وهمه
 وهمه . وكلما تمكن أزعبه عمه قزل ارسلان حتى وصل في سنة ٥٨٥ الى
 الامير حسن بن قنقجاق وتزوج بأخته . وجرى معه على حكم وقته . فنهض
 معه لينصره . ويعضده ويوزره . ووصل الى مدينة أرمية فأغلقوا بابها دونه .
 والقنجاكية معه يسعدونه . فدخلوا المدينة واستباحوها رهبوها . واحتاحوها
 وخربوها . وسير السلطان صلاح الدين من الشام رسله في الاصلاح بينه
 وبين قزل ارسلان . فدان له ولان . وكاد الصلح يتم . والخبر نيم . فأبى سوء
 الاراء استواء الآراب . وتستر الصواب بالحجاب . فعن للسلطان ان يقصد
 قزل ارسلان همذان . اخمداً لغيران الافتنان . فقبضه يوم قدومه واعتقله
 في بعض المعاقل . فتعنت آثار تلك الضوائل . وسكن الدهر . وقضى
 الامر . وضرب قزل ارسلان النوب الخمس . ووطن على الاستبداد بالسلطنة
 النفس . ولحق بالصفاء عن الكدر . وغفل عن القضاء والقدر . فوجد ليلة من
 الليالي همذان مذبوحاً على فراشه . وقد نئس عاثر الملك به من انتماشه .
 وكان بين حفاظه وحراسه . ولم يعلم من الذي أقدم على قطع رأسه . وذلك
 في شعبان سنة ٥٨٧

وسار ابن أخيه نصره الدين أبو بكر بن بهلون الى آذربيجان فملكها . وسار
 أخوه قتلغ اينج بن بهلون الى طريق الري فملكها وأدركها . وسمى بعض
 الامراء في اخراج طغرل من محبسه . واعاده من السلطنة الى مجلسه ومضي
 الى دار الملك همذان . وأستأنف الامكان . واستجد العدل والاحسان . فجاء
 السلطان خوارزمشاه في سنة ٥٨٩ للتغلب على المملكة . فلقية السلطان طغرل
 في المعركة . وخرق بفئة قليلة الصف الخوارزمي . وظهر البأس الرستمي .

فأخذوا به ورءوه . واخذوا رأسه وما ذب عنه أصحابه ولا حموه . وسير
رأسه الى بغداد . واستولى السلطان خوارزمشاه على البلاد . وختمت الدولة
السلجوقية بطغرل . وكان افتتاحها بطغرل . وكانت مدة ملكها منذ وصل طغرل
بك الى بغداد الى هذه الغاية ١٤٠ سنة . وكانها اشبهت سنة . فسبحان الذي
ملكه لا يزول . وحكمه لا يحول .

ذكر الوزراء المتولين

قال رحمه الله : كانت الوزارة لجلال الدين بن القوام فلما توفى وزير اخوه
قوام الدين . ثم عزل واستوزر كمال الدين الزنجاني . المعروف بالتمجيلي . وبقي
سنتين وعزل . ثم استوزر صدر الدين قاضي مراغة ثم استقرت الوزارة بعد
عزله على عزيز الدين ابن الرضى . ذى الخلق والسكرم المرضى . ثم جرى
ما جرى من قتله . وأذن الملك بشتات شمله

قال : وفي شهر سنة ٥٦٥ وجد ايناج صاحب الرى مقتولا على
سريره . ولم يعلم كيف كان سبب تدميره . وأضيف الذنك به الى مماليكه .
بتدبير الوزير وتشريكه . وكان وزير ايناج سعد الدين أسعد الاشلى . فاستوزره
شمس الدين ايلدكز واستقل . وكان وزير ايلدكز من قبله مختار الدين

قال : وتولى السلطان طغرل فى الدولة الامامية المستنصرية . وكانت ولاية
المستنصرى . بأمر الله فى ربيع الآخر سنة ٥٦٦ . وانتقل الى رحمة الله تعالى فى
آخر شوال سنة ٥٧٥ . وتولى الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن

المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستجد بن المظفي رضي الله عنهم
أجمعين

قلت وامتدت ولايته الى آخر شهر رمضان سنة ٦٢٢ وتوفي في هذا
التاريخ وتولى ولده الامام الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد وتوفي رضي الله عنه
في رجب سنة ٦٢٣ وتولى ولده الامام المستنصر بالله أبو جعفر منصور اعز
الله انصاره . وضاعف اقتداره

قال الامام عماد الدين رحمه الله: وقد كنت اوثر ان انهي هذا الكتاب
الى آخره بشرح حادثة كل عام . والانتفاء فيه الى كل مرام . لكنه بغيتي
الى الشام . وتباعدي عن معرفة صروف تلك الايام . اقتضت على
ما عرفته من المجمل . واستغنيت بها عن ذكر المفصل . ولان

السلطنة في تلك الايام وهنت وهانت . وبانت اسباب

اختلالها وظهرت اسرار وهائها وهانت . وما

تمكن وزير من سيرة سارة . ومهيرة

بارّة . حتى انوبذ كره وانبيه . وفيما

انشأته من محاسن الايام

الناصرية كفاية . ولكل

موفق الى هداية

هداية

فهرست

— کتاب تاریخ دولة آل سلجوق —

— —

صحیفه

- | | |
|--|----|
| مقدمة المؤلف | ٣ |
| نبذة من بداية حال السلجقية | ٥ |
| ذكر دخول السلطان طغرلبك الى بغداد في سنة ٤٤٧ هـ | ٩ |
| ذكر الحال في ذلك | ١١ |
| ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت | ١٢ |
| ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة | ١٣ |
| ذكر سبب تولى ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه | ٢١ |
| ذكر حوادث في هذه السنين | ٢٢ |
| ذكر وصول السلطان طغرلبك الى بغداد | ٢٤ |
| ذكر وفاة السلطان طغرلبك بالرى | ٢٥ |
| ذكر سيرة طغرلبك | ٢٦ |
| ذكر جلوس السلطان ألب ارسلان | ٢٧ |
| ذكر نظام الملك | ٢٩ |
| ذكر ما جرى لألب ارسلان بعد ملكه | ٣٠ |
| ذكر وصول أبي سعد محمد مستوفى المملكة الى بغداد | ٣١ |
| ذكر حوادث طواريئ وطوارق واتفاقات وموافقات | ٣٢ |

- ٣٦ ذكر أحوال الب أرسلان بديار بكر والشام
- ٣٧ ذكر خروج ملك الروم وكسره وقسره وأسره
- ٤٢ ذكر أحداث حدثت في هذه السنين
- ٤٤ ذكر وفاة الب أرسلان سنة ٦٥٥
- ٤٦ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن الب أرسلان
- ٤٨ ذكر وفاة القائم بأمر الله وتولي المقتدى بأمر الله
- ٥٢ أيام السلطان ملكشاه بن الب أرسلان
- ٥٦ ذكر الأكابر والكتاب في زمانه
- ٦٢ ذكر ظهور الاسماعيلية
- ٦٤ ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه الخ
- ٦٨ ذكر أبي منصور بن نظام الملك
- ٧٣ ذكر دخول السلطان ملكشاه إلى بغداد
- ٧٥ ذكر حوادث
- ٧٦ ذكر حال ولاية بركيارق بن ملكشاه
- ٧٧ وزارة أبي عبد الله الحسين بن نظام الملك
- ٨١ ذكر خروج السلطان محمد بن ملكشاه من جنزة وأران إلى الري وأصفهان
- ٨٨ وزارة أبي نصر أحمد بن نظام الملك
- ٩٤ وزارة أبي منصور محمد بن الحسين الميمني
- ٩٩ ذكر جلوس أنو شروان بن خالد في نيابة الوزارة
- ١٠١ تولى كمال الملك على السمرقند أشرف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه

- ١٠٦ ذكر وزارة أبي منصور ابن الوزير أبي شجاع
- ١٠٩ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
- ١١٥ ذكر وصول السلطان الاعظم سنجر بن ملكشاه من خراسان الى حدود العراق
- ١٢٤ ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك
- ١٣١ ذكر وزارة الدرگزني في سنة ٥١٨
- ١٣٦ ذكر وزارة أبي نصر أنو شروان بن خالد
- ١٤٢ ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود الى أن استقر الملك لطغرل
- ١٤٥ ذكر جلوس السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه
- ١٤٦ ذكر ماجرى للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه
- ١٤٩ ذكر حوادث جرت من السلطان مسعود وآبلك آق سنقر الاحمديلى
- ١٥٢ ذكر ما كان من حديث عمى العزيز وحادثته بعد عوده الى القلعة
- ١٥٤ ذكر قتل الوزير الدرگزني وما آل اليه أمر طغرل
- ١٥٦ وزارة شرف الدين على بن رجا
- ١٥٨ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
- ١٦٣ ولاية أبي جعفر منصور الراشد بالله
- ١٨٦ ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده
- ١٨٧ ذكر مقتل جعفر نائب زنكي بالموصل
- ١٩٢ ذكر حال أبي جعفر محمد بن على بن أبي المنصور
- ١٩٤ عود الحديث الى ذكر ماجرى للسلطان مسعود بعد موت جاري

- ١٩٥ ذكر وزارة ابن دارست الفارسي
- ١٩٧ ذكر الحوادث التي انحلت بها تلك العقود الخ
- ١٩٨ ذكر وزارة شمس الدين ابن النجيب الاصم الدرگزيني
- ١٠٢ ذكر ماجرى باصفهان من الفتنة بعد مصرع بوازيه
- ٢٠٢ ذكر بعض الحوادث
- ٢٠٤ ذكر وصول السلطان سنجر الى الري
- ٢٠٥ ذكر حوادث في تلك السنين
- ٢٠٦ ذكر ما تجدد من الملك ملكشاه و وفاة السلطان مسعود
- ٢٠٨ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود
- ٢١٠ ذكر جلوس السلطان أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه
- ٢١٢ ذكر ماجرى للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجلوسه على
- سرير السلطنة
- ٢١٣ ذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه الى مقر
- ملكهمهمذان
- ٢١٤ ذكر ما اعتمده الامام المقتفي لامر الله بعد موت السلطان مسعود
- ٢٢٠ ذكر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد الخ
- ٢٢٢ ذكر اتصال الملك جغرى شاه بأخيه السلطان محمد
- ٢٢٣ ذكر حوادث جرت في تلك السنين
- ٢٢٥ ذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدرگزيني
- ٢٢٦ ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمده المقتفي من

حسن الصبر

٢٣٥ ذكر وفاة الملك سنجر بن ملكشاه وشرح نبذ من أحواله

٢٣٥ ذكر السبب في تولية بركيارق بلاد خرسان

٢٤٠ عود إلى حديث سنجر

٢٤٣ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان

٢٤٣ ذكر السبب في قتل وزراء السلطان سنجر

٢٤٤ ذكر جماعة من خواص سنجر ومماليكه أجهلهم ثم سلامهم

٢٥١ ذكر علو همة السلطان سنجر وكرمه الخ

٢٥٣ ذكر سبب اختلال ملكه واختلال سلطانه

٢٥٣ ذكر السبب في ذاك وانكسار سنجر في حربه مع الخطائنة

٢٥٦ ذكر انتعاش سنجر بعد أن عثر

٢٥٧ ذكر نوبة الغز سنة ٥٤٨

٢٦١ ذكر الحوادث بالعراق بعد انفصال السلطان محمد بن محمود عن بغداد

٢٦٥ ذكر وفاة الامام المقتفي لامر الله وجلوس ولده

٢٦٨ ذكر مراسلة الخليفة للسلطان

٢٧١ ذكر ما آل اليه امر السلطان وكيف جفاد زمانه وخان

٢٧٢ ذكر جلوس السلطان أبي المظفر ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه

٢٧٦ ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ ووفاته آتاك بك ايلدكز قبله

٢٧٧ ذكر الوزراء المتولين